الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

تحت الرعاية السامية لرئيس الجمهورية

السيد عبد المجيد تبون

وزارة المجاهدين وذوي الحقوق

بالتنسيق مع وزارة الشؤون الخارجية والجالية الوطنية بالخارج

والشؤون الإفريقية

أشغال الملتقى الدولي الموسوم:

في ضيافة أمجاد الأمة

التجليات التاريخية والحضارية والتراثية

للأمير عبد القادر الجزائري

النادي الوطني للجيش – بني مسوس

07 و08 ديسمبر 2024م

ردمك: 978-9947-60-507-3

– تقديم وتنسيق:

– الأستاذ الدكتور: حسين عبد الستار – الأستاذ: نسيم نوار

يصدر هذا الكتـاب وهو أشغـال الملتقى الدولي

في ضيـافة أمجـاد الأمة:

التجليـات التـاريخية والحضـارية والتراثية

للأمير عبد القـادر الجزائري

بإشراف من وزير المجـاهدين وذوي الحقوق

السيد: العيد ربيقة

- الرئيس الشرفي للملتقى:

وزير المجاهدين وذوي الحقوق

- السيد: العيد ربيقة

- رئيس الملتقى:

- الأستاذ الدكتور: بوعزة بوضرساية

مدير جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج

- رئيس اللجنة العلمية للملتقى:

- الأستاذ الدكتور: حسين عبد الستار

مدير المركز الوطني للدراسات والبحث في المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة 1954

- المراجعة والتدقيق:

- الأستاذ الدكتور: علال بيتور

- الإعداد والإخراج:

- الأستاذ: نسيم نوار

- أعضاء اللجنة العلمية للملتقى:

أ.د/ حسين عبد الستار	المركز الوطني للدراسات والبحث في المقاومة الشعبية
أ.د/ بوعزة بوضرساية	جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج
أ.د/ برابح محمد الشيخ	جامعة الجيلالي بونعامة - خميس مليانة
أ.د/ علال بيتور	جامعة الجزائر 2
أ.د/ لياس نايت قاسي	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة
أ.د/ عبد القادر دحدوح	المركز الجامعي مرسلي عبد الله – تيبازة
أ.د/ شايب قدادرة	جامعة قالمة
أ.د/ ودان بوغفالة	جامعة ابن خلدون - تيارت
د/ أميرة زاتير	المدرسة المتعددة العلوم للهندسة المعمارية والعمران
د/ مصطفى سعداوي	جامعة أكلي محند أولحاج - البويرة
د/ محمد مبارك كديدة	جامعة تمنراست
د/ دحمان تواتي	المركز الجامعي مرسلي عبد الله - تيبازة
د/ عبد الرحمن بن بوزيان	جامعة تلمسان
د/ بلقاضي مليكة	جامعة برج بوعريرج
أ/ نسيم نوار	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة
أ/ يوسف أمير	المدرسة العليا للأساتذة - بوزريعة

- فهرس المحتويات:

13	❁ كلمة وزير المجاهدين وذوي الحقوق السيد: العيد ربيقة مع الإعلان عن افتتاح أشغال الملتقى الدولي
19	❁ الافتتاحية الأستاذ الدكتور: حسين عبد الستار (مدير المركز الوطني للدراسات والبحث في المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أوّل نوفمبر سنة 1954)
23	❁ كلمة رئيس الملتقى الأستاذ الدكتور: بوعزة بوضرساية (مدير جامعة محمد البشير الإبراهيمي - برج بوعريريج)
29	❁ كلمة رئيس المجلس الإسلامي الأعلى الدكتور: مبروك زيد الخير
33	❁ كلمة عميد جامع الجزائر الشيخ: الشيخ محمّد المأمون القاسميّ الحسنيّ
37	❁ A word from the Mayor of Al-Qadir City Mr. Josh Pope

۞ المداخلات العلمية باللغة العربية ۞	
۞ العمـارة والعمران لدى الأمير عبد القـادر الجزائري كبعدين للسيـادة والهوية الوطنية الدكتورة: أميرة زاتير (المدرسة المتعددة العلوم للهندسة المعمـارية والعمران)	41
۞ معـالم حضـارية وتراثية لدولة الأمير عبد القـادر بمليـانة الأستـاذ الدكتور: برابح محمد الشيخ (جـامعة الجيلالي بونعـامة - خميس مليـانة)	57
۞ المرأة في المآثر الإنسـانية للأمير عبد القـادر الجزائري الأستـاذة الدكتورة: بليل رحمونة (جامعة مصطفى اسطمبولي - معسكر)	61
۞ جوانب إنسـانية في شخصية الأمير عبد القـادر 1832-1847م -التعـامل مع الأسرى الأوروبيين أنموذجـا- الدكتور: بن بوزيـان عبد الرحمـان (جـامعة أبي بكر بلقـايد – تلمسـان)	75
۞ الأمير عبد القـادر الجزائري بمقـاطعة تلمسـان ومملكة مراكش الدكتور: صـالح أحمد بـارودي (جـامعة أبي بكر بلقـايد - تلمسـان)	87

91	❁ عن علاقة الأمير بالمتصوفة قراءة في مخطوط النبذة لسيدي عدة بن غلام الله الأستاذ الدكتور: عابد سلطانة (جامعة وهران 1 – أحمد بن بلة)
99	❁ سكة الأمير عبد القادر الجزائري وبناء السيادة الوطنية الأستاذ الدكتور: عبد القادر دحدوح (المركز الجامعي مرسلي عبد الله – تيبازة)
151	❁ التربية والتعليم: عند الأمير عبد القادر الجزائري الدكتور: علاء إبراهيم سرحان المختار (جامعة القادسية - جمهورية العراق)
157	❁ كتابات الأنجو - ساكسون ونظرتهم للأمير عبد القادر الجزائري (ماضياً وحاضراً) الأستاذ الدكتور: عبد العزيز بوكنة (جامعة الجزائر 2 - الجزائر)
165	❁ تجليات الحرب عند الأمير عبد القادر الاستراتيجية العسكرية والمبادئ الجيش والحرب للدفاع عن الدولة والوطن الأستاذ الدكتور: ودان بوغفالة (جامعة ابن خلدون – تيارت)
181	❁ البيان الختامي مع التوصيات

185	❁ كلمة وزير المجـاهدين وذوي الحقوق السيد: العيد ربيقة والإعلان عن اختتـام فعاليـات الملتقى الدولي
189	❁ ألبوم الصور

❁ المداخلات العلمية باللغة الأجنبية ❁

03	❁ **Le lien particulier de l'émir à la voie soufie Naqshbandi et comment l'Emir Abd El Kader est un exemple idéal pour un projet éducatif transgénérationnel** **Dr. ABD EL HAFID BENCHOUK** **MUQADDAM DE LA TARIQA NAQSHBANDIYYAH EN France**
23	❁ **Decors, materials and techniques of the interior decoration of Emir Abdelkader's houses in Damascus** **Dr. Anke Scharrahs** **Dresden University of Fine Arts, Germany**
39	❁ **L'Emir Abdelkader Un féminin honoré** **Ecrivaine Karima BERGER**
45	❁ **Emir Abdelkader Teacher for the World** **Dr. Kathy Garms** **cofondatrice et directrice exécutive de l'Abdelkader Education Project (AEP)**
51	❁ **L'émir Abdelkader el-Djazairi Modèle universel du vivre ensemble** **Dr. Mustapha Cherif** **Ancien ministre et ambassadeur, sociologue et professeur d'université**

المواد المنشورة في هذا الكتـاب لا تعبر إلا عن آراء أصحـابهـا
ولا تمثل بالضرورة وجهة نظر القـائمين على الملتقى
ولا تلزم بأي حـال من الأحوال
المركز الوطني للدراسـات والبحث في المقـاومة الشعبية والحركة
الوطنية وثورة أوّل نوفمبر سنة 1954

محفوظة جميع الحقوق

للمركز الـوطني للدراسـات والبحث في المقـاومة الشعبية والحركة
الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة 1954
العنوان: 63 شـارع انتصـار 23 نوفمبر 1836 الأبيـار (الجزائر)
الهـاتف: 023.05.10.73
الموقع الإلكتروني: www.cnerh-nov54.dz
البريد الإلكتروني: cnerh@cnerh-nov54.dz

*** الكلمات الرسمية ***

كلمة وزير المجاهدين وذوي الحقوق
والإعلان عن افتتاح أعمال الملتقى الدولي

السيد: العيد ربيقة

وزير المجاهدين وذوي الحقوق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

- السيد رئيس المجلس الشعبي الوطني

- السيد المستشار لدى رئيس الجمهورية المكلف بالشؤون المتعلقة بالأمن والدفاع

- السيد المستشار لدى رئيس الجمهورية المكلف بالشؤون الدينية والزوايا والمدارس القرآنية

- السيد ممثل الوزير المنتدب لدى وزير الدفاع الوطني رئيس أركان الجيش الوطني الشعبي

- السيد ممثل رئيس مجلس الأمة المجاهد صالح قوجيل

- السيد ممثل وزير الدولة وزارة الشؤون الخارجية والجالية الوطنية بالخارج والشؤون الإفريقية

- السيد عمدة مدينة القادر بالولايات المتحدة الأمريكية ومن خلالكم كل ضيوف الجزائر الأكارم، تحية خاصة لضيف الجزائر من الولايات المتحدة الأمريكية

- السادة الرؤساء والأمناء العامون للهيئات الدستورية

- السادة ممثلي الأسلاك النظامية مع حفظ الألقاب والرتب

- الأب المجاهد السيد الأمين العام للمنظمة الوطنية للمجاهدين ومن خلالكم السادة الأمناء العامون للمنظمة الوطنية لأبناء الشهداء وكل المجاهدات والمجاهدين وأبناء وبنات الشهداء والمجاهدين

- السيدات والسادة ممثلي السلك الديبلوماسي المعتمد في الجزائر

من خلالكم أوجه تحية إكبار وإجلال لمجاهدينا ومجاهداتنا وللوالدة الفاضلة السيدة الوزيرة والأديبة والمثقفة زهور ونيسي الحاضرة معنا

- الوالد الفاضل سي مصطفى بودينة الشهيد الحي ومن خلالكم كل الجزائريين والجزائريات الذين هم فرع من ذلك الأصل الطيب من أسر المجاهدين والشهداء

- بناتي وأبناء الطلبة

- أسرة الإعلام

- الحضور الكريم... السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

إنه لشرف عظيم لنا اليوم أن نلتقي اليوم، تحت الرعاية السامية لرئيس الجمهورية السيد عبد المجيد تبون، لنستذكر معًا رائدًا من رُواد الجهاد والمقاومة والسلم، ورمـزًا من رموز الحضارة الإنسانية، وقطبًا ربانيًا من أقطاب التصوّف والعلم، إنه الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري، ويطيبُ لقائنا في هذا المعقل الرّامز للفخر والعنفوان، مؤسسة النادي الوطني الجيش، ووسط هذا الملأ الذي يجمع في حضرته نخبة من جيل التحرير، مع نخب الفكر والعلم والمعرفة، مرحّبين بضيوف الجزائر الأكارم الذي نتشرّف بحضورهم معنا في فعاليات هذا الملتقى الدولي.

لقد تجّلى في شخصية الأمير عبد القادر، أبعاد متعدّدة، فهو صاحب مجد أثيل، وعالم بشؤون دينه ومحيط ثقافة وتاريخ أمته، ومتبحر في شؤون السياسة والديبلوماسية، وقائد عظيم، عاش في تواضع الكبار، وتحلّى بزهد التقاة الأبرار، فكان في حياته قبلة ومحجة ونهجاً، وظلّ في مماته رحمه الله

ذكرا خالدا، في مهج كلّ محبي الخير والعدل الذين جعلوا منه مثلا وعبرة في كل ما تتنزل به القيم، وتتصف به المكارم، طيّب الله ثراه.

إن القائد الكبير الأمير عبد القادر هو شامة على جبين تاريخ الإنسانية، بالنظر إلى مواقفه التاريخية، وفضله في سن تشريعات أسست لحقوق الإنسان بمفهومها الحديث، وتفتحه الكبير على آراء الآخرين واحترامه لهم، وبقبوله محاورة من يخالفه في القناعات خلال الحرب والسلم، في زمن كانت قد غلبت فيه دلائل التطرّف وصفات التشدد، زمنٌ سيطر فيه آنداك التعصّب الديني والمذهبي في العالم أجمع... إنها قرائن عديدة وغيرها اشتهر بها أميرنا المبجّل في ذلك الزمن دون غيره.

- أيّتها السيدات الفضليات، أيّها السادة الأفاضل

لقد بايع الجزائريون الأمير عبد القادر، ليكون قائداً للمقاومة... ومؤسساً للدولة الجزائرية الحديثة التي اتسمت بطابعها الأخلاقي الذي تتميز به قوانينها ويتحلّى به الرجال الساهرون على تطبيقها، والتوزيع المحكم للسلطات التنفيذية والتشريعية والقضائية داخل هذه الدولة بما فيها الجيش، وعلاقته الخاصة بالأمير الذي يرعاه بعنايته السامية ليكون الدرع الواقي للأمة. بالإضافة إلى سعي الأمير الحثيث إلى إنشاء صناعات عصرية وبناء اقتصاد وربط علاقات دبلوماسية وتجارية مع الدول الكبرى.

إنّ فترة مقاومة الأمير التي دامت **15** سنة ضد الاحتلال، هزم فيها جنرالاتها تباعاً في كل المواقع والمعارك، ونكث فيها المحتل كلّ العهود والاتفاقيات، واستمرّ في إبادة شعبنا، حتى ضعفت الإمكانيات لدى جيوش الأمير لطول مدة الحرب والمقاومة وتعاظم قوّة المحتلّ، وخيانة حكم المخزن بقيادة السلطان عبد الرحمن بن هشام وحاشيته الذين شكّلوا جيشاً جراراً

لقتال الأمير عبد القادر، لكن الأمير هزمهم في أكثر من منزلة وموقعة تاريخية... لقد كانوا ولازالوا خونة لرابطة الدّم والجيرة والأمة.

- أيها الجمع الكريم

إن المسيرة الغراء للأمير عبد القادر، يتجلّى فيها تاريخ ناصعٌ من لبطولة والإخلاص والوفاء للأمة والوطن، كما تتجلى فيها سلوكاته التي ترفض الخنوع وتنتصر للحرية، وتضحي في سبيل القيم السامية، وتتسم بحسّه الحضاري، ليس فقط مع أصفيائه وشركائه في العقيدة والتاريخ، بل حتى مع أعدائه... فكلّ مظاهر الحضارة تتجلى في مسلك هذا الرجل العظيم، وجليل أعماله ونُبلِ مواقفه، بما تمليه عليه مبادئه ومسؤولياته، كقائد يكرّس قيم العدل بين الجميع.

إنّ قوّة إيمان الأمير وسيرته الجهادية والنضالية والسياسية، وأثرهُ الفكري والأدبي والصوفي، يعدّ إرثاً إنسانياً يتجاوز حدود الجزائر، مخترقاً الأزمنة والعصور، ليظلّ قدوة لما يجب أن تكون عليه العلاقات بين الأمم والشعوب، وبذلك يعد الأمير عبد القادر الجزائري من أعظم الشخصيات التاريخية في العالم أجمع.

وليس من باب صدفة، أن تطلق اسمه الولايات المتحدة الأمريكية على أحد مدنها، ألاَ وهي مدينة "القادر"، فتحية لسكان هذه المدينة التي تحمل اسم هذا الرمز العظيم، كما أن كثير من عواصم العالم يوشّح اسمه شوارعها وساحتها الكبرى، عرفاناً بجليل أعماله وحسن صنيعه.

وليس اعتباطاً أيضاً، أن يتبارى العلماء والمؤرخون والأدباء في الاستثمار في فكره ومسيرته الكريمة؛ ولا نحسبُ الأمير بنضاله وقيمه ومكانته في الوجدان إلاّ خلفية مباشرة لنضال شعبنا عبر المقاومات الوطنية والحركات

السياسية والإصلاحية، وصولاً إلى ثورة أول نوفمبر **1954**م، التي كان قادتها وجنودها يلتمسون من مقاومته وجهاده وصدق مواقفه، عِبراً نازلوا بها العدوان إلى أن حقّقوا حلمهُ في تحرير الجزائر واسترجاع سيادتها.

- أيتها السيدات الفضليات، أيها السادة الأفاضل

ليست من الصدفة كذلك، أن تقوم الجزائر على عهد الزعيم الراحل هواري بومدين باسترجاع رفاته الطاهرة، ودفنها على أديم وطننا المفدى، والعمل على حماية مآثر الأمير عبد القادر بن محي الجزائري، وأمثاله من عظماء هذا الوطن الشامخ، والحفاظ على ذاكرتهم، والسهر على إيصال رسالتهم إلى الأجيال الصاعدة والعالمين.

وما هذا الملتقى الدولي حول التجليات التاريخية والحضارية والتراثية للأمير عبد القادر الجزائري، وهذا الاهتمام بذاكرته من طرف رئيس الجمهورية السيد عبد المجيد تبون الذي أضفى عليه كريم رعايته السامية، ومبادرته بعمل سينمائي بأبعاد عالمية حول الأمير عبد القادر، وكذا إنجاز الجزائر لمعلم كبير للأمير بولاية وهران، إلاّ دلالة أخرى على تقدير السيد رئيس الجمهورية لرموز وطننا وقادته الأفذاذ الذين رفعوا رايات العزة والمجد.

رحم الله أميرنا، القائد الأشم والقطب الرباني الأعظم، وجعله نبراسا لنا، نستنير بنوره في عالم قلّ فيه أمثالُه من الصادقين والأوفياء، وأعلن عن افتتاح هذا الملتقى الدولي: "في ضيافة أمجاد الأمّة... التجليات التاريخية والحضارية والتراثية للأمير عبد القادر الجزائري"، متمنياً لفعالياته التوفيق والسداد والنجاح. المجد والخلود للشهداء الأبرار، شكراً على كرم الإصغاء.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

الافتتاحية

✍ الأستاذ الدكتور: حسين عبد الستار

الافتتـاحية

بِسْـــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين

وأفضل الصلاة وأزكى التسليم على أشرف المرسلين

يسعدنا أن نقدم لقرائنا الكرام هذا الكتاب الذي تضمن أشغال الملتقى الدولي في ضيافة أمجاد الأمة: التجليات التاريخية والحضارية والتراثية للأمير عبد القادر الجزائري، والذي جمع بين طياته بحوثا ودراسات قيمة، بأقلام عديد الأساتذة والباحثين من داخل الوطن وخارجه.

تاريخ الجزائر عظيم شامخ، عظمة وشموخ صانعيه من الرجال الأبطال، والقادة الأحرار، يتقدمهم فخر الجزائر، القائد الفذ، ورجل الدولة المحنّك والمثقف النبيل والمتفتح، ورمز المقاومة الوطنية ضد الاستدمار الأمير عبد القادر بن محي الدين الجزائري، فحيثما وليت وجهك، وجدته الثريا في سماء سير أعلام النبلاء، بما حملته سيرته ومسيرتة العطرة، من مناقب فاخرة، وصفات جليلة، وأخلاق جميلة، قلما جُمعت لفرد واحد من الرجال، فحُقَ له أن تتمثل الأمة فيه، وفي وعي القائد الذي جسده -في شخصية باعث الدولة الجزائرية الحديثة-، بذاته وتجربته التاريخية، وأصالته التراثية، كذا هويته التي ساهمت في صياغة أهدافه ورؤيته، وفي زيادة قوته وقدرته على تحقيق الانتصارات والإنجازات الحضارية، حتى وهو بعيد عن الجزائر التي فارقها اضطرارا، وما فارقت وجدانه وروحه قط، حتى فارقت هذه الأخيرة جسده في **26** ماي **1883**م بمدينة دمشق.

إن الأمير عبد القادر الجزائري يجسد بحق ولاية الحاكم العادل، سلطان الجزائر، المؤيد برأيه، المستصحب لعزمه، ذلك أنه استطاع بحسن تدبيره، وشدة شكيمته، أن يمصّر الأمصار، ويجنّد الأجناد، ويدوّن الدواوين، وأن

الافتتـاحية

يقيم الدولة بعد انقطاعها -ببيعة أبرم عقدها-، تشهد له بذلك سيرته الجهادية والنضالية، المستمدة من عزيمته وإرادته القوية، ففي الوقت الذي قل فيه الناصرون وكثر فيه المتخاذلون، بل وتحالف ضده الأعداء والمنافقون، بقي الأمير عبد القادر الجزائري رافعا لواء الجهاد والمقاومة لمدة خمسة عشر سنة، معتمدا على الله، وعلى الصادقين من أبناء وطنه.

وإلى جانب حنكته العسكرية والديبلوماسية التي أرختها كتب التاريخ بكل اللغات، تميز بمسؤولية كبيرة اتجاه شعبه ووطنه، فبعث الدولة الجزائرية الحديثة، الأمر الذي أجبر المستعمر الفرنسي على الاعتراف بدولته، وما زاد من ثقل هذا الرجل الفريد من نوعه، الاحترام والتقدير الذي ناله حتى من أعدائه، فسعيه الدائم لزرع روح التسامح، والأخوة والعيش في سلام، أكسبه شهرة عالمية، وستظل قصة باب توما الشهيرة التي أنقذ فيها الأمير نصارى دمشق سنة **1860**م عندما آواهم في قصره، من أروع الرسائل الإنسانية التي قدمها في بناء التعايش وتقبل الآخر.

لم يكن الأمير عبد القادر الجزائري يجسد فقط سلطة الحكم والسياسة، بل مثل أيضا سلطة العالم المجتهد، العارف بدينه، المتبحر في علومه، قطبًا ربانيًا من أقطاب التصوّف والعلم، حيث تعد سيرته إرثاً عالميا تجاوز حدود الدين والوطن، وتعدى أبعاد الأزمنة والعصور، ليشّكل في شخص الأمير تلكم القدوة ذات القيمة الحضارية، والقامة الإنسانية، والتي قل نظيرها في علو الهمة، وسمو الروح، فلا السياسة أفقدته مبادئه وأخلاقه، ولا الحرب جردته سماحته ورحمته، ولا الأسر والنفي أنساه الجزائر وطنه.

كلمة رئيس الملتقى

✍ الأستـاذ الدكتور: بوعزة بوضرسـاية

كلمة رئيس الملتقى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

- الحضور الكريم، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

- السيد رئيس المجلس الشعبي الوطني

- السادة مستشاري الرئيس

- السادة ممثلو وزارة الشؤون الخارجية

- السيد الأمين العام للمنظمة الوطنية للمجاهدين ومن خلاله كل المنظمات الثورية

- السادة الحضور

- السلك الديبلوماسي

- ضيوفنا الأعزاء كل باسمه ومقامه

انطلاقا من التوجيهات التي قدمها السيد رئيس الجمهورية الرامية إلى الحفاظ على الذاكرة الوطنية، وإبراز معالمها في شتى المجالات، كما ألح السيد الرئيس على ضرورة الاهتمام بالتاريخ الوطني، ورموزه التي صنعت مجد هذا الوطن العزيز، وكتبته بأحرف من ذهب، من هذا المنطلق ارتأت وزارة المجاهدين وذوي الحقوق بالتنسيق مع وزارة الشؤون الخارجية والجالية الوطنية بالخارج تنظيم هذا الملتقى الدولي حول مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، في إطار الذكرى السبعين لاندلاع الثورة الجزائرية المجيدة.

إن الهدف الأسمى لهذا الملتقى هو استمرارية الوفاء، أقول استمرارية الوفاء للعهد الذي قطعته الجزائر الجديدة على نفسها بأن تسمو برجالها

وعلمائها ومفكريها، وتحافظ على دورها الحضاري في كيان هذه الأمة، وضمن الذاكرة الوطنية لهذا الشعب الأبي يبقى الأمير عبد القادر الجزائري شعلة تنير مسار هذه الأمة، بما قدمه من تضحيات جسام، فكان ملهم أحفاده مجاهدي ثورة أول نوفمبر **1954**م، الذين حققوا حلمه الذي راوده مدة خمس عشرة سنة من الكفاح المرير ضد الاحتلال الفرنسي، والهدف هو دحر الاحتلال الفرنسي إلى أبد الأبدين. وفعلا حقق حلمه هؤلاء الرجال الأشاوس في **05** جويلية **1962**م.

فالأمير عبد القادر الجزائري يعتبر رجلا بأمة، أحد عظماء الجزائر، وأحد رجالها الأشاوس، دوّن تاريخ الجزائر المعاصر بملاحمه البطولية، كان سيفه والغمد في يده ويراعه، هو السم القاتل الذي تجرعته فرنسا وقادتها العسكريون آنذاك، إنه بجدارة مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة.

مرت حياته بثلاث مراحل ولن أخوض غمار هذه النقاط لأن هنالك أساتذة سيتناولونها في الموضوع بإسهاب، المرحلة الرئيسية الأولى هي مرحلة طلب العلم، وما تم إنجازه خارج إيالة الجزائر، المرحلة الثانية وهي الأساس كانت عندما اشتد عوده، وأصبح مؤهلا لقيادة الجهاد والمقاومة التي دامت **15** عاما لم يكل خلالها ولم يمل، أما المرحلة الأخيرة عرف فيها الأسر، لكنه في أسره كان مرفوع الرأس، فجادت قريحته الشعرية والأدبية وأبانت عن قوة هذا الرجل وسعة معارفه، لكن القدر شاء أن تكون نهاية مطافه غريبا عن حبيبته الجزائر، حيث قضى ما تبقى من عمره، لكن مناضلا من أجل قضية عادلة هي قضية الجزائر، ليتوفى في دمشق **26** ماي **1883**م.

لقد استطاع الأمير عبد القادر الجزائري أن يبرهن للعالم آنذاك أنه جزائري أصيل بنبله وأخلاقه، ليصبح ذلك الأنموذج الفريد في مبادئ إنسانيته، ناهيك عن علو كعبه في الجانب العلمي والمعرفي، ولعل المؤلفين

الذين كانت إنسانيته محورا سمى بها، هي التي ألهمت العديد من الكتاب والمؤلفين، بل كانت محورا متميزا للعديد من الدراسات الأدبية من كل اللغات، ناهيك عن اعتزاز بعض الدول العظمى بهذه المبادئ، فراحت تطلق اسمه على بعض مدنها، لتشهد على عظمة هذا الرج، وعظمة الجزائر.

- أيها الحضور الكريم

إنه الأمير عبد القادر الجزائري الذي أكد على بعد وطنيته، التي ملكت وجدانه فكان يتمتع بحس استراتيجي كقائد عسكر؛ وقد قال في هذا المنحى ما يلي: "لا تحاربوا الفرنسيين في جمع كبير، بل الاقتصار على مضايقتهم ومطاردة أجنحتهم، وقطع اتصالاتهم والوقوع على معداتهم ووسائل نقلهم، والتراجع الخادع، ونصب الكمائن والهجوم المفاجئ لإذاعة الارتباك والحيرة والدهشة فيهم"، نعم تلك هي الاستراتيجية العسكرية التي سيتبناها أبناء ثورة نوفمبر **1954**م.

إذا كانت الدولة الأمريكية سارعت إلى تسميت إحدى مدنها بالأمير عبد القادر، فإن مفكريها هم أيضا أشادوا بإنسانية الأمير عبد القادر، حيث قال فيه الصحفي الأمريكي الشهير جورج دبليو دسن: "العالم بحاجة إلى فكر الأمير عبد القادر فهو شخصية رائدة تجلت فيها الفضائل الأربعة التي حددها الفيلسوف الإيطالي وهي الذكاء والأسلوب الصحيح والشجاعة الأخلاقية وضبط النفس"، وقد قال عنه أحد غلاة الاستعمار من قادة الجيش الفرنسي: "لقد عرفت عبد القادر أنه أعظم وأكثر إثارة للدهشة، لطيفا بسيطا ومتواضع".

الحضور الكريم

كلمة رئيس الملتقى

سأنهي مداخلتي ببعض الأقوال للأمير عبد القادر: "لو جمعت فرنسا سائر أموالها وخيرتني فرنسا بأن أكون ملكا عبدا أو أن أكون حرا فقيرا معدما لاخترت أن أكون حرا فقيرا".

لقد قالها رئيس الجمهورية السيد عبد المجيد تبون: "نحن شعبا حر، لا نهرول ولا نطبع".

أكتفي بهذا القدر، فقط هناك أبيات للأمير عبد القادر سأقولها وأنهي هذه الكلمة:

ورثنـــا ســـؤددا للعـــرب يبقـــى ومـــا تبقـــى الســـماء ولا الجبـــال

وكـــان لنـــا دوام الـــدهر ذكـــرٌ بـــذا نطـــق الكتـــاب ولا يـــزال

ومنّـــا لـــم يـــزل في كـــل عصـــرٍ رجـــالٌ للرجـــال هـــمُ الرجـــال

تحيا الجزائر، عاشت الجزائر حرة أبية، المجد والخلود لشهدائنا الأبرار.

والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

كلمة رئيس المجلس الإسلامي الأعلى

الدكتور: مبروك زيد الخير

كلمة رئيس المجلس الإسلامي الأعلى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى وصلى الله وسلم على عباده الذين اصطفى

- السيد وزير المجاهدين

- السادة الوزراء الموقرين

- السادة الضيوف

- الحفل الكريم

رحم الجزائر خصبة، وتاريخها يعج بأبرع المواهب، وأرفع الهمم، وأسمى البطولات، وأرقى المبادرات، ولم تخل حقبة من التاريخ، ولا فترة من حضارة الجزائر الزاهرة، من معالم للعمران، ومظاهر لعبقرية الإنسان، وقد أنتجت الجزائر قامات وهامات، ونسجت من بطولات عظمائها الأساطير والملاحم.

لقد بقيت الجزائر رافعة الهامة، سامية القامة، على مرور الدهور، وتلاحق العصور، حتى جاء الموج الاستعماري العاتي، فأت على بنيان هذه القواعد، وتسلل إليها في ذلك الليل البهيم، من ربوة سيدي فرج، كما يتسلل اللصوص اللئام في جنح الظلام، وفي ذلك الخضم العاتي، نال شعبنا الصبور من ألون القهر والتمادي في الظل والطغيان، ما لا يعبر عنه لسان، ولا يحيط به بيان، وكانت أعلى المقاومات قدر، وأوسعها انتشار وذكر، مقاومة الأمير عبد القادر الجزائري، الذي كان بحق الفارس المغوار، والبطل الفذ الذي لا يشق له غبار، وكان ذو عقل ألمعي، وفكري أحوذي، امتلأ حماسة وهمة، وتعمق تحصيل وعلم، وساح بفكره اللماح إلى أرقى الآمال، وأسمى الطماح، وأذاق أعداءه من بأسه، ما خلده التاريخ في درسه، وغلب فرنسا اللجوج،

فأمطرها بالهزائم والمعارك، حتى وقع أسيرا بفعل الدسائس الخفية، والمكر المخبوء في ثنايا الأحداث، فانتقل إلى حصن أمبواز، ليمتثل ويمثل الشموخ الفارع، والتعفف الرائع، والوطنية المثلى، وفي دمشق حمى أهل الذمة من المسيحيين، فانهالت عليه الأوسمة والنياشين، وأصبح شامة في الدنيا، وقامة في الشموخ، لأنه عرف بالسلام والتسامح والرحمة، وسيبقى أثره ممدودا، وذكره مشهودا، ليبلور ما عبر عنه ملتقاكم بـــ: (التجليات التاريخية والحضارية والتراثية للأمير عبد القادر الجزائري)، بما نرجو أن ينقب عنه الباحثون في ثنايا الكتب، وصفحات المخطوطات، التي كانت حصيلة ثقافة الأمة، وعنوان حضارتها المهمة، وما تحويه الكتب الجامعة، والحواشي الماتعة، من الإضافات الرقيقة، والتحليلات العميقة، والدراسات الأنيقة، رجاء نفض الغبار عن هذه الآثار. فهنيئا لكم بهذه المبادرة الخيرة، وهذه اللقية العطرة، وشكر الله للمنضمين، والحاضرين، والمحاضرين، والضيوف أجمعين، ما قدموا من مفيد، وما حاولوا من تجديد، لربط الأجيال اللاحقة بعبقرية الأمير الفائقة.

وأخيرا، فإن تاريخ الأمير هو رمز الجزائر على المدى، وسيبقى تراثه في الأيام والعصور، هاديا لمن اهتدى، وقد جمع الله له العلم الشريف، والشرف المنيف، والخلق العالي، والذكر الغالي، وقد قال في صورة له، رسمها رسام فرنسي معجبا بشخصيته.

لئن كان هذا الرسم يعطيك ظـاهري ... فليس يُريكِ الرسـم صـورتنا العظمـى
فثمّ وراء الرسـم شـخصٌ محجّـبٌ ... لـه همّـةٌ تعلـو بأخمصـها النجمـا
وما المرء بالوجه الصـبيح افتخـارُه ... ولكنـه بالعقـل والخُلُـق الأسـمى
وإن جمعـت للمـرء هـذي وهـذه ... فـذاك الـذي لا يبتغـى بعـده نعمـى

والسلام عليكم ورحمة الله

كلمة عميد جـامع الجزائر

✍ الشيخ: محمد المأمون القـاسميّ الحسنيّ

بِسْـــمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا ومولانا وحبيبنا محمد سيد الأنبياء والمرسلين وجد أمير الجزائريين وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين، أما بعد:

- حضرة الفاضل السيد وزير المجاهدين وذوي الحقوق

- حضرة الأساتذة الأفاضل

- ضيوف الجزائر

- أيها السادة والسيدات أحيكم جمعينا بتحية الإسلام، فالسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته

اجتمعنا اليوم في رحاب الجزائر، في هذه الأرض التي ما غاب عنها البطولة يوما، وما انطفئت في سمائها شمس العزة والكرامة، نجتمع في ضيافة الأمير عبد القادر هنا في هذا الوطن الذي تعانق جبال عزه سحاب الكرامة، وتتحدث صخوره بلغات المجد، نحتفي برمز من رموز الأمة، وفخر من أفذاذ التاريخ، هذا الرجل الذي اختزل أمجاد الأمة في شخصه، وصاغ معاني اسمه بأحرف من ذهب.

عندما نستذكر الأمير عبد القادر إنما نستلهم من سيرته معاني الشجاعة، الشجاعة المتوجة بالإيمان والحكمة، المكللة بالرحمة والعلم، العلم المزدان بالتقوى.

إنه رجل عابر للزمان والمكان، عاش في وجدان الجزائريين، واستظل بظله العالم بأسره، أما شجاعته فقد كان فارس يمتطي جواد الحق، ويتمنطق بسيف العزة، وقف شامخا أمام جحافل الاستعمار البغيض، لا يهاب الموت،

ولا تزلزل عزمه عواصف الظلم والطغيان، حمل راية الجهاد عاليا، وواجه أقوى الإمبراطوريات بجيش قليل العدد، لكنه عظيم العزيمة، مؤمن بأن الله مع الصادقين، وأما حكمته فقد كان أميرا عادلا، يقيم أركان دولته على ميزان الحق، ويدير شؤونها بنور العلم، آمن بأن القيادة ليست سلطان يطلب، بل أمانة تحمل، فكان في قومه مرشدا، وفي أعدائه ندا، وعند العالمين قدوة، أما علمه وأدبه فقد كان بحر زاخرا، ينهل من معين الشريعة والحقيقة، يغوص في أعماق الأدب والفلسفة، وكان شاعر ينسج من الكلمات لآلئ تعكس روحه العاشقة لله والوطن والإنسانية، أما الإنسانية فهي تاج مآثره، وأجمل صفاته، فكان قلبه يحمل نور الرحمة في أحلك الظلمات، فأكرم الأسرى وحمى الأبرياء، وغفر لخصومه ليكون رمز للعظمة التي تتجاوز الأحقاد والضغائن.

- حضرات السادة والسيدات

إن الأمير عبد القادر لم يكن مجرد قائد عسكري أو رجل دولة، بل كان تجسيدا حيا للمعاني الكبرى التي قامت عليها حضارتنا الإسلامية، فلقد جمع بين العلم والعمل، السيف والقلم، وبين الروحانية والبأس، وكان بذلك عنوان للإنسان الكامل الذي يلتقي فيه السمو الأخلاقي بالعظمة الإنسانية.

نسأل الله أن يجزي عنا وعن أمتنا، عن وطننا وأوطان المسلمين وعن الإنسانية جمعاء، أن يجزي الأمير عبد القادر خير ما يجزي به عباده المحسنين، وأن يجعل أعماله وجهاده في صحائف أعماله وميزان حسناته، وأن يلحقنا به في الصالحين، اللهم إجماعنا به في مستقر رحمتك، ودار كرامتك، ومقام أوليائك، ممن انعمت عليهم من النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيق، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

A word from the Mayor of Al-Qadir City
Mr. Josh Pope

Minister of Mujahideen and Rights Holders Laid Rebiga

Minister of Foreign Affairs Mohamed Sidati

Minister REBIGA, Minister SIDATI, special friends and dignitaries

Thank you for inviting me to this international forum "Hospitality of the Glories of the Nation .

My name is Josh Pope. I am honored, as mayor of the City of Elkader, and on behalf of our citizens, to express to you our warmest greetings of peace and friendship as you commemorate the 70th anniversary of the Glorious Liberation Revolution along with the 192nd anniversary of the first pledge of allegiance of the Algerian Emir Abdelkader. Thank you for inviting me to join this day.

Our community, Elkader, named after the courageous and world-famous Algerian, Emir Abd Elkader, is quite small in population, but it stands out in greatness and is one of the most vibrant communities of its size in the State of lowa. Like the Emir, it is a leader and example for others to follow.

In recent years travel from Algeria to the United States has been limited. I am looking forward to time when it is again easier to visit and we can revive our visits and exchanges of people, students, art work and entertainment. Our Sister City relationship was made official 40 years ago - in 1984. That

relationship laid a good foundation but now we need to build on that foundation.

Exchanges and visits foster a better understanding of the individuals involved, which leads to a greater understanding of the community and countries involved. This understanding allows for improved communication and a more compassionate view of people. I believe this follows the philosophy of the Emir himself, as he reached out with compassion and peaceful

solutions in matters affecting his people, and even when dealing with his enemies.

WE NEED TO work together to re-establish exchanges and build on the Sister City foundation. I ask for your help with making the correct contacts to achieve this.

I believe that the visits and exchanges between Elkader and Algeria will carry out some of those humanitarian principles envisioned by the Emir, and will serve as a great example to the rest of the world as to how people of different cultures can live together in trust, peace, and understanding.

I am convinced that, together, we can overcome any challenges we are facing...and with that we can inspire a younger generation to carry these values into the future.

Our school has been trying to incorporate ways to educate our students in areas beyond books and classroom knowledge. They are trying to make sure that they have the skills to be good employees when they graduate, and good citizens of our community and the world.

Programs like student exchanges directly relate to this. Exchange programs, whether in person or via internet, improves communication skills, encourages students to understand others, explore the differences with others and improve their ability to empathize with others. Programs like this make students realize they are global residents.

Students can draw on Emir Abd Elkader's life story and values - courage, integrity, intellect, and compassion --that transcend culture and faith traditions.

A wonderful example of inspiring a younger generation is the Abd Elkader Education project (AEP) Elkader is pleased and fortunate to have the global AEP based in Elkader. Ms. Kathy Garms is also here today share information about that program.

A word from the Mayor of Al-Qadir City

On the occasion of the anniversary of the Algerian Revolution and the Allegiance of the Emir, I am pleased to extend my best wishes to you. I

personally wish you health and well-being, as well as peace and prosperity for your country.

I appreciate this very special event and offer my fondest thanks for the courtesies you are extending to me as I represent Elkader. I hope when you are visiting the United States you will plan to visit the city named after the Emir.

*** المداخلات العلمية باللغة العربية ***

العمـارة والعمران لدى الأمير عبد القـادر الجزائري كبعدين للسيـادة والهوية الوطنية

✍ الدكتورة: أميرة زاتير

المدرسة المتعددة العلوم للهندسة المعمـارية والعمران

- مقدمة

تمثلت العمارة في دولة الأمير عبد القادر في تشييدات عسكرية مدنية ودينية عكست تخطيط عمراني دفاعي وذلك نسبة لوجود المحتل الفرنسي على أرض الجزائر، والذي خطط لاحتلال حواضر جزائرية وفرض هيمنته، الأمر الذي دفع بمؤسس الدولة الجزائرية المعاصرة بتشييد مدن محصنة دفاعية وتجمعات عمرانية محصنة على شاكلة القلاع والاستحكامات، والتي كانت تسعى لضمان معيشة واكتفاء ذاتي لساكنتها والعساكر على حد سواء.

تراوحت اختلافات المراجع في تحديد هذه الحـواضر المحصـنة الجديـدة فمنهم من يقول بأنها تتمثل في: قلعة تاقدمت وتازة وسعيدة وسبدو وبوغار وبوخرشفة وزاوية بلخروب وبرج عريب ببلاد حمزة (البويرة) وبرج سباو تيزي وزو وحصن بسكرة، وحصن شرشال وكذا من ذكر الجلفة. وهناك من اعتبر أن المدن الدفاعية المكتملة فعليا كانت خمـس هـي: تاقـدمت بتيـارت **1252**هـ/**1836**م. تـازة بتيسمسـيلت **1254**هـ/**1839**م. وسـعيدة **1255**هـ/**1839**م. وسبدو أو تافراوة بتلمسان **1255**هـ/**1839**م. وبوغـار بالمدية **1255**هـ/**1839**م.

من جهة أخرى، اختلف مؤرخون وباحثون وحتى ضباط فرنسيون في وصف النمط المعماري للتشييدات داخل هذه المدن الدفاعية، فمنهم من يصف بالرداءة وعدم الإتقان، وقسم يصفها بالجودة والإتقان والرونق. إضافة نجد عبر ربوع امتداد الدولة الأميرية تشييدات أخرى على سبيل الذكر: مصهرة الحديد ومطحنة البارود في تلمسان ومصنع الأسلحة في مليانة، قلعة معسكر ومصنع قلعة بني سنوس وحصن شرشال ومعسكر بوخرشفة وقلعة بلال.

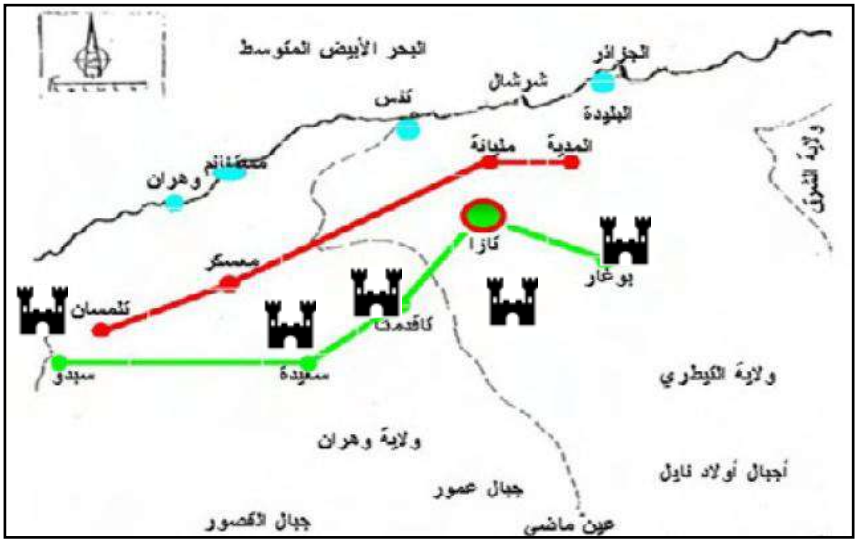

فيما يلي عرض للمدن الدفاعية المشيدة من طرف الأمير في دولته وكذا العاصمة المتنقلة الزمالة، ثم نعرج إلى العمارة المشيدة من طرفه في منفاه بدمشق. كمقاربة من أجل بلورة الطراز المعماري الخاص بالأمير عبد القادر. مع منهجية إعادة تصور علمي باستعمال تطبيقات هندسية معمارية كأولى الفرضيات لنماذج المدن المحصنة في دولة الأمير عبد القادر.

- معسكر

قلعة معسكر ومصنعها الحربي كتب دوماس (Daumas) في الرسالة التي بعث بها إلى أوفراي بتاريخ **13** ديسمبر **1837** أن لمعسكر قلعة يحكمها

عبد القادر، وأن هذه القلعة تحميها مدافع، كما أن في معسكر مصنعا للسلاح فيه البنادق، وتجهز الخراطيش وما من شك في أن صناع الأسلحة في هذه المدينة هم من أمهر الصناع. مطحنة البارود في قلعة بني راشد كتب قنصل معسكر، دوماس، بتاريخ **27** مايو **1838** إلى الجنرال راباتيل يقول: "لقد كلف حميدو بإقامة مطحنة جديدة للبارود في القلعة (بني راشد) على نمط مطحنة تلمسان" وبينت المراجع قلعة بني راشد توجد على بعد سبعة فراسخ إلى الشرق من معسكر: وعلى بعد فرسخين ونصف من البرج.

- تاقدمت (1836)

صورة (google earth) أطلال تاقدمت

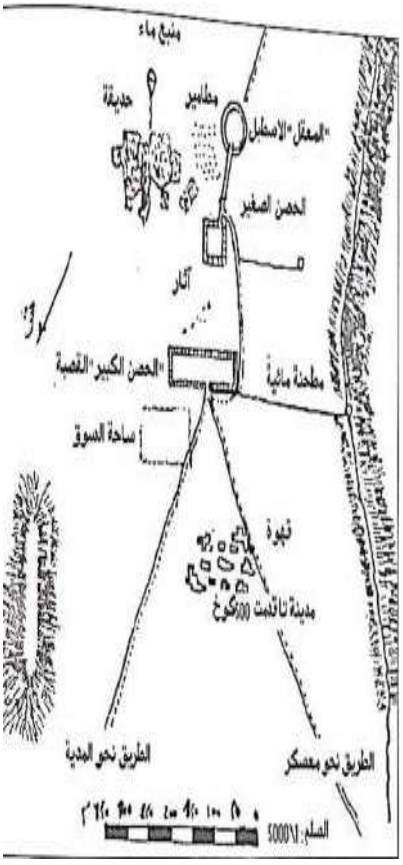

مخطط قلعة تاقديمت (Warnier)

شيد الأمير عبد القادر على أنقاض العاصمة الرستمية تيهرت بين عامي **1835** و**1841** عاصمة جديدة "تاقدمت" خطط الأمير عمرانيا للمدينة. والتي كانت تتألف من حوالي مائتي منزل ويبلغ عدد سكانها ألفي نسمة. قال ليون روش إنه شيد أمام القرية حصنًا به مستودعات للذخيرة والمؤن وخطط لإقامة ورش هناك لتصنيع الأسلحة. تحدث الأمير عبد القادر بحماس عن هذا المعقل البارز، فقال: "كان من المقرر أن تصبح تاقديمت، في مشاريعي، مدينة ضخمة، مركزًا يربط تجارة التل بتجارة الصحراء. هذه النقطة أسعدت العرب. جاؤوا ليستقروا هناك بسرور، لأنهم وجدوا مزايا عظيمة هناك".

إعادة تصور الدكتورة زاتير أميرة

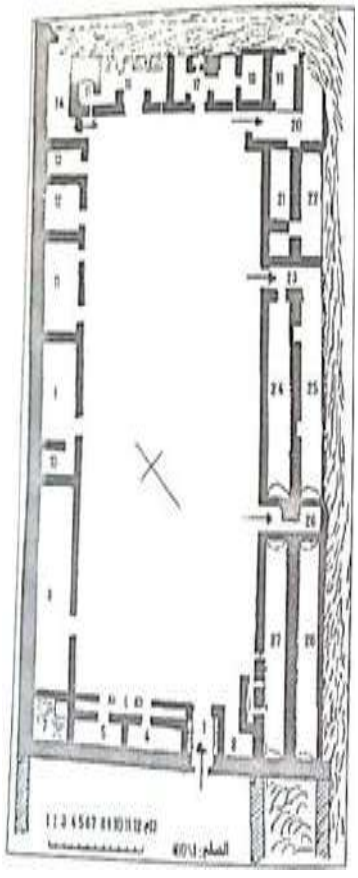

مخطط قصبة تاقديمت (G, Marçais)

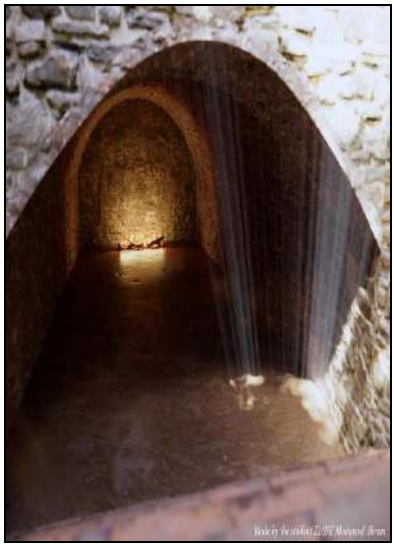

إعادة تصور ثلاثي الأبعاد داخل المسجد
الدكتورة زاتير أميرة

منظر عام لواجهة المسجد حاليا

- سبدو: في سبدو شيد خليفة الأمير بتلمسان بوحميدي، حصن يدعى أيضا "تفراوة"، ويستطيع إيواء **3000** مقاتل من يؤدي إليه، وكان بوحميدي أخطر سكان تلمسان بعدم القيام بأي عملية تموين في هذه المدينة بل عليهم أن يتأهبوا لنقل أمتعتهم ومحاصيلهم إلى "تفراوة". وقد استولى الجنرال بيجو على هذا الموقع في التاسع من فبراير سنة **1843** بينما كان الخليفة بوحميدي قد غادره في اليوم السابق له.

إعادة تصور ثلاثي الأبعاد الدكتورة زاتير أميرة

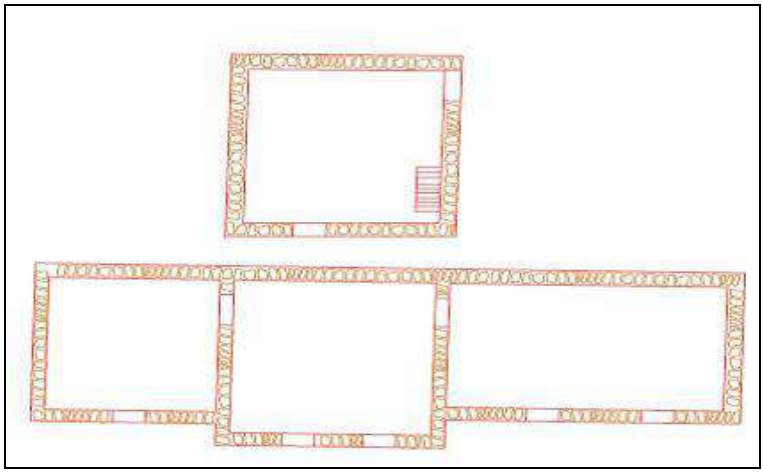

مخطط مطحنة سبدو

- بوغار (1939): شيد الأمير في بوغـار ثكنة عسكرية بها مخبزة ومستشفى، وأمر ببناء بيوت من حجر في التجمع العمراني الدفاعي وأقام فيها معامل لنسج البرانس، وللدباغة، ومخازن للكبريت والصود ومعدن الرصاص. واحتلت فرنسا مدينة بوغار المحصنة في **23** ماي سنة **1843**، وتحدثت مصادر فرنسية عن الاستيلاء على بوغار وتدميرها وحرقها، وحاليا كل ما تبقى آثار قلعة بنيت على مقربة من الثكنة الحالية. وهو مشيد بالحجارة في طابقين.

إعادة تصور ثلاثي الأبعاد.

الدكتورة زاتير أميرة

الجهة الشمالية من برج قلعة بوغار.

الدكتور عبد القادر دحدوح

– تازة (1838): شيدها الخليفة بن علال بإشراف من الأمير عبد القادر **1838-1839**. والكتابة ذات الخط الأندلسي مخطوطة على طاولة خشبية ارتفاعها **0.65**م وعرضها **1.03**م. وقد تم نقل هذه اللوحة من تازة إلى النادي العسكري الجزائري بمدينة الجزائر ومنه نقلت إلى متحف الأنفاليد بباريس.

لوحة تأسيس المدينة المحصنة تازة. متحف (les invalides) باريس

إعادة تصور قلعة تازة من طرف الدكتورة زاتير أميرة

كان عدد المساكن بها ثمانين مسكنا منها خمسون مبنية بالحجارة وغطيت سقوفها بالقصب أما باقي المساكن كانت عبارة عن أكواخ مبنية بالخشب، وكانت تفصل بين المساكن طرق واسعة. إضافة لسجن ومحلات تجارية وتشير الأبعاد الخارجية للمدينة المحصنة **15X40**م وكما وصفت تقارير عسكرية فرنسية أنها كانت مزخرفة من الداخل. وكما تطابقت الحفريات مع التقارير الفرنسية على أنه يحيط بها سور خارجي مرتفع يبعد عن السور الداخلي **04**م، وهي مكونة من طابقين تتخللها فتحات تحيط بها في الزوايا الأربعة أبراج مسننة، وخصصت غرفتان للأمير أحداها للنوم والأخرى للصلاة، وكما تواجدت غرف تتسع لحوالي **3000** شخص، وكذلك دهاليز يبلغ عمقها **01** م.

- سعيدة (1839)

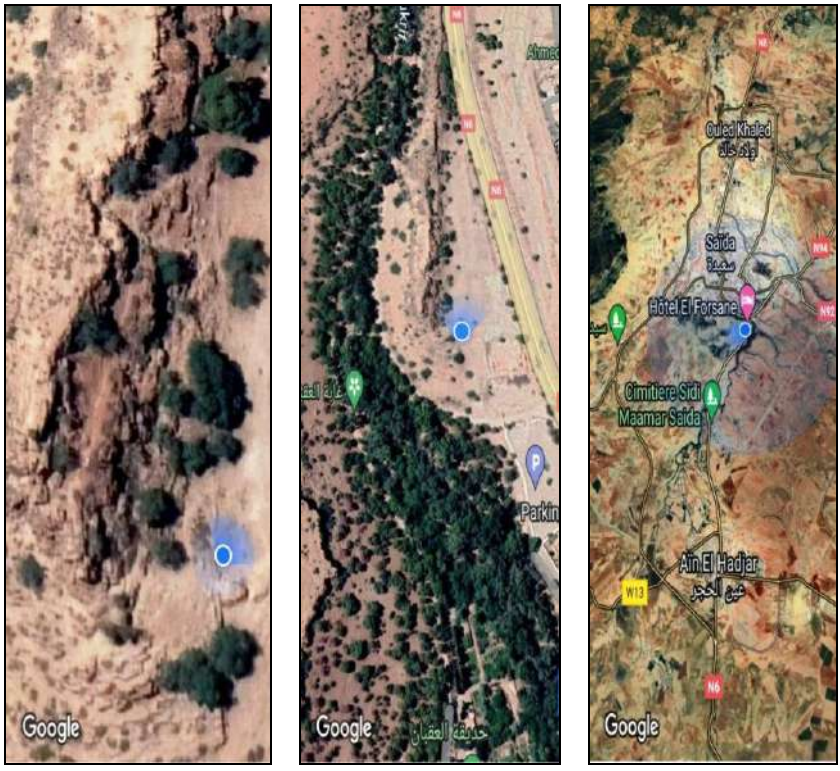

موقع قلعة سعيدة. صور ساتيليت **2023**

كانت سعيدة محاطة بسور ومن دار اتخذها الخليفة مسكنا له (ج. ايفر) وكما شيد داخلها فندق يصف مونتانياك قصر الأمير بسعيدة: "... دار تنم عن ذوق رهيف. وكانت من الطراز العربي مزينة بنواتئ من الجبس بديعة التصوير ونتوءات من المرمر رائعة النحت في أسفل الجدران ولها أروقة جميلة تسندها صفوف من الأعمدة وأبواب ونوافذ مقوسة وأرضية من الرخام الأبيض".

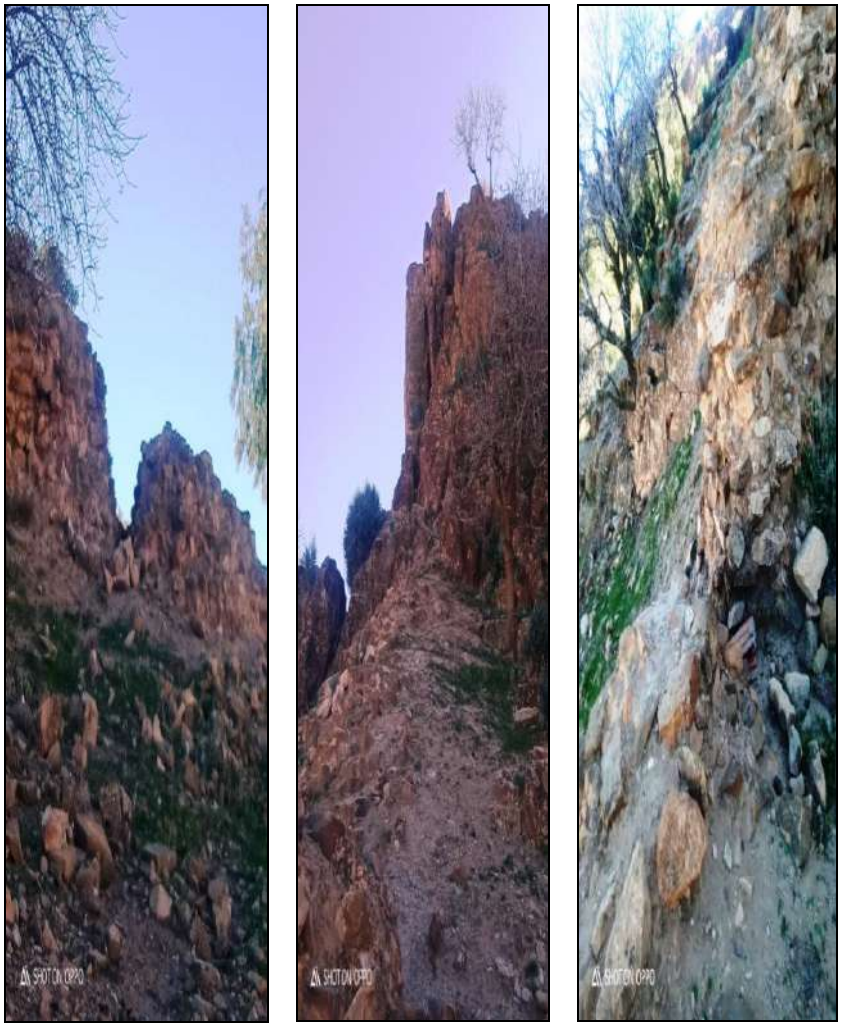

موقع المدينة المحصنة سعيدة. الدكتورة زاتير أميرة

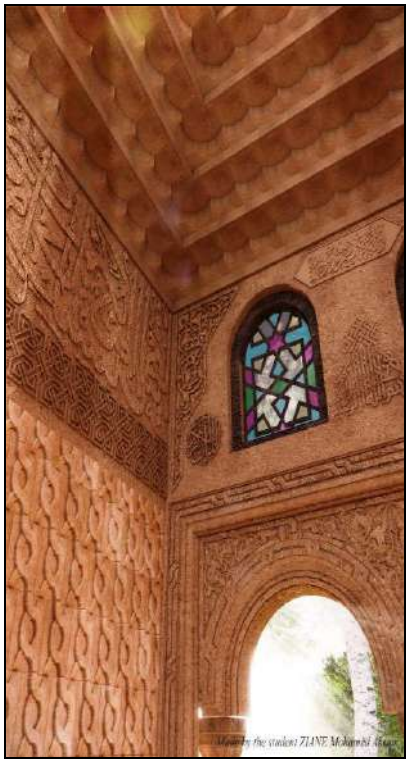

إعادة تصور من طرف الدكتورة زاتير أميرة

- مليانة

قدم (ج. ايفر) وصفا مفصلا لمصهرة مليانة فكتب يقول: "هذه المصهرة على الجانب الأيسر من الشعبة التي تحد المدينة من الشرق. والمبنى الرئيسي لهذا المصنع الذي يبلغ طوله **25** مترا، وعرضه ثمانية أمتار قد شيد بحجارة الديش، وغطي سقفه بالقرميد. وفي واجهته التي تتراءى من طراز حديث ثلاثة أقواس موحدة النمط كاملة العقد، وفي المبنى خمسة أفران عالية كطلانية الطراز، تغذيها قناة تعلو قواعدها إلى ارتفاع **6** أمتار، وتتلقى الماء من الينابيع الشرقية.

ما يزال مصنع مليانة للأسلحة موجودا والبناية كلها تقريبا مشيدة بالأجر، وأن الحجارة لا تظهر إلا في الزوايا فقط ولا تخلو واجهة هذا المبنى من الرونق.

- حصن سيباو تيزي وزو - برج حمزة البويرة

اتخذ الأمير عبد القادر من قلعتي حمزة بالبويرة وسيباو بتيزي وزو، مستقرا له خلال تواجده هنالك وتنصيب الخليفة أحمد بن سالم، وإذ اختلفت الآراء إذا كان الأمير قد أضاف تشييدات أو تغييرات بالقلعتين خاصة وأنه ببرج سيباو نلاحظ تقارب كبير بالنمط المعماري الأميري المشيد بأماكن أخرى. يجدر الذكر أن القلعتين كانتا مبدئيا قد شيدتا بمراحلها الأولى خلال حكم البايات بالجزائر القرن **16**م.

- الزمالة العاصمة المتنقلة

بعد سقوط المدن الدفاعية تتابعا. اهتدى الأمير عبد القادر إلى توليفة من تخطيط عسكري محكم وتخطيط عمراني ينسجم والتضاريس الجغرافية وكما أضفى لمسة روحية تنبع من تجذر الدين في المجتمع مقاربة لحركة الأجرام والكواكب وكل في فلك يسبحون. ظلت كذلك لغاية إغارة الدوق دومال وقتل وأسر نساء وأطفال وشيوخ ونهب الزمالة يوم **16** ماي **1843**م.

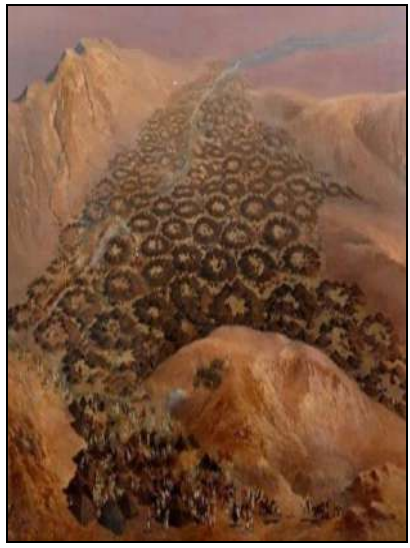

لوحة فنية معنونة

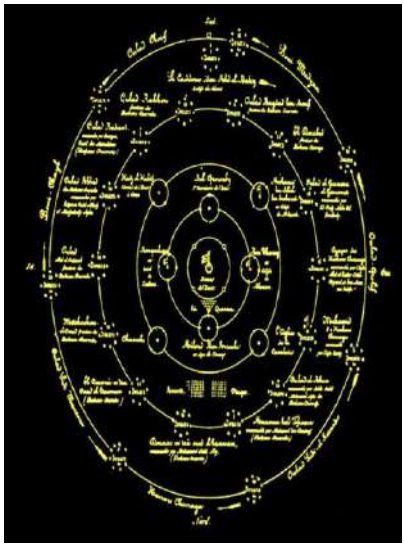

مخطط الزمالة

vu panoramique de la zmala
jean simone

- في دمشق سوريا (1270هـ/1855-1883م)

لما استقر الأمير عبد القادر في دمشق **1270**هـ شمال الجامع الأموي في قلب دمشق. اختار من أعرق زقاق (زقاق النقيب) وحاراتها حارة العمارة. وأيضا مسرى الهواء والماء من الشمال. وخلفيات البيوت تطل على نهر بردة.

تموقع أحياء النصارى كانت في الجهة الشرقية.

اختار موقع استراتيجي وقد اشترى ستة **06** بيوت (من آل الحمزاوي العريقة) وأعاد بناءها على الشكل المغاربي الأندلسي مع طراز دمشقي عثماني. هدم البيوت وأعاد بناءها حتى ترجع ملكيتها للأمير والتخلص من مشاكل الورثة الأصليين (د. محمد معتز السبيني).

تشير الصورة أدناه الموثقة في كتاب تحفة الزائر لمحمد باشا ابن الأمير عبد القادر الجزائري، أن الأمير عبد القادر هدم البيت الدمشقي الذي اشتراه وأعفى آثاره وابتنى مكانه أخر حسب ما يملي عليه مراده.

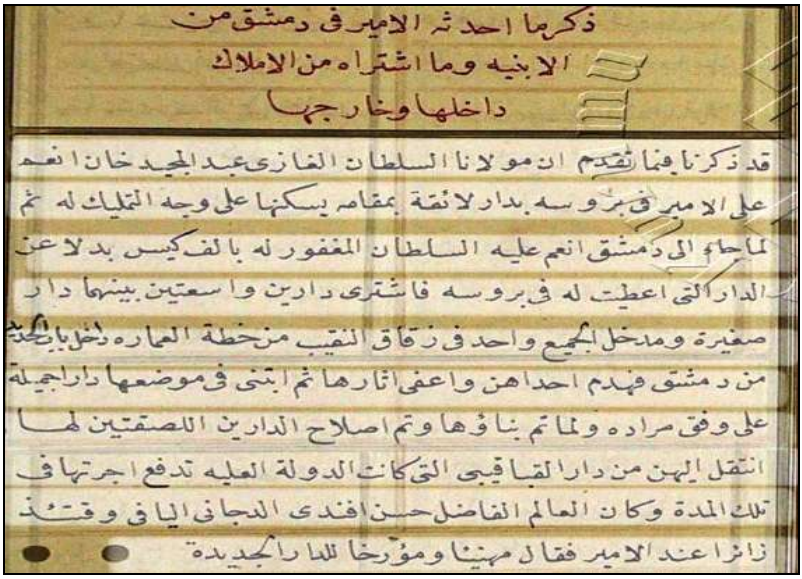
ذكر ما احدثه الامير في دمشق من
الابنيه وما اشتراه من الاملاك
داخلها وخارجها

قد ذكرنا فيما تقدم ان مولانا السلطان الغازي عبد المجيد خان انعم
على الامير في بروسه بدار لائقة بمقامه يسكنها على وجه التمليك له ثم
لما جاء الى دمشق انعم عليه السلطان المغفور له بالف كيس بدلا عن
الدار التي اعطيت له في بروسه فاشترى دارين واسعتين بينهما دار
صغيرة ومدخل الجميع واحد في زقاق النقيب من خطة العماره داخل باب الحديد
من دمشق فهدم احداهن واعفى اثارها ثم ابتنى في موضعها دارا جميلة
على وفق مراده ولما تم بناؤها وتم اصلاح الدارين اللصقتين لها
انتقل اليهن من دار القباقيبي التي كانت الدولة العليه تدفع اجرتها في
تلك المدة وكان العالم الفاضل حسن افندي الدجاني اليافي وقتئذ
زائرا عند الامير فقال مهنيا ومؤرخا للدار الجديدة

في شمال غرب دمشق بمنطقة الربوة، ومثل كل العائلات الدمشقية العريقة شيد قصره في دمر محاذاه نهر بردة لتكريس مبدأ الاصطياف. في جنوب دمشق شيد عدة بيوت ريفية في حوش بلاس (كلمة سريانية آرامية) البيوت الريفية التي تشبه بيوت القيطنة (صور كتاب أصحاب الميمنة للأميرة بديعة الجزائري).

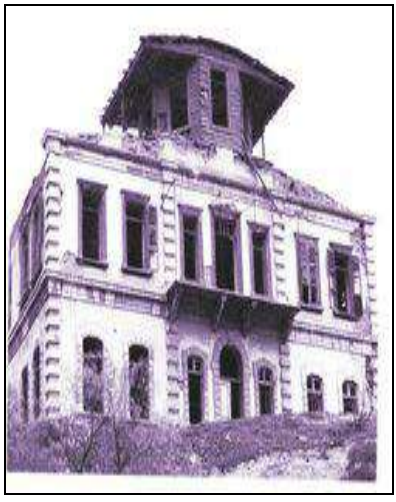

منزل الأمير في منطقة الربوة قبل الترميم

منزل الأمير في منطقة الربوة بعد الترميم

- عبقرية الأمير الفنية

ركز على الحجر الأحمر المزاوي والبازلت الأسود. السقف عموما لدى البيوت الدمشقية كانت مزينة بلوحة إسطنبول (د. محمد معتز السبيني) لكن زين الأمير إحدى أسقف الحجرات سبيل ماء زلل وصور ولوحات عجيبة الجمال والمغزى. الأسقف مغطاة بأخشاب الغوطة المجددة. أعاد تأهيل وصقل الأحجار بعد تهديم البيوت.

- استعمال الزليج والجداريات

من بين العناصر الجمالية المعمارية التي تواجدت داخل منازل الأمير عبد القادر في دمشق، هي عنصر الزليج والذي يعتبر واحد من ركائز الطابع المعماري المغاربي الذي تميزت به الجزائر.

كما انتهج الأمير في تزيين الداخل بالجداريات والتي كانت سائدة في دمشق. وهنا توصلت خبرة أثرية سورية إلى التعرف لجدارية مرسومة داخل المكتبة الرئيسية لبيت الأمير في حارة العمارة الجوانية. ما يميزها هو تلك الراية المشابهة لحد كبير راية العلم الجزائري الحالي، خبرة الجداريات تعود للفترة بين **1855–1890**م.

معـالم حضـارية وتراثية لدولة الأمير عبد القادر بمليـانة

الأستـاذ الدكتور: برابح محمد الشيخ
جـامعة الجيلالي بونعـامة - خميس مليـانة

- مقدمة

عند بدايات تأسيس دولة الأمير عبد القادر وإطلاق مشروع مقاومته الوطنية ضد الاحتلال أخذ على نفسه دور إنشاء أركان الدولة بكل مناحيها وتوسيع الرقعة الجغرافية والحدودية لها. فكانت مليانة هدفا لتثبيت أركان هذه الدولة نظرا لموقعها المتميز وإشرافها على جبل زكار والسهول المحاذية له ووقوعها على حدود طرق القوافل في مختلف الاتجاهات.

- موقع مليانة وأهميته

تقع مليانة جنوب غرب مدينة الجزائر على بعد **110** كلم تشرف على سهول الشلف بمنظر واسع على الأطلس التلي وعلى سلسلة الونشريس.

إن موقع مدينة مليانة يحظى بخصائص ومميزات عديدة كانت محل اهتمام الرحالة والجغرافيين والادباء والعلماء من العرب وغير العرب.

- إلحاق مليانة بدولة الأمير عبد القادر

بعد المكاسب التي حققها الأمير عبد القادر بموجب معاهدة دي ميشال أصبح شباب كل المدن والحواضر الجزائرية يتمنون لو يلحق الأمير عبد القادر مناطقهم تحت سلطته ونفوذه، لذلك حاضرة مليانة والمدية أرسلوا وفدا إلى الأمير عبد القادر بمعسكر أواخر نوفمبر **1834**م.

راجين منه أن يضعهم تحت سلطته مثلما فعل مع إقليم وهران، وهذا المطلب يتلاءم مع تخطيط واستراتيجية الأمير عبد القادر قصد توسيع نفوذ دولته إلى مناطق أبعد عن إقليم وهران.

- مبايعة أهل مليانة للأمير عبد القادر

مع مطلع أفريل **1835**م أثار أبناء سيدي العربي تمردا وشاعت الفوضى بين القبائل في وادي شلف هذه الأوضاع عجلت بتلبية الأمير عبد القادر لدعوة بعض القبائل حيث جمع جيشه وحط رحاله قرب العطاف، فسارعت قبائل حجوط، موزاية، بني مناد، بني مناصر وعلى رأسها الحاج محي الدين الصغير بن مبارك بتقديم الأمير عبد القادر مراسم الولاء والطاعة وقدموا للأمير الهدايا وفرح الأمير عبد القادر بهذا الاقدام من طرف أعيان ووجهاء القبائل وبذلك دخلت هذه الأقاليم رسميا تحت نفوذ دولة الأمير عبد القادر.

- خلفاء الأمير عبد القادر على مليانة

تعد مليانة من بين أوسع وأغنى مقاطعات دولة الأمير عبد القادر وكان أول خليفة للأمير هو الحاج محي الدين الصغير بن علال بن مبارك القليعي بين أفريل **1835** و**14** جويلية **1837** وبعد وفاته تولى ابن أخ الخليفة محمد بن علال من **19** جويلية **1837** إلى نوفمبر **1843** ثم شغل حاكم مدينة مليانة وكان مقر الخلافة عبارة عن قصر شيده الأتراك سابقا.

- معالم دولة الأمير عبد القادر الحضارية

لم يكتف الأمير عبد القادر في مدينة مليانة بالتنظيمات الإدارية وتقسيم المهام كبقية الأقاليم، بل قام ببناء معالم عمرانية جديدة تتناسب مع طبيعة الدولة الجديدة حيث قام ببناء الحصون والقلاع والأبراج والمصانع وحرص على استغلال الثروة المنجمية والموارد الطبيعية لتوظيفها في الصناعة الحربية ومن أبرز المعالم العمرانية التي شيدها الأمير عبد القادر في حاضرة مليانة نذكر:

- برج المراقبة بزكار

يقع هذا البرج على قمة جبل زكار. يصل ارتفاعه إلى **1700**م هذا الارتفاع يسمح بمراقبة كل المناطق المحاذية لمدينة مليانة.

- قلعة تازة

لقد أقام الأمير عبد القادر مجموعة من الحصون كلفته أموالا طائلة رغم الظروف المالية الصعبة التي مرت بها دولة الأمير عبد القادر. ومن بين هذه الحصون حصن تازة. وهو حصن شيده الأمير عبد القادر على بعد **48** كلم تقريبا قرب ثنية الأحد، هذا الحصن له أهمية كبيرة فهو يشرف على العديد من الطرق والمسالك فضلا أن بها طاحونة مائية وحوالي خمسين مسكن، وتم شق قنوات المياه بجواره وتحتوي على ورشتين للدباغة وصناعة الجلود. وكان يتخذ منها أحيانا مكانا لتجميع الأسرى وتعتبر تازة العاصمة الثانية بعد مليانة وكان مقرا أيضا للعديد من اجتماعات الأمير عبد القادر وعقد اللقاءات.

- مصنع الأسلحة بمليانة

سمحت معاهدة تافنة للأمير عبد القادر بإعادة تنظيم أسس الدولة، حيث أنجز عدة منشآت عسكرية منها مصنع الأسلحة الذي شيده سنة **1839**م. استغرقت به الأشغال مدة **ثمانية** أشهر كان يدار المصنع من عمال فرنسيين، جلبهم ميلود بن عراش من فرنسا وأبرز هؤلاء العمال المهندس الكبير دوكاز (alquier de case) مدير مصهرة مليانة. وقد اعتنق الإسلام وسمي عبد القادر وكان أمهر الصناع.

- موقعه ووصفه

يقع المصنع على الجهة الشرقية من المدينة عند المنحدر. يبلغ طوله **25**م وعرضه **8**م البناية بها ثلاثة أقواس موحدة النمط مغطى بالقرميد وفيه خمس أفران عالية. تغذيها قناة تعلو قواعدها إلى ارتفاع **6**م وتتلقى الماء من الينابيع الشرقية. هذه المصهرة تستخدم معدن الحديد الخام المستخرج من

منجم زكار. وكان لهذا المصنع الأثر البارز في صناعة العديد من الأسلحة التي استخدمها الأمير عبد القادر في معاركه ضد فرنسا...

هذه المداخلة الموجزة، أردنا أن نضع من خلالها أيدينا على بعض المعالم العمرانية المهمة في مليانة إحدى حواضر دولة الأمير عبد القادر، وهذا يستوقفنا مجددا لإعادة فتح الورشات البحثية مستقبلا لدراسة كل المعالم عبر مختلف مناطق نفوذ دولة الأمير عبد القادر. وهي في اعتقادي كثيرة جدا، تستدعي اهتمامات أوسع وأكبر من لدن الباحثين والمؤرخين والأثريين.

المرأة في المآثر الإنسانية للأمير عبد القادر الجزائري

الأستاذة الدكتورة: بليل رحمونة
جامعة مصطفى اسطمبولي - معسكر

- مقدمة

إن دراسة شخصية الأمير عبد القادر الجزائري ومناقبه تجعلنا نكن كل الإعجاب والاحترام لهذه الشخصية التي استطاعت أن تفرض نفسها وسط العمالقة والذين دخلوا التاريخ من أبوابه الواسعة. حياة الأمير لم ترتبط بالسياسة والحرب فقط بل شملت أيضا الجانب الإنساني الذي لعبت فيه المرأة دورا بارزا، نساء شاركنه الكفاح، معاناة المقاومة كما قاسمنه آلام الأسر والبعد عن الأرض أي الوطن والأهل في المنفى، شخصية تتفرد في سلوكياتها بين القوة واللين الشدة والرفق والحنان.

كان الأمير عبد القادر مثالا يحتذى به في المعاملات الإنسانية للأسرى لا سيما مع الأسيرات، وذلك من خلال شهادة الآخر. وسنحاول أن نجيب عن دور المرأة في حياته، وكيف تعامل معها إنسانيا؟ ذلك ما سنحاول تناوله في هذه الورقة البحثية.

1/ دور نسائه في كفاحه

أ- لالا الزهرة[1]: أو كما ورد في الأرشيف الفرنسي "لالا الكبيرة"[2] هذه المرأة التي كانت أحد العوامل في تكوين شخصية الأمير عبد القادر فقد عرفت بقوة شخصيتها ورجاحة عقلها فكانت أشبه بالخيزران، كان الشيخ محي الدين يفضلها على غيرها من نسائه لهدوئها ورزانتها بذلك تمكنت من

الاستحواذ على مشاعر الشيخ محي الدين وكل من رآها تحدث عنها بإعجاب كبير. كان يقال عنها أنها كانت دون نساء المنطقة الأوسع ثقافة، فالأمير عبد القادر تشبع بخصال أمه الإنسانية الحميدة ويتجسد ذلك من خلال قوله: "لقد حظي معظم الرجال العظام تقريبا بأمهات عظيمات ولعل هذا يعود إلى كون التنظيمات الإنسانية المشرقة لا تتشكل إلا بانسجام تام بين القوة واللطافة..."[3].

فالعرب يجّلون أم الأمير عبد القادر غاية الإجلال فهي المرأة التي فرضت نفسها وذلك أمر غير عادي في مجتمع رجالي. فهذه المرأة كانت تعرف أوضاع البلاد وظروف ابنها مع الكفار معرفة جيدة دون أن تخفي كرهها الشديد لهم وقد اكسبها عطفها على المرضى والفقراء حسب جميع التعساء والأشقياء[4].

لقد أحب الأمير أمه حبا عظيما فبالاستناد الى ليون روش (Leon Roch) الذي يقول: أنه كان من المقرر أن نواصل إقامتنا بمدينة تاقدمت بضعة أيام غير أن بريدا جاء ينبئ عبد القادر أن أمه "لالا الزهرة" قد أصيبت بداء عضال فصمم عبد القادر الرحيل لزيارة أمه التي كان يحبها حبا كبيرا فقال للناس: "إنني لا أرغم أحدا على المشي معي..." غير أن الحاشية استعدت كلها لمرافقته فامتطينا أفراسنا على الساعة الثالثة بعد الظهر وكان الثلج لا يزال يتساقط وكان البرد قارسا وكان الأدهم -جواد الأمير- يسبق دائما الموكب المؤلف من ستين فارسا شقت عليها مسايرة دابة السلطان لسرعتها. ولم يرد الأمير عن مقصده أي عائق وكان يقول بين الحين والآخر بمسمع مني: "... يا الهي مكنّي من رؤية أمتك قبل وفاتها فأتلقى دعائها...".

وعلى الساعة الثامنة صباحا بلغنا الزمالة (العاصمة المتنقلة) وعلمنا إثر وصولنا أن الخطر قد زال عن المريضة وكنا قد قطعنا **150** كلم مدة **15** ساعة فقط ولم يصل من الستين فارسا الذين غادروا تاقدمت مع الأمير إلا احد عشر فارسا كنت من حسن الحظ أحدهم[5].

حب الأمير لأمه كان كبيرا حتى قيل انه لم يستطع المشي بعد أن هال عليها التراب يوم توفيت وأقعده الحزن والأسف لفقدانها.

لقد كان شديد الإعجاب بأمه وحبه إياها وشديد التعلق بها[6] حب ووقار كاد أن يكون عبادة[7] يأخذ برأيها ويستشيرها في المهمات الصعبة والأمور العسيرة حتى اتهم بأنه يخضع لما تصدره من مكاتبات وتحارير ومراسلات فقد ورد في رسالة أرسلها أحمد بن سالم* للأمير وهو خليفته على منطقة القبائل -جبال جرجرة-: "لقد أشاع المرجفون مالا نقدر على ذكره... وأشاعوا أن والدتكم تصدر المكاتبات والتحارير اللازمة باسمكم"[8].

وبالتالي نرى أن والدة الأمير ذات شخصية طاغية تفرض الإعجاب والاحترام على كل من يراها فكان كبار العلماء يراسلون الأمير ويقدمون لوالدته الاحترام اللائق مع تحياتهم الخاصة كأنموذج رسالة الشيخ يوسف بدر الدين المغربي **1279/1862** التي أرسلها للأمير عبد القادر ويذكر فيها تحياته الخاصة لوالدة الأمير[9].

- دورها

لقد آزرته في كفاحه وجهاده إذ كلفت بتوليها شؤون الأسيرات الفرنسيات بنفسها وضربت خيمتها بين خيامهن[10] إذ كن يرسلن إلى الزمالة في حين يرسل الأسرى الرجال إلى تاقدمت أو تازة. كما عينت اثنين من إمائها خفرا عليهن وفي كل صباح ترسل إليهن القهوة والشاي والسكر والزبدة واللحم وكافة ما تدعوهنّ إليه حاجتهنّ[11].

من خلال شهادة الأسرى الفرنسيين أن هذه المرأة العجوز كانت تتسم بالكرم، فقد أعطت المثل للعرب من خلال معاملتها للأسرى، فقد غطت بمنديلها رأس السيد كونيور (Cognord)[12] المصاب بجروح، كما يشيد بخصال المرأة وما كانت تقوم به في التخفيف من معاناة الأسرى الطبيب العسكري دوفو (La porte de Vaux)[13] الذي أسر في معركة سيدي إبراهيم، إذ يذكر أنها حزنت لمقتل الأسرى ورفضت مخاطبة صهرها ابن التهامي لفعلته (في غياب الأمير)[14].

بالإضافة إلى ما ذكره عنها القبطان شميتز (Chmitz): "فكلامها كان يفيض عزة وحماسة كان يكشف عن أم زعيم... وكان كل شيء في والدة عبد القادر يدعو إلى الاحترام..."[15].

وتظهر سلطة هذه المرأة حتى في الأسر(بو/ و أمبواز) إذ وضعت تحت إشرافها نساء العشيرة[16]. كما يجدر الإشارة إلى دورها وتمكنها ولالا خيرة ابنتها بمساعدة بعض الفرسان الفرار من قوات يوسف ودومال بعد سقوط الزمالة[17].

كان الأمير شديد التعلق بوالدته يصحبها في أسفاره وكأنه يلتمس منها عقلها الراجح ومن روحها العضد والطمأنينة فقد رافقته الأسر وحملها معه إلى اسطنبول، بروسة ودمشق ويبدو تأثير الوالدة بعد وفاتها إذ حزن عليها حزنا شديدا.

ب- لالا خيرة: هي ابنة العم والزوجة، تزوجها وهو شاب يافع فقد اتصفت هذه المرأة بأخلاقها العالية وجمالها الباري[18]، تزوج في سن الخامسة عشر على الطريقة الإسلامية بالاستناد إلى قول رَسُولُ الله ﷺ: "يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرجِ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِيعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وَجَاءٌ" رواه البخاري ومسلم، يبدو أنه تزوج ابنة عمه قبل الاحتلال (**1829**)، يبدو ذلك من خلال قصيدته بعد معركتي خنق النطاح وبرج رأس العين[19] قالت:

أيا ابن الراشدي، لك الهنا كفى، فاترك التسيار وأحمد وجى النوى[20]

يصفها الطبيب موريس فاغنر في **1838**: "إنها امرأة وديعة لطيفة جميلة تهتم بأطفالها وزوجها يحترمها... فغالبا ما يمر شهر دون أن يراها...".

فهي الزوجة الشابة التي خيرها بين مشاركته ومقاسمته ثقل الأمانة والمهمة الصعبة التي ألقيت على كاهله وبين البقاء في القيطنة، يقول صاحب التحفة فبعد بيعته قام والدي ودخل داره وخير والدتي فقال: "إن أردت أن تبقي معي من غير التفات إلى طلب حق، فلك ذلك وإن أبيت إلا أن تطلبي حقك ، فأمرك بيدك لأني قد تحملت ما يشغلني عنك..."[21].

فأبت إلا أن تختار مرافقة الزوج ومشاركته هذه الحياة الجديدة الحافلة بالمخاطر.

كانت لالا خيرة السند في الأوقات الصعبة والعسيرة، زوجة أمير لكنها تعيش على التقشف، إذ يذكر القنصل دوماس* أن أسرة الأمير كانت تعيش عيشة شظف وأن السلطان -أي الأمير- باع في أسواق معسكر مصوغ نساء أسرته ليدفع حصيلة بيت المال حتى يعلم الشعب أنه يبذل كل ما يكسب في سبيل الجهاد[22]، وأنكر على زوجته الثياب الغالي والحلي، تقشف حكته حادثة وهي عند عودته إلى معسكره بأبي خرشفة بعد غياب ووقف عند خيمته فوجدها فخمة (أفرشة وأرائك من الحرير) ووجد زوجته تلبس قفطانا، فصاح الأمير: "من هاته المرأة؟ ولمن هذه الخيمة؟ فزوجتي لا تلبس إلا النسيج الذي تحيكه بيدها من صوف أغنامي، ولم أجلس ولم يجلس والدي يوما من قبلي على حرير وقطيفة"[23]. ولم يكد ينهي كلامه حتى اختفت الزرابي والأرائك وعوض باللباس المصنوع من الصوف والأرائك من جلد الغزال وحصائر مدينة معسكر.

لقد أحب الأمير أمهات أولاده (خيرة، عائشة*، مباركة) أعطوه **10** ذكور و**6** إناث[24]، فقد ساهمت نساؤه في نسيج ملابسه وملابس عائلته من صوف غنمه ووبر جماله، بالإضافة إلى الحليب والزبدة[25]. تربت لالا خيرة على الصبر والشجاعة في بيت أبيها وبيت زوجها، فقد وجدت القدوة في لالا الزهرة وبالتالي كانت دائما إلى جانب زوجها وهذا ما يذكره الأمير: تساءلني أم البنين، وأنها لأعلم مـن تحت السماء بأحوالي ولم يكن بالمنغلق، بل متفتحا، وذاك شأن عائلته إذ يتحدث طبيب القنصلية الفرنسية في معسكر **1837**م فاغنر فيقول: "غالبا ما كانت تحضر إلى عيادته النساء الأعرابيات ومن بينهن فتيات يافعات رفقة آبائهن أو أزواجهن... ولم يمتنعن عن كشف أذرعهن وأرجلهن..."[26].

ونفس الشيء بالنسبة لأمه وزوجته اللتان سمحتا للطبيب نفسه بمعالجة الأمير "محي الدين" رغم اعتراض مرابطو الأسرة على استعمال الإبرة

(الحقنة). فكن نساء رافقنه في الأسر (زوجات وأخوات وبنات وخادمات ومرضعات)[27] وذلك من خلال الوثائق الأرشيفية.

2/ إنسانية الأمير والمرأة

تجلت من خلال قيمه ومعاملته للمرأة في أسمى القيم الإنسانية، ويمكن في هذا المجال أن نستند إلى مجموعة الأسئلة التي طرحها دوماس (Dumas)* على الأمير ومنها **السؤال الرابع**: "رأيت الناس يلمن العرب على ضرب نسائهم، وعلى استعمالهن في الخدمة فوق طاقتهن وعلى قلة المبالاة بهن؟".

فكان جواب الأمير: "... لا يضرب النساء إلا أوباش الناس والسفهاء الذين لا دين لهم ولا مروءة، وأما أفاضل العرب وأهل الدين منهم فإنهم لا يفعلون مع النساء إذا فسد حالهن إلا ما يطيب قلوبهن ويرضيهن عن حسن الكلام ولين الخطاب..."[28].

وفي السؤال الثامن: "بلغنا عن العرب أن أحدهم لا يحترم زوجته ولا يحبها إلا كخادمة له، ولا يشاورها ولا يقربها إلا عند قضاء شهوته ولا يعتد بكلامها، ونحن عندنا الأمر بخلاف ذلك فتشاور المرأة على كل شيء؟".

وكان جواب الأمير: "الأمر على خلاف ما سمعتم، فإن المرأة لها حرمة عظيمة عند العرب، وذلك أنهم يحبون النساء كثيرا ومن لازم المحبة الاحترام. بالاستناد إلى الأحاديث النبوية الشريفة، قال رسول الله ﷺ: "ما أكرم النساء إلا كريم ولا أهان النساء إلا لئيم"[29].

وقولك "زوجها لا يشاورها"، اعلم أن العرب يحبون النساء محبة عظيمة، ويطلقون لها التصرف في البيت بحيث تكون المرأة في بيتها مثل الحاكم... كان في عيال والدي (رحمه الله) أكثر من ستين نفسا، ووالدتي هي التي تحكم فيهم وتنظر في أمورهم من أكل وكسوة وغير ذلك ووالدي لا يدخل في شيء من ذلك وإنما يمتثل أمرها[30].

وأسمى ما اتسم به الأمير في التفكير في المرأة ومتطلباتها في تلك الظروف الصعبة التي كان يمر بها في إنشاء دولته هي إنشاؤه "لدار المتوحمات" بمدينة معسكر[31] حيث تجد فيها النسوة الحوامل المواد النادرة التي لا تتواجد في مواسمها.

الأحداث والمواقف تكشف عن رأفته وحلمه ومروءته فمن خلال رواية روش في مذكراته يقول أنه يتميز بالرفق والحنان ويسرد لنا هذه الرواية: "في يوم مشهود تغيرت فيه ملامح الأمير عندما حان وقت تنفيذ الحكم وبينما كان الجلاد يتأهب لتنفيذ الحكم... اقتحمت الخيمة جماعة من الأطفال، توجه بعضهم للجلاد ووقفوا بينه وبين المحكوم عليه، وتوجه الآخرون للأمير يحيونه، وهوت طفلة تبلغ من الجمال منتهاه على يدي السلطان تقبلها وهي تبكي وقالت: "ربي يحفظ لك أمك، ربي يرحم أباك، ربي يحفظ لك أولادك اغفر لأبي...".

ارتمت في احضانه وعانقته وهي تنوح وتبتهل متشفعة في والدها، وسرعان ما تغير الجو المطبق على الحاضرين وعادت ملامح الأمير على وداعتها وسكونها، فقبل جبين الطفلة واشار للجلاد أن يكف عن عمله وعفا عن الظالمين وكانوا خمسة عشر.

ولا ننسى كياسته في التعامل مع سيدات المجتمع الفرنسي من إقامته في بو و أمبواز (Amboise)، من خلال زيارتهن لوالدة الأمير وزوجاته فمن خلال الأرشيف[32] هناك عدة مراسلات للأمير من منفاه تتضمن مراسلات كل من (السيدة شاكلير، لابروفيدانس، والسيدة جوليا)، فالرجل يتميز بالوفاء وعدم نكران الجميل لمن قدم له يد العون وهو في الأسر وهذا نموذج لإحدى المراسلات: "حضرة السيدة الفاضلة جولية دي ماري، السلام عليكم، أما بعد فإنه وصلنا مكتوبكم وفرحنا به لأن أخاكم السيد طيسون له علينا فضل عظيم لازم علينا نحبه ونحب كل أقاربه وأحبابه وإنكم أخبرتمونا أنكم بالجوف فإن كان ذكرا فسميه عبد الله وإن كان أنثى فسميه مريم، والسلام من عبد القادر بن محي الدين" ذي الحجة **1272** [33].

ورسالة أخرى: "إلى حضرة الحبيبة الأديبة السيدة مادام شاكلير، السلام عليكم وبعد فإننا ما نقدر ننسو إحسانكم وفضلكم من كونكم أحببتمونا وقت أنكر من كان يدعيها قبل ذلك... إنها تصلكم تفكرة المحبة من صنعة البلد الذي نحن فيه والسلام من محبكم عبد القادر بن محي الدين". لأربع بقيت من رجب **1259**هـ[34].

ومن أهم المراسلات تلك مع الإمبراطورة أوجيني* التي جمعته بها صداقة مع زوجها نابليون الثالث، فعند حضوره افتتاح قناة السويس اجتمع الأمير بالإمبراطورة في الإسكندرية التي أجلّت حضوره ثم توجه إلى بور سعيد على متن الباخرة التي أعدتها له . هناك نماذج من مراسلاته كتعزيتها بوفاة نابليون الثالث (Napoléon III) ويأتي ردها: "... وإني أتشكر من معروفكم باسم الإمبراطور واسم ابني، فكن أيها الأمير واثقا بمودتنا في كل الأحوال..."[35].

واستمر الأمير في مراسلاته معها على ما كان عليه أيام زوجها كتهنئتها بالسنة الجديدة **1879**: "إن تجديد التهنئة لي ولولدي بحلول كل سنة، لا محالة أنه يجدد لنا سرورا لا مزيد عليه لأن ذلك يؤكد لنا كل الحوادث...، ومن شأنكم المعروف عنكم أنكم دائما تنتصرون على تقلبات الزمان، فلذلك أشكركم وأظهر عظيم اعتباري واحترامي لقدركم دائما..."[36].

- مع الأسيرات

زخرت حياة الأمير بالمواقف الإنسانية النادرة التي لا نجدها إلا عند الأبطال البارزين في التاريخ الإسلامي والإنساني أمثال صلاح الدين الأيوبي والإيمان بفكرة التسامح واحترام الإنسان للإنسان، فمواقفه إزاء الأسرى عموما ومع الأسيرات خصوصا تدل على نبل أخلاق الفارس الذي لم ير في الحرب متعة لإزهاق الأرواح.

كان الأمير شديد التأثر، شديد الإباء لرؤية السجينات فقد أحضر له فرسانه ذات يوم **4** فتيات فرنسيات كغنيمة هامة فأشاح بوجهه اشمئزازا

وقال لفرسانه: "إن الأسود تهاجم الحيوانات القوية أما أبناء آوى فتنقض على الضعيفة منها..."[37].

كان أشد كراهية عنده أن يرى الأسرى من الأسيرات ويضطرب عند تصوره عند وقوعهن فرائسا الحرب، فخطر وقوع النساء في الأسر هو من العوامل التي جعلته يفكر في إنشاء الزمالة المتنقلة، فاطلاعه على تاريخ فرنسا والإشارة إلى الثورة الفرنسية وما حدث للويس **16**م وعائلته فما هم فاعلون بنسائنا وأطفالنا إذا وقعن في أيديهن..."[38].

ففي دائرة الأمير بعد معركة سيدي إبراهيم، يذكر أحد الأسرى في مذكراته انه كانت هناك أسيرتين فرنسيتين السيدة تيريزا (Theresa) وابنتها جوليا التي عاملها الأمير كابنة له وجعل منها مترجمة في المخيم[39] وزوجها إلى أحمد البشير سايس الأمير وأخوه من الرضاعة، وعندما نقصت المؤونة في الدائرة ، وبدأ التخلص من الأسرى تكفل الأمير بالسيدة تيريزا.

3- المرأة في شعر الأمير

تتجلى لنا محبة الأمير العميقة والإعجاب الشديد الذي يكنه لوالدته - إسقاط- الأثر الفعال في تحويل محبته وإعجابه للمرأة بشكل عام وأساسي. فقد غذت التربية الإسلامية النواحي الروحية والخلقية، فظهرت في شعره الطهارة والعفة والاكتفاء بالطيف:

أود بان أرى ظبي الصحاري *** وأرقب طيفه والليل سار[40]

كما تأثر بالتصوف الذي ينمّي الجوانب الروحية في الإنسان والابتعاد عن الجوانب المادية الضيقة، فقد سما الأمير في شعره الغزلي عن الأوصاف الماجنة الضيقة:

أحب الليالي كي أفوز بطيفها *** وأرجو المنى بل قد أقول: أنال[41]

وعن الجمال يقول:

وماذا؟ غير أن له جمالا *** تملك مهجتي ملك السواد[42]

كان الأمير ذلك القائد الفارس المحارب، ذي الانتصارات البطولية، والزوج المحب، فمن ذا الذي يروض ذلك الأسد؟ لم يكن سوى بمقدور المرأة من ترويض الأمير الأسد، لم تثنه الانشغالات والمسؤوليات الكبرى عن التفرغ لكتابة الأشعار لزوجته أم البنين، وقصائد عن عشقه للجمال، ولا نجد الجواب إلا في شعره:

ومن عجب، تهاب الأسود بطشي *** ويمنعني غزال عن مرادي

وماذا؟ غير أن له جمالا *** تملك مهجتي ملك السواد

إلى أن يقول:

إذ الناس ترغب في كنوز *** فبنت العم مكتنزي وزادي[43]

وهو من قال: "ليس الفارس ذاك الذي يمتطي جوادا أصيلا فقط، ولكن ذاك الذي ينصاع إلى رغبات حسنائه"[44]. وتتجسد رقة الأمير في تعامله مع ابنة عمه "لالا خيرة" عندما تغضب وتواجهه بما يكره فيصبر لها ويوفيها حقها ونلحظ ذلك في شعره:

وأخضع ذله، فتزيد تيها *** وفي هجري، أراها في اشتداد

فما تنفك عني ذات عز *** وما انفك في ذلي أنادي

فما في الذل للمحبوب عار *** سبيل الحب، ذل للمراد

حبه كان عذريا، كريما، يتميز بالفضيلة وعدم خدش إنسانية المرأة، وإحساسه الحاد بالجمال الأنثوي وماله من تأثير عليه ويقول في هذا المجال:

وسلطان الجمال له اعتزاز *** على ذي الخيل والرجل الجواد

فإن رضيت علي رأت محبا *** بشوشا بالملاحة ظل باد[45]

من خلال ما تقدم من نماذج عن المواقف الإنسانية للأمير عبد القادر اتجاه المرأة يمكن أن نتوصل إلى ما يلي:

- اهتمامه الشديد بالمرأة؟

- فربما كان لهذه المحبة الجارفة والإعجاب الكبير الذي كان الأمير يبديه لوالدته، الأثر الفعال في تحويل محبته وإعجابه للمرأة.

- ظروف الجهاد، الأسر والمنفى لم تمنع الأمير عبد القادر من التمسك بمبادئه الإنسانية وحلمه ومروءته في التعامل مع المرأة، التي تعكس شخصيته المتفتحة، ومحاورته مع الثقافات الأخرى.

- غذت التربية الإسلامية النواحي الروحية والخلقية في نفس عبد القادر، فظهرت في شعره هذا الطهارة والعفة والابتعاد عن الجوانب المادية.

- أن تكوين الأمير الديني والسياسي ساهمت في تكوينه لصورة مركبة للمرأة كشريكة أساسية في حياته ونضاله.

- تستند علاقة الأمير بالمرأة، إلى قيم الإسلام فعندما التقى الأمير الأسقف الفرنسي ديبوش عام **1834**، سأله الأخير: كيف ترون المرأة في دينكم؟ فأجابه الأمير: "نحن نكرّمها، فهي الأم والأخت والزوجة...".

- الهوامش:

1- **لالا الزهرة:** ابنة سيدي بن دوبة، وهي الزوجة الثانية لمحي الدين وحسب تحفة الزائر هي بن دوخة. أنظر:

- محمد بن عبد القادر الجزائري. **تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر**. شرح وتعليق ممدوح حقي، منشورات تالة، الجزائر، **2007**، ج**2** ص**180**.

- سلطانة عابد: "أضواء جديدة عن مغادرة الأمير عبد القادر الجزائر سنة **1841**"، مداخلات وإبداعات الأسبوع الثقافي لولاية معسكر بالجزائر (الجزائر عاصمة الثقافة العربية)، دار الأدب وهران، **2007**، ص**40**.

2- ACCM. Série LXI. Art :**18**. Objet : Distribution du **6** octobre **1851** (jour de l'aid El Kebir).

3- قدور محمصاجي: **شباب الأمير عبد القادر**، ترجمة مختار محمصاجي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، **2007**، ص**58**.

4- أبو العيد دودو: **الجزائر في مؤلفات الرحالين الألمان 1830-1855**، ص**103**، **104**.

5- محمود بوعياد: "عبد القادر الإنسان"، **مجلة الثقافة**، ع**75**، **1983**، ص**280**، **281**.

6- ديوان الأمير.

3- De la croix : « C'est une femme vertueuse par son âge et par sa grandeur d'âme. Elle fut l'excellent e conseillère e son fils par ses lumières sa perspicacité naturelle ».

* أحمد بن سالم الدبيسي: (**1800-1846**) خليفة الأمير على مقاطعة برج حمزة.

8- محمد باشا الجزائري، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج**1**، الإسكندرية: المطبعة التجارية، **1903**، ص**541**.

9- تحفة الزائر، المصدر نفسه.

10- Kiser John w. **Commander of the faithful (the life and times of Emir Abdelkader)**, New York, **2008**. p**203**: "She was the cornerstone of his family, known for her widom".

11- تحفة الزائر، المصدر السابق، ص**543**.

12- Hyppolie Langlois. **souvenirs d'un prisonnier d'Abdelkader**. Paris. **1859**. p**97**.

13- تشرشل هنري شارل، **حياة الأمير عبد القادر**، ترجمة أبو القاسم سعد الله، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، **2004**، ص**204**.

14- Kiser john. op cit, p**203**.

15- محمصاجي، نفس المصدر، ص**49**.

16- Kiser john. op cit, p**184**.

17- Xavier yacono : « les prisonniers de la smala d'Abdelkader » **revue des mondes musulmans et de la mediterranee, no 15-16, année 1973,** p**420**.

❋ هي خيرة بنت سيدي علي بوطالب عم الأمير.

18- تشرشل، المصدر السابق، ص**42**.

19- محمصاجي، المرجع السابق، ص**175**، أنظر: كذلك ممدوح حقي (الديوان: ص**30**).

20- بعد معركتي خنق النطاح وبرج رأس العين وقعت في ضواحي وهران ما بين **3-8** ماي **1832** تحت قيادة والد الأمير الشيخ محي الدين.

21- تحفة الزائر المصدر السابق، ج**1**، ص**185**.

❋ دوماس (Eugéne Dumas): اشتغل قنصل في دولة الأمير عبد القادر بعاصمته معسكر ما بين **1837**/**1839**، ثم عين مديرا للشؤون الأهلية.

22- محمود أبو عياد، نفس المرجع، ص**283**.

❋ عائشة: زوجته الثانية ابنة خليفة ابن سالم (مقاطعة القبائل).

24- Benachenou, A. **l'état algérien en 1830, ses institutions sous l'Emir Abdelkader**. Alger: Ed ENAG, **2009**. p**67**.

25- Benachnou, Op Cit. p**67**.

26- أبو العيد دودو، المرجع السابق، ص**146**.

27- هن كل من: لالا الزهرة، زوجاته (خيرة، عائشة، مباركة)، خادمته خديجة بنت بختة الطويلة، عبدة مبروكة، زينب، مباركة الفاسية، مريم، فاطمة، عائشة، خديجة) المرضعة مهرة وأخته الزهرة.

❋**دوماس:** قائد عسكري عين بعد معاهدة تافنة **1837** قنصلا لفرنسا بمعسكر، ثم عين مديرا للشؤون العربية بالجزائر سنة **1844**، اختير من قبل الملك للإقامة مع الأمير في معتقله بطولون كمترجم خلفا للمترجمين لوروا وروسو سنة **1848** لمعرفته باللسان

العربي واطلاعه على العادات والتقاليد الجزائرية من مؤلفاته (الصحراء الجزائرية، القبائل الكبرى وعادات وتقاليد جزائرية).

28- تحفة الزائر، المصدر السابق ،ج**2**، ص**256**.

29- المصدر نفسه، ص **263-265**.

30- المصدر نفسه، ص **265**.

31- Appolyte, Op Cit.

32- ACCM. Série LXI. Art **20-21**. Fond de Barbarie (copies des lettres écrite par AEK de la main de l'interprète George Boulard. Damas **1755-1879**.

33- ACCM. Série LXI. Art **21**.

34- ACCM. Série LXI. Art **20**.

* أوجيني: الإمبراطورة زوجة نابوليون الثالث.

35- تحفة الزائر، المصدر السابق، ص**301**.

36-تحفة الزائر، نفس المصدر، ص**301**.

37- المصدر نفسه، ص**543**.

38- تحفة الزائر، المصدر السابق، ص**543**.

39- Hippolyte Langlois. op cit. p**233**.

40- رشيد بوجدرة، **الأمير عبد القادر**، منشورات دار الأديب، وهران، **2007**.

41- ديوان الأمير.

42- ديوان الأمير.

43- قدور محمصاجي، نفس المرجع، ص**161**.

44- المرجع نفسه، ص**161** عن:

Abdelkader Benchenab : « l'œuvre littéraire de l'Emir AEK », **In revue promesse**, n° **08** du **5** juillet **1970**, édite par ministère de l'information, Alger **1970**, p**88**.

45- ديوان الأمير، نفس المرجع . ص**41**، **42**.

جوانب إنسـانية في شخصية الأمير عبد القـادر 1832-1847م
-التعـامل مع الأسرى الأوروبيين أنموذجـا-

✍ الدكتور: بن بوزيـان عبد الرحمـان
جـامعة أبي بكر بلقـايد – تلمسـان

- مقدمة

تاريخ البشرية مليء بالصراعات والحروب، وقد كتبت الأقلام عن رجالات الحرب كثيرا حتى جفت، ولم يهتم ويكتب عن تاريخ رجالات السلم والتسامح الديني إلا بعض الشذرات، وذلك ليس تقصيرا منهم، بل إن تاريخ البشرية لم يشهد من هؤلاء الرجال الذين تركوا بصمتهم في التاريخ الإنساني إلا قلة قليلة وقد يعدون على رؤوس الأصابع.

تهدف هذه الورقة العلمية إلى إبراز بعض الجوانب الإنسانية في شخصية الأمير عبد القادر الجزائري والذي قال عنه الماريشال سولت (Soult) سنة **1843**: "لا يوجد اليوم في العالم إلا ثلاث شخصيات تستحق وعن جدارة لقب عظيم وثلاثتهم مسلمون: "عبد القادر، محمد علي، والبطل الشيشاني محمد شاميل".[1]

هذه الشخصية التي اتفق أكثر المؤرخين العرب والأوربيين على أنها من أبرز شخصيات التاريخ الحديث، وذلك تبعا للصفات النبيلة التي تميز بها في تعامله مع الصديق والعدو، وتكمن أهمية هذه الورقة العلمية في كون شخصية الأمير عبد القادر الجزائري هو قدوة تاريخية عربية إسلامية تركت بصماتها جلية أثناء الحرب والسلم، وقد تجلت بشكل كبير مواقفه الإنسانية

أثناء تحقيق الانتصارات على العدو الفرنسي، فاحترم الأسرى ولم ينكل بالجثث، كانت ميوله كلها للسلم، لم يكن سببا في الحرب، كل معاركه كان مرغما فيها على الحرب دفاعا عن أرضه وعرضه وعن شعبه.

وعليه نطرح الإشكالية الآتية: ما هي مضامين السلم عند الأمير عبد القادر وما هي صوره في التعامل مع الأسرى الأوروبيين؟

تأتي هذه الدراسة ردا على بعض الكتابات الفرنسية الحاقدة على الجزائر التي حاولت أن تقلل من شأن العمل الإنساني للأمير عبد القادر، فركزت اهتماماتها على مقتل بعض الأسرى الفرنسيين في معركة سيدي إبراهيم في سبتمبر **1845**م، أمثال:

بيليسيي (Pellissier de Reynaud) في حوليات جزائرية، الجزء الثالث، والذي خصص لها فصلا كاملا رقم **40**،[2] وكتاب:

- Alex Bellemare, Abd-el-Kader, sa vie politique et militaire, librairie hachette, Paris, **1863**. (**462** pages).

1- المرجعيات التاريخية والدينية لقيم السلم والتسامح عند الأمير عبد القادر

بنى الأمير عبد القادر عقيدة جيشه وفقا للمرجعية الدينية الإسلامية التي ترى في الجهاد في سبيل الله مجهودا ذاتيا يرتقي بالذات المجاهدة إلى مصاف محاسبة النفس كي لا تزوغ ولا تطغى، فالجهاد بالنسبة له قيمة سامية يستوجب الحفاظ عليها من خلال التوفيق بين الأهداف المشروعة للدفاع عن الأرض والعرض والعقيدة من ناحية، وضرورة احترام ما يجب احترامه في الطبيعة الإنسانية للأعداء سواء زمن الانتصار أو الهزيمة من ناحية أخرى.

لقد سعى الأمير عبد القادر المتشبع بأحكام الدين الإسلامي الحنيف والمقتفي للهدي النبوي الشريف، ونجح بالفعل في التأسيس لفكرة أنسنة الحرب وأخلقة القتال، فكان في كل مرة يخوض حرب مع فرنسا يذكر جيشه العسكري بألا يقتل الصبيان والنساء والضعفاء وأهل الصنائع والقسيسين

والرهبان، بل يجب أن تسد حاجاتهم بإعطائهم ما يكفيهم وعشيرتهم من اللباس والمعاش.[3]

كانت أسرة الأمير عبد القادر تعتز بامتداد حلقاتها إلى النسب الشريف، زيادة عن نشأته بين أحضان الزاوية والمرابطين وصيت زاوية أجداده في بايلك وهران، فقد ترعرع منذ صغره في المساجد والزوايا وقراءة الكتب المتعلقة بالمذاهب الصوفية، وبالرغم من كونه ينتمي إلى الطريقة القادرية فإنه لم يعمل ولم يفرض طريقته على الأخرين، وتبعا لهذه المرجعية التي جعلت من الأمير عبد القادر متمسكا بمبادئ الدين الإسلامي التي تأمر باحترام الإنسان لأخيه المسلم، عامل الأسرى الفرنسيين معاملة حسنة قائمة على مبدأ العفو والتسامح.[4]

كان عبد القادر منذ الصغر حافظا لكتاب الله وسنة نبيه، وكان ملتزما بهما في تصرفاته وجعلهما دستور دولته ومنهاج حياته منذ بدايته الأولى حين عاهد أباه ومن بايعه وأنه لا يحيد عنهما أبدا[5]، حيث في هذا الصدد يقول الأمير: "والقرآن الكريم يحثنا عن تكريم الإنسان عامة، وألا ننقص من شأنه وأن الإنسان الأبيض متساو مع الأسود، وأن الله ميز الإنسان بالعقل والتفكير والتدبر.[6]

المناخ التربوي الذي نشأ فيه الأمير عبد القادر كان محددا مهما لشخصيته، إذ كان والده متشبعا بالتعاليم الإسلامية والتي نجح في غرسها في ابنه عبد القادر التي كانت محركا لأفعاله، فقد تمسك الأمير عبد القادر بتعاليم الشريعة الإسلامية تمسك العارفين، وقد ساعده إيمانه الراسخ بالثبات في مختلف الأمور الدنيوية.[7]

على الرغم من الهزائم والمآسي والنكبات التي عايشها الأمير عبد القادر وجيشه وشعبه، إلا أنه لم يرتكب لا هو ولا قادته ما يسيئ إلى أخلاق الحرب أو يشوه رمزية قضية الشعب الجزائري العادلة ضد قوة مستعمرة غاشمة أرادت فرض هيمنتها عليه بقوة الحديد والنار، ويسجل التاريخ أن الأمير عبد القادر ترفّع منذ مبايعته عن تقاليد وحشية وممارسات بائدة سادت في

حروب الفرنسيين، كقطع الرؤوس، والأذنين، والأيادي وغيرها، وقد أصدر بهذا الخصوص مرسوما أحادي الجانب يلزم قادة وجنود جيشه بالالتزام باحترام الكرامة الإنسانية للمقاتلين الأعداء بغض النظر عن مدى التزام العدو بذات المبادئ والأخلاق أم لا.[8]

يتحدث (louis Alexis Desmichels) عن الأمير فيقول عنه: "-في عمر السادسة وعشرين- كان رجلا جميلا متميزا بأخلاقه، رجل قدوة بمعنى الكلمة، لو احتذى أثره أميرا فرنسيا لاستحق التبجيل والمجد".[9]

أما ليون روش فيقول عنه: "فلو أن رساما أراد رسم شخصية مستوحاة من العصور الوسطى -عصر النهضة- فلن يجد أجمل نموذج من الأمير".[10]

كل ذلك يؤكد على أن الأمير عبد القادر الجزائري لم يكن يعامل الأسرى الفرنسيين وفق أهواء شخصية ومصلحة ذاتية، وإنما كان يعاملهم وفق المبادئ الأخلاقية والقيم السامية للإنسانية التي تستمد مرجعيتها من الدين الإسلامي من جهة، ومن قواعد القانون الدولي، وتقاليد الحروب الحديثة من جهة أخرى، هذه هي القيم التي جعلته يفهم حقيقة معاملة الأسرى بشكل عام وليس الفرنسيين دون سواهم.[11]

2- نظرة عن تعامل الفرنسيين مع الأسرى الجزائريين

ارتكب الفرنسيون منذ الوهلة الأولى لاحتلال الجزائر جرائم عديدة ومتنوعة الأشكال، في حق الإنسان وحتى الحيوان، منها ما هو مادي ومنها ما هو معنوي، وما نعلمه اليوم من جرائم القرن التاسع عشر إلا القليل، ومهما يكن فإنه ليس هنالك أي مبررات لارتكابها، فهنا تجسدت النوايا الحقيقية للاستعمار التي اتسمت بالوحشية والفظاعة.

- مجزرة قبيلة العوفية: أفريل 1832: إذ لم يشفع لشيخ قبيلة العوفية الذي أمر الدوق روفيقو بقطع رأسه وتقديمه كهدية لطبيبه الخاص لإجراء بعض التجارب عليه.

- مجزرة قبيلة ريغة فيفري 1842: نفذت ليلا ضد قبيلة ريغة دون أي طلقة نار وذلك باستعمال الحراب.

- مجزرة غار الفراشيش 19 جوان 1845: حرق قبيلة بأكملها مع حيواناتهم.

- مجزرة واحة الزعاطشة 1849م: بعد حرق واحة الزعاطشة تم أسر الأطفال والشيوخ وسبي النساء وقطع الرؤوس، وقطع الآذان.

كل هاته المجازر ارتكبت في حق أناس عزل لم يكونوا في ميدان معركة أو دفاع عن النفس، ويذكر الكونت ديريسون أنه في إحدى غزواته أن فرقته عادت ببرميل مملوءة بآذان مقطوعة من السجناء.[12]

وتعرض الكونت ديريسون في كتابه "**مطاردة الانسان- حرب الجزائر**" (La chasse à l'homme, guerres d'Algérie) في **366** ص / **27** فصل. إلى أشكال مختلفة من الجرائم الفرنسية، إذ يعتبر هذا الكتاب وثيقة مرجعية قدمت توصيفا لسياسة جيش الاحتلال الفرنسي المتبعة ضد المقاومة بإطلاق يد الجنود والضباط دون محاسبة، فمن خلال عنوانه يشبه الجزائر بحروب المتحضرين الأوربيين ضد الهنود الحمر في أمريكا -حسب وصفه-.

فالكتاب كله مليء بالتغني والتفاخر بجرائم جيش الاحتلال، والتي تعتبر اليوم كأدلة دامغة تدين الاستعمار، أين شبه المؤلف الجرائم التي ارتكبها الفرنسيون في الجزائر بما كان يفعله السفاح المغولي آتيلا الهوني.[13]

3- مظاهر تعامل الأمير عبد القادر مع أسرى الحرب

كان الأمير عبد القادر رمزًا للأخلاق النبيلة في الحرب، حيث تعامل مع أسرى الحرب وفقًا لقيم إسلامية وإنسانية عالية. في فترة مقاومته للاستعمار الفرنسي (**1832-1847**م)، أين وضع قوانين صارمة تنظم كيفية معاملة الأسرى، بالرغم الظروف الصعبة التي عايشها جيشه والمجتمع الجزائري آنذاك، كل هذه القوانين جعلت منه محط مدح ملوك وقياصرة

العالم، وهو لازال في مرحلة بناء دولته، حيث قال عنه قيصر روسيا مادحا اياه لإنسانيته: "نحن إسكندر جميع الروسيين إلى الأمير عبد القادر اقتضت رغبتنا أن نشهر التفاتتنا إليكم بشهامتكم، وعملكم بما اقتضته الإنسانية".[14]

نهج الأمير عبد القادر أسلوبا فريدا في معاملته للأسرى الفرنسيين، وذلك من خلال سن مراسيم لبيان كيفية معاملة الأسرى، وقد جاء ذلك مع وقوفه على بعض التجاوزات لبعض جنده وتقصيرهم في حماية الأسرى الفرنسيين، ويصور لنا هنري تشرشل حجم الملامة التي وجهها الأمير لصهره الحاج مصطفى لتقصيره في حماية أرواح الأسرى، ففي أحد حواراته جاء فيها:

- "إنني أرى ثلاثة أسرى فقط، وقد كانوا خمسة، فأين الاثنان الآخران؟

- رد صهره قائلا: "لقد ماتا"

فاستغرب السلطان ونظر إلى صهره بحدة قائلا:

- قتلتموهما؟

- لقد حاولا الفرار.

- وهل ذلك مبرر لقتلهما؟ إن ذالك فظيع، وظلم، ودناءة، فلو أن الفرنسيين قتلوا قومي من العرب الذين بين أيديهم، ماذا تقول عن ذلك؟...، سوف لا أسمح بعد اليوم بهذه الاعمال، هل تفهم؟

- أعط الأسرى ثلاثين فرنكا وضعهم في معسكري واسهر على أن يعاملوا معاملة حسنة".[15]

وبعد هذه الحادثة استدعى الأمير عبد القادر الجزائري إلى مجلس عظيم ضم كل الخلفاء والأغوات والقواد ورؤساء القبائل حتى وصل عددهم ثلاثمائة شخص، وألقى خطبة عليهم بيّن فيها منهجه في التعامل مع الأسرى المسيحيين، وهو منهج الإسلام، ومما جاء فيها:

"فلقد تقرر أن كل عربي يحضر جنديا فرنسيا أو مسيحيا سينال جائزة قيمتها ثمانية دولارات على الذكر وعشرة على الأنثى"، فكل عربي في حوزته

أسير فرنسي يعتبر مسئولا عنه حسب معاملته، هو فإن وفق في الحفاظ على هذه الأمانة يأخذ مكافأته وإن فشل بشكوى من السجين بعد إساءة معاملته فإنه يحرم من الجائزة".[16]

لقد كانت رؤية الأمير عبد القادر في تعامله مع الأسرى الفرنسيين منهجا قويما وأصيلا، وبالتالي فهو أصل لحقوق الإنسان في مجال التعامل مع أسرى الحرب، وقد ذهب إلى ابعد ذلك بكثير، حيث يذكر أدريان بيربروجير (Adrien Berbrugger) سكرتير كلوزيل ورئيس تحرير جريدة المرشد المونتور في كتاب: "مفاوضات بين السيد أسقف الجزائر وعبد القادر لتبادل الأسرى" **1843**. بأن الأمير عبد القادر قد كتب للأسقف ديبيش إليه بالجزائر مطالبا إياه أن يرسل إلى الأسرى الفرنسيين راهبا يسليهم ويخفف عنهم مصائب الأسر، وأن يكتب ما يريدونه لعيالهم، هذا زيادة عن سماحه للأسرى بممارسة شعائرهم الدينية بطلاقة.[17]

ومما سبق سنحاول عرض بعض الجوانب الإنسانية في تعامل الأمير عبد القادر الجزائري مع الأسرى الفرنسيين:

1.3- احترام كرامة الأسرى

كان يأمر جنوده بعدم إيذاء الأسرى جسديًا أو معنويًا، واحترام كرامتهم كبشر. كان يؤمن أن الحرب لها قواعد يجب الالتزام بها، ومن بين صور التسامح والمعاملة الحسنة التي أولاها الأمير عبد القادر للأسرى الفرنسيين، فبعد انتصاره في معركة سيدي إبراهيم وأثناء مروره بندرومة بمعية بعض الأسرى الفرنسيين أين خص هؤلاء بكرم كبير بالرغم من أهالي ندرومة كان أبناؤهم أسرى لدى الفرنسيين ولا يعرف مصيرهم".[18]

وعن أخلاقه يقول أميدي ديسجوبير (Amédée Desjobert) سياسي برلماني فرنسي: "الوسطية الخِلقية والخُلقية تجلت في صفاء روحي فريد... كتلة من القيم والأخلاق الفاضلة...، يظهر كثيرا من التسامح والرحمة اتجاه أعدائه".[19]

2.3- توفير الطعام والمأوى

بالرغم من شح الموارد، كان يحرص على تقديم الطعام والماء للأسرى وتأمين المأوى لهم. كان يعتبر ذلك من شيم العرب قديما، وجزءًا من واجب المسلم تجاه الآخرين، ومن هاته الشهادات شهادة ليون روش في مذكراته: "بأن والدة الأمير عبد القادر لالة الزهرة اعتنت بإطعام وتقديم الأكل للأسرى، وكانت تحضر لهم الكسكسي...".[20]

كما أشادت سيلين فالي (Celine Fallet) في كتابها "**احتلال الجزائر**" (Conquête de l'Algérie **1856**).

بنساء الأمير وخصت بالذكر زوجة الأمير لالة خيرة وأخته لالة خديجة بالثناء إذ كانت لهن مكانة خاصة لدى الأمير عبد القادر ويعود لهما الفضل في تخفيف ومواساة كثير من الأسرى الفرنسيين.[21]

3.3- رفض الانتقام

رفض عبد القادر ممارسات الانتقام العشوائي من الأسرى، وأكد أن معاملة الأسرى يجب أن تكون عادلة بغض النظر عن أفعال أعدائهم، ويقول دي ميشال عن الأمير: "لا أعرف من نستطيع التفاوض معه، والمحافظة على السلم المعقود معه، حسب علمي لا يوجد غيره، وبغض النظر عن الضمانات التي تحققها قدراتنا المادية والعسكرية، لكن هنا الضمانات الأخلاقية للأمير عبد القادر أكثر أهمية فالرجل أبان يوما بعد يوم على سلوك قويم واستقامة شخصيته...".[22]

ويذكر أدولف فنتان ريباك (Adolphe fontaine de Resbec) في كتابه "**الجزائر والسواحل الإفريقية**" (Alger et les cotes d'Afrique) الذي خصص فصلا كاملا عن حديثه عن أسرى الأمير عبد القادر، إذ يذكر أن أحد الأسرى اسمه م. فرونس يذكر ظروف ملاقاته للأمير ومعايشته، والذي مكث حوالي **5** أشهر لدى الأمير: أنه حين ادخل على الأمير في خيمته قائلا له: "ما دمت بجانبي لا تخشى سوء معاملة أو حيف" وقد تلقى الأسير عناية من طعام وكسوة.[23]

4.3- إطلاق سراح الأسرى أحيانًا

في كثير من الأحيان كان الأمير يطلق سراح الأسرى بعد ضمان عدم عودتهم للقتال، خاصة إذا كانوا مدنيين أو غير مشاركين في المعارك بشكل مباشر، ويقول الكونت دوسيفري (De Civry) أن كل من رأى الأمير عبد القادر وحتى من كانوا أسرى عنده كلهم متفقون على نبل وتسامي أخلاقه وطيبة قلبه، فسيرته إزاء الأسرى الفرنسيين يمكن اعتمادها كنموذج يحتذى به لكل محارب في مواجهة أعدائه... فإن الجنود الفرنسيين ليسوا أسرى وإنما ضيوف، وحتى من أراد منهم الدخول في الإسلام فكثيرا ما كان الأمير يراجعهم بأنه لن تمس شعرة من رؤوسهم إن بقوا على ديانتهم المسيحية.[24]

لقد تركت هذه المواقف الإنسانية أثرا كبيرا لدى أعداء الأمير عبد القادر، ووضعهم في موقف أشد حرجا أمام ساستهم من جهة وأمام التاريخ من جهة أخرى، وقد عبر الماريشال السفاح بيليسيي عن ذلك فيقول: "أن أكبر حرج أوقعنا به الأمير عبد القادر أنه حشرنا في زاوية اضطررنا أن نصبح نمثل كل ما هو وحشي ومخرب، في حين كان الأمير يمثل كل ما هو قيم وحضاري...".[25]

لقد استطاع الأمير عبد القادر بإنسانيته أن يغير من نفسية قادة وجنود الجيش الفرنسي المستعمر، الذي عمل الساسة الفرنسيون على شحنها من أجل حرب الإبادة في الجزائر، غير أن الأمير بمواقفه جعل العديد من الجنود الفرنسيين الذين عايشوا الأمير عند أسرهم يتوقون للعودة والعيش في كنف دولته العادلة والفاضلة، التي يضمن فيها الجميع حقوقهم، لقد استطاع الأمير أن يزرع الشك في نفوس هؤلاء، وجعل من شعارات الثورة الفرنسية شعارات جوفاء، لقد وقف هؤلاء الأسرى الفرنسيون على حجم وفاء الأمير لوعوده مع العدو، وحرصه على الحفاظ على السلم، وتشبته بمبادئه وتعاليم الدين الإسلامي، وقد عبر دي ميشال عن ذلك بقوله: "بأنه مستعد للإدلاء بشهادته لدى الملك الفرنسي بأن الأمير متمسك بتعاليم دينه، وملتزم بشروط السلم".[26]

تتفق الكتابات الفرنسية المعاصرة والتي كانت قريبة من الأمير عبد القادر والأحداث المحيطة به، على أن طريقة تعامل الأمير عبد القادر مع الأسرى استمد مرجعيتها من الشريعة الإسلامية السمحاء، وهذا ما لاحظه (Adolph Vilhelm Dinesen) مؤكدا على أن الإنسانية والعدالة المتجذرة والعميقة والتزام الأمير عبد القادر بأحكام الشريعة والتي تعد أساسا لحكمه، ويوافقه في هذا كل من ناراسيس فوكون وبيليسيي، فيرى الأول أن الأمير في حربه وسلمه وسجنه لم يحمل أي ضغينة أو حقد على أعدائه.[27]

كانت معاملة الأمير للأسرى في قمة الرقي والتحضر، ونجد في رسائل أحد الأسرى الفرنسيين الوصف التالي: لقد عاملني الأمير بسمو أخلاقي رفيع قلما نجده في الدول الأوربية الأكثر تحضرا.[28]

- الخاتمة:

كان الأمير عبد القادر رمزًا للأخلاق النبيلة في الحرب، حيث تعامل مع أسرى الحرب وفقًا لقيم إسلامية وإنسانية عالية. في فترة مقاومته للاستعمار الفرنسي (**1832-1847**)، وضع الأمير عبد القادر قوانين صارمة تنظم كيفية معاملة الأسرى، رغم الظروف الصعبة التي كان يعاني منها جيشه والمجتمع الجزائري آنذاك.

لقد أقر الاسرى الذين قادهم القدر إلى معسكر الأمير عبد القادر وبالإجماع عن كرمه وشهامته معهم، ومن آثار سلوك الأمير هذا الذي سحر الألباب أن الأسرى غادروا جميعهم الجزائر عقب إطلاق سراحهم وفي نفوسهم حنين إلى زمنه، والأصح أنهم شجّعوا على مغادرة الجزائر إلى فرنسا خوفا من انتشار عدوى تعاطفهم مع الجزائريين إلى باقي الجنود، لذلك حرص البعض منهم على زيارته في معتقله بفرنسا بينما طالب بعضهم الآخر بتحويلهم إلى خدمة الأمير بل وهناك من تبعه إلى بلاد المشرق التي اختارها كملاذ آخر، ولم يكن الرفض الفرنسي المتواصل لفكرة تبادل الأسرى راجعا إلى أسباب سياسية فقط، إنما لتخوف الفرنسيين من شخصية الأمير

القوية، فأكثر ما كان يخشاه هؤلاء هو إعطاء الأمير صفة المفاوض مرة أخرى.

فإننا اليوم نستحضر بعز وفخر كبيرين ذكرى الأمير عبد القادر تلك الشخصية العظيمة التي شرفت بأخلاقها الرفيعة وقيمها الإنسانية النبيلة وطنها وأمتها وعقيدتها، ونستحضر فيه أيضا ذلك الرجل المتواضع والقوي الذي سعى لإنقاذ بلده وشعبه من طغيان الاستعمار المقيت.

إننا نستحضر فيه أيضا ذلك الرجل الخيّر أينما حلّ وارتحل، ولم يتردد بالمجازفة بحياته وحياة عائلته.

لقد أهدت الجزائر للعالم شخصية عظيمة كالأمير عبد القادر، تجلت عظمتها في سمو ورعه ونبل أخلاقه وجميل فروسيته وكمال إنسانيته وعبقرية قيادته بشكل أثار إعجاب الصديق قبل العدو، وثناء البعيد قبل القريب.

- الهوامش

1- سليمان عشراتي، **الأمير عبد القادر المفكر- مساجلات في قضايا اللغة والمعرفة وفقه الخطاب القرآني**، م**2**، دار الغرب للنشر والتوزيع، الجزائر، **2004**، ص**21**.

2- Edmond Pellissier de Reynaud, **Annales Algériennes**, Tome **Troisième** Librairie bastide, Alger, **1854**, P **535**.

3- الأمير عبد القادر الجزائري، **المواقف**، ج**1**، مطبعة الشباب، مصر، **1911**، ص**132**.

4- محمد خير فارس، **تاريخ الجزائر الحديث من الفتح العثماني إلى الاحتلال الفرنسي**، م**1**، منشورات كلية الآداب، دمشق، **1969**، ص**227**.

5- Alex Bellemare, **Abd-el-Kader sa vie politique et militaire**, librairie hachette et Cie, Paris,**1863**, p**11-12**.

6- Ibid, pp **328**.

7- الأمير عبد القادر الجزائري، المصدر السابق، ج**2**، ص**803**.

8- شارل هنري تشرشل، **حياة الأمير عبد القادر**، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، **1974**، ص**145**.

9- Louis Alexis Desmichels, **Oran sous le commandement du général Desmichels**, Librairie !kMilitaire D'Anselin, Paris, **1835**, p**111**.

10- Léon Roches, **Dix ans à travers l'islam 1834-1844**, librairie académique Didier, Paris, **1884**. & Léon Roches, **Trente - deux ans à travers l'Islam (1832-1864),** Tome Second, Librairie de Firmin - Didot et Cie, Paris, **1885**, PP**63-67**.

11- عبد القادر الميلق، "سلوكيات وأخلاقيات الأمير عبد القادر الجزائري وجنده في الحرب: معاملة أسرى الحرب الفرنسيين أنموذجا"، **مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية**، م**09**، ع**01**، **2019**، ص**159**.

12- Le Comte D'Hérisson, **La chasse à l'homme, guerres d'Algérie**, Paul Ollendorff éditeur, Paris, **1891**, P**34**.

13- Ibid, P**58**.

14- يحيى بوعزيز، **الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري**، ط**2**، مطابع الفكر، دمشق، **1964**، ص**70**.

15- شارل هنري تشرشل، المصدر السابق، ص**207**.

16- نفسه، ص**208**.

17- Adrien Berbrugger, **Négociations entre Monseigneur l'évêque d'Alger et Abd el Qader pour l'échange des prisonniers**, Delahaye. J éditeur, Paris, **1844**.

18- Narcisse faucon**, Captivité des prisonniers français en Algérie 1845 à 1846**, Typographie Felix Malteste et Cie, Paris, **1847**, pp **6**.**7**.

19- Amédée Desjobert, **La Question d'Alger politique colonisationetcommerce**, P. Dufartlibraire, Paris, **1837**, P**309**.

20- Léon Roches, Dix ans à travers l'islam **1834**-**1844**, Op Cit, p-p**63**-**67**.-

21- Céline Fallet, **Conquête de l'Algérie**, Mégard et Cie Imprim-Libraires, Rouen, **1851**, p**93**.

22- Louis Alexis Desmichels, Op Cit, pp **111**, **173**.

23- Adolphe Fontaine de Resbecq, **Alger et les côtes d'Afrique**, Gaume Frères Libraires, Paris, **1837** p**121**-**122**.

24- Eugène Civry, **NapoléonIII et Abd-el-Kader**, MartinonLibraire-Éditeur, Paris, **1853**, p**233**

25- Amédée Desjobert, **La Question d'Alger, politique, colonisation et commerce**, op Cit, pp **309**-**310**.

26- Ibid, pp **185**-**173**.

27- Narcisse Faucon, **Livre d'or de l'Algérie,** Challamel et Cie éditeurs, Paris, **1889**, p **5**.

28- Alex Bellemare, Op Cit, pp **328**.

الأمير عبد القـادر الجزائري بمقـاطعة تلمسـان ومملكة مراكش

الدكتور: صـالح أحمد بـارودي
جـامعة أبي بكر بلقـايد - تلمسـان

- مقدمة

شهد القرن التاسع عشر الميلادي حملات استدمارية غربية، استهدفت العالم العربي الإسلامي وكان احتلال الجزائر من طرف الفرنسيين كحلقة من تلك السلسلة الطويلة، التي كبلت آمال الأمة الإسلامية وعرقلت مسيرتها الحضارية.

إنّ جهاد الشعب الجزائري ليس محصوراً أو مقيداً بشخص واحد وإنما هو جهاد أمّة بأكملها، وبروز اسم الأمير عبد القادر الجزائري في مقدمة الحديث عن جهاد هذه الأمة سببه أنه هو القائد الذي توحدت وتجمّعت تحت إمرته معظم قبائل ومدن الجزائر فأدّت إليه البيعة، وهو بدوره بذل كل ما في وسعه في قيادتها وصيانة كرامتها، فأجبر الدولة الفرنسية على الاعتراف بالأمة الجزائرية وجعلها تخضع لإمارته وتبرم معه المعاهدات الرسمية الدولية. وإن معظم الدلائل تؤكّد على نبل الأمير عبد القادر ومؤهلاته، ومهارته السياسية بداية بدخوله في طاعة السلطان المراكشي، وقيادته للحرب الجهادية الشرعية التي أوجبت على الجيران المسلمين مساعدته من كلّ المواقع.

بعد انتصار المقاومة الجزائرية وقعت معاهدة تافنة في **30** ماي **1837** بين الأمير عبد القادر والجنرال (Thomas Robert Bugeaud) توماس

روبير بيجو **1849-1784** ونصت على أن يعترف الأمير عبد القادر بسيادة فرنسا في أفريقيا. ومقابل ذلك تعترف له عما يقرب من ثلثي الجزائر (وهران، تلمسان، القليعة المدية والجزائر)، المعاهدة ما لبث أن نقضها الملك لويس فيليب الأوّل في نوفمبر **1837**، الذي أمر باحتلال قسنطينة. الأمر الذي أشعل المزيد من القتال بين قوّات الأمير عبد القادر والقوات الغازية الفرنسية. وقد أعلن الأمير الجهاد مرة أخرى في **15** أكتوبر **1839** في معركة متيجة.

دامت سيادة الأمير على تلمسان خمس (**05**) سنوات أسندت لخليفته بوحميدي الولهاصي الذي أنشأ بسبدو ثكنة عسكرية وطاحونة إلى أن دخلت قوات الجنرال بوجو مدينة تلمسان في **31** جانفي **1842** ثم مدينة سبدو في **09** فيفري **1842**، وبها أسس النقيب / لورمال الموقع العسكري في جانفي **1844** على أنقاض الحصن القديم للأمير عبد القادر.

أما المركز العسكري بمغنية أنشئ بعد زيارة الجنرال دي لاموريسيار إلى المنطقة في **27** أبريل **1844** قرب ضريح الولية الصالحة لالة مغنية (**1758-1798**) على أنقاض الموقع الأثري الروماني (NUMERUS SYRORUM) نوميروس سيروروم.

ودخلت المنطقة في الفوضى والهجرات المتتالية إلى المغرب الأقصى لقبائل أولاد ميمون أولاد سيدي العبدلي، أولاد ورياش بني بحدل بني سنوس وبني بوسعيد في سنة **1845**.

لقد كانت الوضعية شاقة وصمّم الأمير وخلفائه على المقاومة، إذ كان مصطفى بن التهامي خليفة منطقة معسكر باسطا نفوذه على ريفها. أما بوحميدي الولهاصي خسر مقاطعة تلمسان، كما انسحب الخليفة البركاني نحو الجنوب وفي أكتوبر **1842** خسر أحمد بن سالم مقاطعة برج حمزة (البويرة)، وقد كان الأمير بين جماعة بني وراغ في الونشريس يراقب تحركات العدو. وفي مطلع **1843** استسلم قائد بني وراغ أما البركاني فقد انتقل إلى منطقة شرشال.

تكالبت القوات الغازية الاستدمارية الفرنسية على الأمير وخلفائه فلجأت إلى الوحشية في هجوما على المدنيين العزل فقتلوا النساء، الأطفال والشيوخ وحرقوا القرى والمدن التي تساند الأمير وخرّب الدوق دومال ابن الملك فيليب الحاكم العام عاصمة الأمير المتنقلة "الزمالة" قرب قصر الشلالة (تيارت) في **16** ماي **1843** وخلال احدى المعارك استشهد خليفة مقاطعة الجنوب ابن عبد الباقي.

وقد وجد الأمير في أواخر حكمه، مطوقاً بين الحدود المراكشية الجزائرية وبين البحر الأبيض المتوسط ونهر ملوية السفلى، تحاصره وتلاحقه الجيوش الريفية – المراكشية من جهة، والجيوش الفرنسية من جهة أخرى. وهذا بعد واقعة وادي إيسلي وسيدي عزيز قرب وجدة في **29** رجب **1260**هـ/ **14** أوت **1844**م، احتلت على إثرها القوات الفرنسية الغازية مدينة وجدة في نفس الوقت الذي كانت فيه بوارج أسطولها ترمي بالقنابل ميناء طنجة وأغادير وتحطم أسوار مدينة الصّويرة (موغادور) من بلاد المغرب الأقصى (مراكش).

وتوالت الأحداث والمؤامرات بتوقيع معاهدة طنجة المؤرخة في **27** شعبان **1260**هـ/ **10** سبتمبر **1844**م بين فرنسا ومراكش، والتي تقضي بطرد الأمير عبد القادر من التراب المراكشي، ثم كان بعدها إبرام معاهدة لالة مغنية المؤرخة في **09** ربيع الأول **1261**هـ/ **18** مارس **1845**، التي أكّدت الأمر السابق ونصّت على إقرار الحدود وإبقاء أرض الجزائر على ما كانت عليه من الحدود قبل الاحتلال الفرنسي، وإنّ لفرنسا حق التمتع بالأولوية والتقدم على غيرها من سائر الدّول بموجب ما لها من التفوق على غيرها من الحكومات بأرض الجزائر.

وعليه انحراف سلطان مراكش عبد الرحمن بن هشام وميوله للفرنسيين ضد الجزائريين، وتعددت بعد ذلك الوقائع والتحرشات المراكشية ضدّ الأمير عبد القادر الذي انتصر على المُقدم (Lucien Francois de Montagnac) ليسيان فرانسوا دي بونتانياك (**1803**–**1845**) في واقعة سيدي إبراهيم **21**–**24** رمضان **1261**هـ/ **23**–**26** سبتمبر **1845**م.

ثم انتصار الأمير على السلطان في معركة أقدين في **10** ديسمبر **1847**م وصولا إلى توقيع توقيف إطلاق النار وطلب الهجرة بين الأمير عبد القادر والجنرالين لاموريسيار (Lamoricière) وكافينياك (Cavaignac) والعقيد مونطوبان (Montauban) في يوم الاثنين منتصف النهار **15** محرم **1264**هـ/**23** ديسمبر **1847**م بقرية النخلة بلدية السواحلية دائرة الغزوات حالياً ولاية تلمسان، وغدر الفرنسيون بترحيل الأمير من جامع الغزوات إلى برودة الشمال ميناء طولون عوضاً عن دفء الشرق ميناء الإسكندرية (مصر) ومنها إلى عكة بفلسطين.

عن علاقة الأمير بالمتصوفة
قراءة في مخطوط النبذة لسيدي عدة بن غلام الله

الأستاذ الدكتور: عابد سلطانة
جامعة وهران 1 – أحمد بن بلة

- مقدمة

لقد أثار موضوع علاقة الأمير بالطرق الصوفية والمتصوفة عديد القراءات والتأويلات. خاصة في مرحلة المقاومة بين سنتي **1832**/**1847**م.

فالبحث التاريخي الاستعماري ,خصص عديد التقارير والدراسات عن هذه العلاقة، مصنفا إياها في إطار صراع طرقي – طرقي، بين الطريقة القادرية وباقي الطرق الصوفية الأخرى، من تيجانية ودرقاوية وطيبية، "فالطريقة القادرية لم تتميز بالطابع الديمقراطي للطريقة الدرقاوية أو الطيبية، ولا الطابع الحضري للطريقة التيجانية..."[1].

من خلال هذه المساهمة سنتعرض لمخطوط نادر، يتناول خصوصية العلاقة بين الأمير عبد القادر وزعامة صوفية درقاوية بارزة، هي شخصية الشيخ سيدي عدة بن غلام الله **1783**/**1865**م.

- التعريف بالمخطوط

عنوان المخطوط: "النبذة" لسيدي عدة بن غلام الله.

خصائصه الفنية: يقع المخطوط في **36** ورقة وهو مكتوب بخط مغربي موحد واضح.

اعتمدنا في هذه المساهمة على نسخة عبد القادر شراك إمام مسجد الشريفية بالمدنية الجديدة بوهران وهي نسخة مثبتة عن النسخة الأصلية المحفوظة بالخزانة العداوية بتيارت، وهي النسخة التي نقلها سنة **1994**.

تتناول هذه المساهمة محاور هامة من هذا المخطوط، نوجزها كما يلي:

- مبايعة الأمير عبد القادر ودلالتها.
- الأمير يولي سيدي عدة خطة القضاء.
- ممارسة سيدي عدة للقضاء.
- سيدي عدة يهجر الأمير عبد القادر.

لكن وقبل أن نسترسل في تفاصيل هذه المساهمة، لا بأس في التعريف بشخصية سيدي عدة بن غلام الله.

من هو سيدي عبدة بن غلام الله؟

هو الشيخ سيدي عدة بن محمد المرسوم بن غلام الله بن عبد الرحمن بن أبي القاسم بن محمد الخياط أبي دفين بوقادير بن أبي عبد الله محمد المغوفل دفين بطحاء شلف وينتهي نسبه إلى فاطمة الزهراء بنت رســـول الله ﷺ[2].

ولد الشيخ سيدي عدة بقرية مشتى الفقرا قرب بلدة جديوية حوالي سنة **1783**م، تلقى علومه الأولى بزاوية أبيه، فقرأ القراءات السبع على يد عمه سيدي الجيلالي بن المولود البوعبدلي.

واصل تعليمه بقرية الدبة في العلوم النقلية والعقلية، على يد الشيخ سي الحاج بن حمو وابنه سي أحمد بن حمد[3].

بعد وفاة والدة سنة **1811** التحق سيدي عدة بن غلام الله بمدرسة مازونة الشهيرة سنة **1812**، أين تتلمذ على أبرز علمائها آنذاك كالشيخ سيدي التهامي، ثم انتقل إلى قرية ماقر بعرش بسناس لدى الشيخ سيدي محمد بن عبد الرحمن، فأخذ عليه علم التوحيد والنحو والحديث وعلم

الأصول وبعد تحصيله العلمي تصدى الشيخ سيدي عدة للتدريس والإفتاء بزاوية أبيه[4].

- سنده الصوفي

لسيدي عدة بن غلام الله أسانيد صوفية تنوعت بين سند الطريقة الرحمانية (أخذه عن أبيه) سند الطريقة الجيلانية أخذه عن سيدي عبد القادر بطويل، وسند الطريقة الطيبية أخذه عن شيخه سي محمد بن عبد الرحمن، وأخيرا سنده في الطريقة الدرقاوية وأخذه عن سيدي مولاي العماري البوعبدلي.

- تأليفه

ألف سيدي عدة بن غلام الله مجموعة من التأليف القيمة، منها ما هو مفقود ومنها ما محفوظ بالخزانة العدواية، نذكر منها على سبيل المثال:

- كتاب: مفتاح القلوب في حديث النبي المحبوب (في جزئيين).
- كتاب: نتيجة الفتاح، كطلوع الفجر للصباح (في جزئيين)
- كتاب: ريحان القلوب في الصلاة على النبي المحبوب (في جزئيين).
- كتاب: الطائفة الشلفية في المناقب البوعبدلية (في جزئيين)[5].

- مبايعة الأمير عبد القادر

يشير المخطوط في الورقة الأولى إلى أن مبايعة الأمير عبد القادر كانت سنة **1833**"، في ذلك الوقت كانت التولية المرابطية، تولاها الأمير الحاج عبد القادر بحضرة أبيه، بعد أن طلبها له عند الخاص والعام وكانت تلك التولية عام **1248**ه"[6].

فمبايعة الامير عبد القادر بالنسبة للشيخ سيدي عدة بن غلام الله، إنما هي "تولية مرابطية"، لعب فيها المرابطين، والصلحاء دورا فعالا وحاسما، يعتبر عملية البيعة، بيعة مراطبين، ودور العلاقات الروحية بين الطرق الصوفية في الدفع بعملية البيعة، خاصة علاقة أولاد سيدي بوعبد الله المغوفل

بأولاد سيدي قادة بن المختار، وفي ذلك يؤكد الشيخ سيدي عدة: "بأن جدي غلام الله كان مريدا على جده سيدي الحاج مصطفى بالمختار، ورأى على يده كرائم منها كرامة أبي المرسوم كانت أمه آيسة من الأولاد وحملت به بدعوة الشيخ المذكور فكنت أنا عبيد الله على محبتهم وعهدهم سابقا..."[7].

- الأمير عبد القادر يولي سيدي عدة بن غلام الله القضاء

من خلال التفاصيل الواردة في هذا المخطوط، يستطيع الباحث أن يتعرف على معلومات هامة، وغير معروفة عن الشروط التي وضعها الأمير عبد القادر لتولي منصب القضاء، وعن طبيعة العلاقة بين المتصوفة والأمير عبد القادر. فالأمير عبد القادر كان صارما في تعيين القضاة، شروطا أتى على ذكرها صاحب "زبدة التاريخ" قائلا: "ولم تستخدم حكومة الأمير في جميع العمال من القضاة، إلا من اشتهر بالعلم ومعرفة النوازل والأحكام، وعرف بالعفاف والدقة وربط أمورهم بقاضي معسكر أبي العباس احمد بن الهاشمي المراحي وعين لكل قاضي كاتبين من العدول المبرزين ينوب أحدهما عن القاضي، وثانيهما بمنزلة المفتي يقوم بمراجعة الفتاوى التي تجري الأحكام بمقتضاها..."[8].

حسب المخطوط الذي بين يدينا، فإن طلب الأمير عبد القادر في تولية سيدي عدة بن غلام الله إنما كان، لأسباب يذكرها قائلا: "إن الفقيه المذكور، ذكر لي رأيت الشيخ عبد القادر يطلب في الشيخ سيدي أبو عبد الله على أن يعطيه أحدا من أولاده ليدخل أمرا من أمور الحاج عبد القادر ليستقيم ملكه فما بقيت إلا أياما وبعث لي الحاج عبد القادر بخط يده، اقبل لتتولى منصب القضاء وإلا أعدل فيك عدل الباغيه فقدمت إليه متواضعا بالجاه، فلم يسمع مقالتي، بعد أن حلف إن لم يقبلها لأضربنه كما ضرب مالك ونسجنه ما دمت عليها الإمام في الملك. فقبلتها بعد أن استأذنت استأدى مولاي العربي بن عطية فأمرني بها خوفا على نفسه أن يهلكه فامتثلت لذلك وبقيت حزينا"[9].

إذن ومن خلال هذه الرواية، فإن استجابة سيدي عدة بن غلام لله للأمير عبد القادر إنما كان خوفا على نفسه وخوفا على شيخه سيدي العربي بن عطية، وهذا الموقف يعكس قناعة صوفية وموقف حاسم من رجل متصوف تجاه سلطة زمانية لدى المتصوفة، وما قبول سيدي عدة لخطة القضاء على مضض إلا تأكيد على هذا التوجه في حياة المتصوفة.

- ممارسته لخطة القضاء

عن ممارسته للقضاء فإن الشيخ سيدي عدة يطلعنا على تفاصيل ذات أهمية بخصوص الظروف الاجتماعية التي كان يمارس من خلالها هذا المنصب: "فأيدني الرب الرحيم بالصبر والزهد ولم نأخذ شيئا مما وجب لي شرعا في الزكاة وغيرها فضلا عما لا يجب وكان العباد في قهر وظلم من المتولين فرأى بعض المحبين رؤية قال رأيت النار تأكل في العباد فلما نزل عدة وسطها سكنت..."[10].

وهذه من الروايات التاريخية النادرة التي تصف المتولين في دولة الأمير عبد القادر بالقهر والظلم: "فمن حيث توليت من وادي أسلي إلى مينا والظهرة لم يأخذ فقيه دينارا ولا درهما ولم نأخذ أنا ولا القياد من تزويج المرأة شيئا كعادتهم السيئة..."[11].

لقد كان أداء سيدي عدة لمهامه القضائية والشرعية، محل تقدير وإجلال من طرف الأمير عبد القادر: "فبقيت معه يحبني ويعظني بحيث إذا قرأ رسالتي يقبلها ويضعها فوق راسه..."[12].

سيدي عدة يهجر الأمير عبد القادر؟

وهنا نتساءل عن سبب توتر العلاقة بين الطرفين؟

هل السبب طرقي؟ قادري / درقاوي كما أوعزت لذلك الأدبيات الاستعمارية وبعض المقاربات الاختزالية؟

هل السبب متعلق بعصبية مقيته؟ بمعنى هل لذلك علاقة بهلاك الحاج محمد ولد سيدي عربي وهو من أبرز الزعامات السياسية البوعبدلية؟ لكن

هذا الاحتمال مستبعد، بالنظر لشخصية سيدي عدة الروحية، التي لم يتقاطع تأثيرها الروحي مع اية سلطة زمانية سياسية.

عن استبعاد هذه العوامل يجيب سيدي عدة: "ومن حيث توليت وأنا انظر كل نازلة حلت به ندفعها عليه حتى في قضية سيدي موسى فرأيت كأني نقاتل معه كما ذكرت ذلك في غير هذا..."[13].

إلى أن يذكر السبب في هجره لخطة القضاء لدى الأمير عبد القادر: "إلى أن تكلم في أخذ العقار جميعا يجعله لبيت المال وقلت له هذا من لا يتم لأحد من قبلنا، ولم يتم لنا وإنه لحمل غزير يبقى على كواهلنا فتغير من ذلك..."[14].

إذن، فخلاف الزعامتين يتعلق بمصادرة الأمير للعقار، وهي السياسة التي تزامنت مع حصار الأمير للشيخ التيجاني بعين ماضي سنة **1838**، واستنزاف الامير لموارد بيت المال ,مما اضطره إلى فرض ضريبة المعونة من جديد، وهي الضريبة التي رفضتها عديد القبائل بنواحي الشلف ومينا والظهرة والونشريس، واعتبرتها غبنا جبائيا، حيث دخلت في حركة عصيان ضريبي، كان من نتائجه مصادرة الأمير عبد القادر لأراضيها.

ويضيف سيدي عدة: "فرأيت في المنام ملكا طالعا إلى السماء وهو يقول هاني اشتكي بكم لله تعالي واضعا أصبعه تحت عينه كما يحلف الحالف المغتاض، فبعثت له فلم يمتثل".

لقد راسل سيدي عدة الأمير في شان هذه النازلة لكنه لم يمتثل، لنتساءل اليوم عن مصير هذه المراسلات؟ من خلال هذا المخطوط يشير سيدي عدة بانه لجأ إلى جبل شامخ بالونشريس أين سيلتحق بشيخه مولاي العربي بن عطية، وعليه فإننا لا نستبعد هجره سيدي عدة لحظة القضاء إنما كانت استجابة لشيخه مولاي العربي بن عطية الطويل.

اختم هذه القراءة بالتأكيد على أن هجرة سيدي عدة للأمير إنما كانت نتيجة تزمت الأمير وتشدده في جباية الضريبة اتجاه الرعية، وهي سياسة كثيرا ما أثارت الطريقة الدرقاوية ضد التسلط التركي، وعليه فإن موقف

سيدي عدة يقرئ كموقف يعبر عن ثابتة من ثوابت مرابطي وصلحاء درقاوة، وهي ثابتة الابتعاد عن الزمني (السلطة السياسية) والاكتفاء بالروحي فقط مع تبني المطالب الثورية للرعية.

- البيبليوغرافيا

- المصادر المخطوطة

- مخطوط "النبذة" لسيدي عدة بن غلام لله: نسخة مسجد الشريفية، المدينة الجديدة، وهران، **1994**م.

- المصادر المطبوعة

- أبو عبد لله الأعرج السليماني: زبدة التاريخ وزهرة الشماريخ، تح حساني مختار، المكتبة الوطنية الجزائرية، د ت.

- المراجع باللغة العربية

- العربي بوعمامة، بن عمر حمدادو: الشيخ سيدي عدة بن غلام لله وأثاره في التصوف، دار الغرب الإسلامي، د ت.

- المراجع باللغة الأجنبية

- Emerit (Marcel); L'Algérie à L'époque D'abdelkader, Larose, Paris, **1951**.

- الهوامش

1- Emerit (Marced),'Algérie à l'époque D'abdelkader, Larose, Paris, **1951**, P**201**.

2- العربي (بوعمامة)، بن عمر (حمدادو)، الشيخ سيدي عدة بن غلام الله وآثاره في الفكر والتصوف، دار الغرب الإسلامي، د ت، ص**09**.

3- نفس المرجع، ص**10**، **11**.

4- المرجع السابق، ص**13**.

5- نفس المرجع، ص**28-30**.

6- محفوظ "النبذة"، الورقة الأولى.

7- نفس المصدر: الورقة الثانية.

8- أبو عبد الله المحرج السليماني، زبدة التاريخ وظهرة التاريخ"، تح مختار حساني، المكتبة الوطنية الجزائرية، ص**281**.

9- النبذة، الورقة **02**.

10- نفس المصدر.

11- النبذة، الورقة، **03**.

12- نفس المصدر.

13- نفس المصدر، الورقة **04**.

14- "النبذة"، الورقة **04**.

15- نفس المصدر.

سكة الأمير عبد القـادر الجزائري
وبنـاء السيـادة الوطنية

الأستـاذ الدكتور: عبد القـادر دحدوح
المركز الجـامعي مرسلي عبد الله - تيبـازة

- مقدمة

تمثل المداخلة تقديم ملخص لكتابنا المعنون بـ: سكة الأمير عبد القادر الجزائري وبناء السيادة الوطنية والذي نلت به جائزة أفضل كتاب علمي في الآثار والتراث في الوطن العربي لسنة **2024** من المجلس العربي للاتحاد العام للآثاريين العرب بالقاهرة، والذي تناولت فيه جهود الأمير عبد القادر في بناء السيادة الوطنية والتي كان يهدف من خلالها إلى بناء جزائر مستقلة عن الخلافة العثمانية وعن غيرها من الكيانات الدولية، وقد رسخ الأمير هذا الهدف بضرب عملة جزائرية خالصة لها رمزية كبيرة وأهمية بالغة في التأكيد على استقلالية الجزائر، وذات سيادة وطنية.

يضم الكتاب ثلاثة فصول، تناولت في الفصل الأول منها الجانب التاريخي لدولة الأمير عبد القادر وجهوده في بناء الدولة الجزائرية الحديثة، وفيه عرض لحياة الأمير عبد القادر من مولده إلى وفاته، وأهم وأبرز الجهود التي بذلها في سبيل تأسيس الدولة والتأسيس لسيادتها بدءا من المبايعة واتخاذ لقب أمير المؤمنين، إلى اتخاذ ختم الدولة، والراية، وسك العملة، وتنظيم مجلس إدارة الدولة بما فيه تعيين الوزراء والولاة والسفراء، وسائر الإطارات في مختلف القطاعات، وفرض التأشيرة على كل من يدخل إلى التراب

الجزائري ضمن الاقاليم التابعة لسلطة الأمير، وتأسيس جيش نظامي عصري، واتخاذ عاصمة لدولته، وبناء سلسلة من المدن والقلاع والحصون.

الفصل الثاني خاص بالدراسة الوصفية لنماذج من نقود الأمير عبد القادر، بداية بالمجموعة النقدية المحفوظة بالمتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية، ثم مجموعة المتحف الوطني زبانة بوهران، ثم متحف سيرتا بقسنطينة والمتحف البلدي ببرج الأمير عبد القادر بتيسمسيلت ثم المجموعة المحفوظة بمتحف المكتبة الوطنية بباريس دراسة تقدم فيها بطاقات تقنية عن أهم النماذج، وصفا وصورة.

الفصل الثالث خصص للدراسة التحليلية وفيه قدمنا الإطار التاريخي لسك عملة الأمير عبد القادر، وتحديد أماكن دور السك التي كانت تتم بها العملية، ومقارنة وتحليل أوزان النقود وشكلها ومضامينها الكتابية والزخرفية بنقود العالم الإسلامي السابقة والمعاصرة لها، لتحديد المعاني الرمزية في سكة الأمير وبيان خصوصيتها عن غيرها من النقود، ومدى اسهامها في إبراز معالم السيادة الوطنية؛ غير أن في هذا المقال لا يمكننا التطرق إلى كل هذه التفاصيل مما يحتم علينا تقديم بعض النقاط الأساسية التي تخدم الموضوع بشكل مباشر.

أولا- تاريخ سك العملة

يظهر من خلال القطع النقدية المكتشفة أن الأمير عبد القادر بدأ يسك عملته بمدينة أم عسكر في سنة **1250**هـ/**1834-1835**م، واستمر في ضربها بها إلى غاية سنة **1251**هـ/**1835-1836**م، ثم استأنف العملية بتاقدمت عاصمته الجديدة بداية من سنة **1252**هـ/**1836-1837**م، إلا أن الشيخ عبد الرحمن الجيلالي -رحمه الله- أشار من خلال الكنز النقدي الذي درسه والموجود بالمتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية بالجزائر إلى وجود قطعتين نقديتين تحملان اسم مدينة تاقدمت مضروبتان بتاريخ **1250**هـ/**1834-1835**م[1]، ونفس التاريخ ذكره كل من الأخضر درياس ويمينة درياس وحنان دوبابي، حيث يشيرون بدورهم إلى قطعة نقدية

موجودة بالمتحف الوطني أحمد زبانة بوهران ضربت بتاقدمت بتاريخ **1250**هـ/**1834-1835**م[2].

فأما بخصوص ما ذهب إليه الشيخ عبدالرحمن الجيلالي -رحمه الله- فإن الأستاذ منير بوشناقي ذكر بأنه أخضع القطعتين النقديتين إلى عملية تنظيف، وتبين له أنه من غير الممكن أن يكون التاريخ الذي قرأه الشيخ عبد الرحمن الجيلالي صحيحا، حيث يشوب الرقم الأخير من تاريخ الضرب صدأ وتآكل بشكل لا يسمح بقراءته بشكل صحيح، ونفس الأمر ينطبق على ما ذكره كل من الأستاذ لخضر درياس والأستاذة يمينة درياس وحنان دوبابي، فالقطعة التي يشيران إليها مكسرة في منتصف رقم الآحاد حيث لا يظهر من هذا الرقم إلا جزء منه فقط، وقد قرئ على أساس أنه رقم صفر، وما يؤكد صحة ما نود الذهاب إليه هو أن تاريخ بناء قلعة تاقدمت كان في سنة **1252**هـ/**1836-1837**م[3]، وعليه فإنه من غير المعقول أن يظهر اسم هذه المدينة على النقود قبل هذا التاريخ.

وإذا كانت بداية ظهور عملة الأمير عبد القادر والتي كانت في سنة **1250**هـ/**1834-1835**م أمرا واضحا ومؤكدا بالأدلة الأثرية، فإن تاريخ توقف ضربها يبقى على حسب ما يبدو لي أمرا بحاجة إلى إعادة نظر.

تعتبر عدة دراسات[4] أن آخر سنة ضرب فيها الأمير عبد القادر سكته هي **1258**هـ/**1842-1843**م، معتمدة في ذلك على القطعة النقدية التي ذكرها لافوا في كتالوج العملات الإسلامية من دون أن ينشر صورة لها[5]، إلا أنه بعد حصولنا على صورة للقطعة النقدية (أنظر الصورة رقم **3**) المذكورة، تبين لنا أن رقم أحدها هو أربعة وليس ثمانية، وأن هذا الرقم مسه صدأ في جانب منه، وعند مقارنته بطريقة نقش رقم أربعة في قطع أخرى تتضح الصورة أكثر، مما يعني أن سنة ضربها هي **1254**هـ/**1838-1839**م، وليس سنة **1258**هـ/**1842-1843**م مثلما قرأها لافوا.

ولعل ما يدعم هذا الطرح هو أن قلعة تاقدمت كانت تعرضت للتخريب والتدمير بتاريخ **04** ربيع الثاني **1257**هـ/**25** ماي**1841**، وعلى الرغم من أن

الاحتلال لم يدم لأكثر من يوم واحد وغادرت القوات الفرنسية القلعة في يومها التالي (**05**ربيع الثاني**1257**هـ/**26**ماي**1841**) إلا أن القلعة كانت شهدت خرابا كبيرا كان في الأول من قبل قوات الأمير عبد القادر التي أضرمت في مبانيها النيران حتى لا تستهوي العدو ويستقر بها، ولما وصلتها القوات الفرنسية ووجدتها محطمة زادت من تحطيم ما بقي بها من معالم ما عدا المسجد ثم رحلت عنها[6].

ثانيا- أنواع نقود الأمير عبد القادر

إن مسألة أنواع النقود التي ضربها الأمير عبد القادر تبقى مفتوحة على كل الاحتمالات، فهي محل اختلاف بين الدارسين وذلك في ظل غياب ندرة النصوص والوثائق وقلة النقود المكتشفة إلى حد اليوم، ويظهر الاختلاف بشكل واضح بين ما ذكرته بعض المصادر وبين بعض الدراسات، حيث جاء في نص قدور ابن رويلة: "إن أمير المؤمنين -نصره الله- جعل للسكة الجارية في بلاده صرفا معلوما تتعامل به رعيته وإعانة لبيت المال، وقطع -نصره الله- سكتين: أحداهما (المحمدية) والأخرى (النصفية)"[7].

وبناء على هذا النص يظهر أن الأمير عبد القادر لم يضرب غير سكتين، وهما السكة المحمدية والنصفية، وهو نفس الأمر الذي ذكره دوماس (Daumas)، حيث أشار في رسالة مؤرخة بـ: **27** ماي **1838** بعث بها إلى الجنرال راباتال (Rapatel) بأن الأمير عبد القادر ضرب: السكة في تاقدمت بدأها بالخراريب وهي قطع بثلاث ليرات، والمحمدية قطع بست ليرات وقد كتب على أحد الوجهين: لا إله إلا الله، وعلى الجهة الأخرى: ضربت في تاقدمت من طرف السلطان عبد القادر[8].

وفي رسالة أخرى مؤرخة بـ: **3** جوان **1838** أوضح فيها أنه بصدد جمع بعض قطع النقود التي ضربها الأمير في الآونة الأخيرة، وهذا العمل صعب نوعا ما لأنها لم تدخل بعد معسكر، وأنه أخطأ في وصفه السابق، حيث يرجح أنه مكتوب على أحد الوجهين عبارة: حسبي الله ونعم الوكيل[9].

وإذا كان ابن رويلة ودوماس يتفقان من حيث أن الأمير عبد القادر ضرب صنفين فقط من السكة، فإن صاحب كتاب تحفة الزائر أشار إلى وجود ثلاثة أصناف، حيث قال بأن الأمير عبد القادر ابتنى في تاقدمت "دارا لضرب السكة، وجعلها ثلاثة أجناس من الفضة والنحاس، مستديرة الشكل، فالفضة والنحاس نوعان مكتوب على أحد وجهيها: (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه)، وعلى الآخر: (ضرب في تاكدمت)، وتاريخ الضرب سنة **1255**، وهذه القطعة عبارة عن فرنكين، والجنس الثاني من الفضة والنحاس مكتوب على أحد وجهيه (إن الدين عند الله الإسلام)، وعلى الوجه الآخر محل الضرب والتاريخ، وهذه القطعة عبارة عن فرنك واحد، والجنس الثالث من الفضة والنحاس مكتوب على وجهه الأول (ربنا افرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا)، وعلى الثاني محل الضرب والتاريخ، وهذه القطعة عبارة عن نصف فرنك"[10].

وقد كان قبل هذا النص أعاد صاحب كتاب تحفة الزائر ما ذكره ابن رويلة بشأن سك الأمير عبد القادر لسكتين المحمدية والنصفية[11]، وقد فهم من هذا حرب أديب أن الأمير عبد القادر ضرب خمسة أصناف من النقود تتمثل في ما يلي[12]:

- المحمدية: أخذت تسميتها نسبة الى اسم الرسول محمد ﷺ، وهي عبارة عن قطعة من نحاس وفضة وزنها **75** غرام، وقطرها يتراوح بين **16** و**17** ملم، كتب على أحد وجهيها في ثلاثة أسطر أفقية الاقتباس القرآني الآتي: إن الدين / عند الله / الإسلام، وعلى الظهر كتب في ثلاثة أسطر متوازية أيضا مكان وتاريخ الضرب كما يلي: ضرب في / تاقدمت/ **1256**، وكانت تساوي آنذاك بالعملة الفرنسية **14** ونصف سنتيم، أي جزء من أربعة عشر جزء من الريال الإسباني.

- النصفية: نسبة إلى كون صرفها يقدر بنصف صرف المحمدية، وهي عبارة عن قطعة نحاسية وزنها **53**% غرام، وقطرها **14** ملم، كتب على وجهها: حسبنا الله / ونعم / الوكيل، وعلى الظهر كتب مكان وتاريخ الضرب كما يلي: ضرب في / تاقدمت / **1256**.

- الفرنكين: وهي عبارة عن قطعة معدنية تتشكل من خليط بين نحاس وفضة، أخذت تسميتها نسبة إلى العملة الفرنسية، وقد سجل الأمير على أحد وجهي هذه العملة الآية القرآنية: (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه)، وفي الظهر: عبارة (ضرب في تاقدمت سنة **1255**).

- الفرنك: هو الآخر أخذ تسميته نسبة إلى العملة الفرنسية، مشكل من خليط معدني من النحاس والفضة، كتب على وجهه: إن الدين / عند الله / الإسلام، وفي الظهر مكان وتاريخ الضرب: ضرب في / تاقدمت / **1255**.

- نصف الفرنك: وهو أحد أجزاء الفرنك، وهو يصنع مثل العملتين السابقتين من النحاس والفضة، كتب على وجهه الاقتباس القرآني الآتي: ربنا / افرغ علينا / صبرا وثبت / أقدامنا، وفي الظهر كتب مكان وتاريخ الضرب: ضرب في / تاقدمت / **1255**.

وبالإضافة إلى ما ذكره ابن رويلة ودوماس ومحمد بن عبد القادر، أورد شرشل نصا آخرا يشير فيه إلى أصناف سكة الأمير، حيث يذكر: "وهناك (بتاقدمت) دار لسك العملة الفضية والنحاسية التي كانت قيمتها تتراوح بين خمسة شيلنات إلى بينسين، وكان أحد وجهي العملة يحمل العبارة: باسم الله، نعم المولى ونعم النصير، وعلى الوجه الآخر عبارة: ضرب في تاقدمت بأمر السلطان عبد القادر"[(13)].

وبالإضافة إلى هذه النصوص فقد أشار اسكوت إلى أن الأمير عبد القادر أصدر نقودا مصنوعة من الفضة ذات قيمة مختلفة، حيث قال: "والمسألة الأخرى التي عني بها الأمير عبد القادر هي صك النقود. فقد أصدر عددا من قطع النقود المصكوكة المتداولة. وهي مصنوعة من الفضة وقيمتها **2** شلن و**8** بنسات، **1** شلن و**4** بنسات، **4** بنسات، و**2** بنسات، أو من النحاس قيمة القطعة **20** بنسا، و**2** بنسا، وكل قطعة تحمل ختم الأمير والسنة التي ضربت فيها"[(14)]، ومن خلال هذا النص يظهر أن الأمير عبد القادر ضرب نوعين من السكة، سكة من الفضة وهي على أربعة أصناف: الصنف الأول: قيمته **2** شلن و**8** بنسات، الصنف الثاني: قيمته **1** شلن و**4** بنسات، الصنف

الثالث: قيمته **4** بنسات، الصنف الرابع: قيمته **2** بنسا، أما السكة النحاسية فهي تنقسم إلى صنفين: الصنف الأول: قيمته **20** بنسا، الصنف الثاني: قيمته **2** بنسا.

وإذا كان ايسكوت ذكر أصناف سكة الأمير من حيث قيمة صرفها، فإن شرشل هو الآخر ذكر بما يفيد بأن سكة الأمير عبد القادر كانت على عدة أصناف تتراوح قيمتها بين: "خمسة شيلنات إلى بينسين"[15].

أما الدراسات الحديثة فقد اعتمدت بشكل كبير في تصنيفها لنقود الأمير على نص ابن رويلة الذي يقول بأن الأمير ضرب نوعين من السكة محمدية ونصفية، ويبدو لنا أنه من الناحية العلمية أن النقود تصنف وفق مبدأين أساسيين هما مادة السك، والوزن، فأما بالنسبة لمادة السك فهناك نقود من الذهب وكانت تعرف بالدنانير، وأخرى من الفضة عرفت بالدراهم، ونوع ثالث من النحاس وهو الأقل قيمة وكان يعرف بالفلوس.

أما من حيث الوزن فقد كان لكل نوع من الأصناف الثلاثة السالفة الذكر أجزاؤه، مثل النصف والثلث والربع، ومن خلال دراسة القطع النقدية المكتشفة يظهر أن الأمير عبدالقادر ضرب صنفين من النقود هما: النقود الفضية أو الفضية النحاسية والنقود النحاسية، ولكل صنف منهما أجزاؤه الخاصة به على حسب وزنها.

أ- النقود الفضية

تميزت النقود الفضية التي ضربها الأمير عبدالقادر بنوعين أساسيين وذلك من حيث الوزن والقطر، النوع الأول وهو يشمل ما نشره لافوا(Lavoix)[16] حول نقدين فضيين يزن أولهما **6,03** غرام، وقطره **28** ملم، والثاني وزنه **5,57** غرام، وقطره **27** ملم، ويحمل هذان النقدان نفس النصوص المتمثلة في ما يلي:

الوجه **الظهر**

ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلميـن

ضرب في تاقدمت **1256**

أما الصنف الثاني فيتمثل في قطعتين معروضتان بالمتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الاسلامية بالجزائر، وقطعة نشرها ستانلي لان بول (Stanley Lane Poole) في كتالوج المسكوكات المشرقية[17]، ومما تتميز به هذه القطع هو صغر حجمها قطرا ووزنا مقارنة بالصنف الأول، حيث يتراوح قطرها بين **8** و**14** ملم، ووزنها يتراوح بين **0,35**غ و**0,72**، وفي ما يلي نص كتاباتها:

- القطعة الأولى

الوجه **الظهر**

حسبنا الله ونعم الوكيل

ضرب في أم عسكر (**1**)**5**(**12**)

- القطعة الثانية

الوجه **الظهر**

إن الدين عند الله الإسلام ضرب في تاقدمت **1252**

أما إذا تحدثنا عن أصناف السكة الفضية من حيث النصوص الكتابية والنقوش الزخرفية فيمكن القول أنها كانت على ثلاثة أصناف:

- الصنف الأول: وهو الذي سجلت فيه الآية القرآنية: (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) (الآية **126** من سورة الأعراف)، ولهذا الصنف نموذجين فقط حسب المجموعات المدروسة، وهما موجودان في متحف المكتبة الوطنية بباريس، وهما مضروبان في سنة **1256**هـ/**1840-1841**م.

- الصنف الثاني: سجلت فيه الآية الكريمة: (حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (الآية **173** من سورة آل عمران) (أنظر الصورة **4**)، وهي تظهر على أربعة قطع نقدية محفوظة بمتحف المكتبة الوطنية بباريس، وهي مؤرخة بسنتي: **1252**/**1836-1837**م، و**1254**هـ/**1838-1839**م، منها واحدة مضروبة بأم عسكر والباقي بتاقدمت، في حين يحتفظ المتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية بالجزائر بقطعة واحدة مضروبة سنة **1251**هـ/**1835-1836**م بأم عسكر.

- الصنف الثالث: سجلت فيه الآية الكريمة: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ) (الآية **19** من سورة آل عمران) (أنظر الصورة **5**)، لهذا الصنف قطعة محفوظة بالمكتبة الوطنية بباريس، مضروبة بتاقدمت في سنة **1252**هـ/

1836-1837م، وأخرى بالمتحف الوطني للآثار القديمة والفنون الإسلامية بالجزائر، وهي مضروبة في سنة **1252**هـ/**1836-1837**م بتاقدمت.

وإذا ما قارنا نقود الأمير عبد القادر بالنقود الفضية العثمانية كما هو موضح في الجدول أسفله[18] نجد أنه من حيث الوزن يمكن أن يكون الصنف الأول من عملة الأمير عبد القادر الفضية تعادل ما يزيد عن النصف ريال بوجو، وقد تصل إلى ثلثي ريال بوجو، على أساس أن ثلث ريال بوجو كان وزنه يصل إلى **3,3**غ.

أما الصنف الثاني من عملة الأمير عبدالقادر الفضية وبالنظر إلى وزنها، يمكن أنها كانت تعادل ما يعرف عند العثمانيين بالصايمة في البعض منها، والبعض الآخر يمكنه أن يعادل الموزونة.

وعلى الرغم من هذه الموازنة بين سكة الأمير عبد القادر الفضية وسكة العثمانيين بالجزائر إلا أنه من غير الممكن تحديد التسمية التي عرفت بها السكة الفضية عند الأمير عبد القادر، كما أنه من غير الممكن القول بأن السكة المحمدية أو النصفية كانت من الفضة بدليل أن سعر صرفيهما بعيد كل البعد عن قيمة صرف العملات الفضية العثمانية، فقد كان سعر صرف هذه الأخيرة بالفرنك الفرنسي يتراوح بين **0,17** فرنك كحد أدنى و**3,723** فرنك كحد أقصى[19]، في حين كان سعر صرف عملتي المحمدية والنصفية يقدر بـ: **0,05** فرنك للأولى و**0,025** فرنك بالنسبة للثانية[20].

وقد يدفعنا هذا إلى القول بأن ما ذكره محمد بن عبد القادر الجزائري قد يكون صحيحا، حيث ذكر بأن الأمير عبد القادر ضرب الفرنكين والفرنك ونصف الفرنك[21]، ومن خلال قيمة صرف هذه العملات يبدوا أنها مصنوعة من الفضة وليس كما قال محمد بن عبد القادر بأنها مصنوعة من الفضة والنحاس، إذ لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يصل سعر صرف عملة نحاسية إلى مستوى يساوي فيه حتى نصف الفرنك فكيف بالفرنكين؟

ومما يلاحظ على نص محمد بن عبد القادر هو تلك التسميات التي أطلقها على سكة الأمير (الفرنكين والفرنك ونصف الفرنك)، إن هذه

التسميات تبدوا لنا مأخوذة فقط نسبة إلى سعر صرفها بعملة الفرنك، في حين كانت في واقع الأمر على عهد الأمير عبد القادر تعرف بأسماء أخرى قد لا تكون بعيدة عما كان معهودا عند العثمانيين، ومن حيث قيمة صرفها فهي تكاد تعادل ريال بوجو (الفرنكين) ونصف الريال بوجو (الفرنك) وربع الريال بوجو (نصف الفرنك)، فقد كان سعر صرف الريال بوجو يصل إلى حوالي **1,86** فرنك (ما يقارب الفرنكين)، وسعر صرف ربع الريال بوجو يتراوح بين **0,45** إلى **0,75** فرنك[22] بمعنى حوالي نصف فرنك، مع الأخذ بعين الاعتبار الفوارق التي يعرفها سعر صرف العملات من فترة إلى أخرى.

ب- النقود النحاسية

تجمع النصوص التاريخية على أن الأمير عبد القادر ضرب نقودا من النحاس، وهو الأمر الذي تؤكده الدلائل الأثرية، حيث تعد أغلب المكتشفات من سكة الأمير عبد القادر مصنوعة من النحاس، في حين تعد القطع النقدية الفضية على الأصابع مثلما رأينا سابقا.

لقد حاولت بعض الدراسات الحديثة أن تقوم بتصنيف نقود الأمير عبد القادر، فجعلت النصفية من الفضة والمحمدية من النحاس[23]، ولا أدري على أي أساس يقوم هذا التصنيف، على الرغم من أن كل المعطيات تشير إلى أن النصفية هي عملة ثانوية بل وجزئية للعملة المحمدية باعتبار أن المحمدية تساوي **2** نصفية، فكيف يعقل أن تكون النصفية من فضة في حين العملة الرئيسية وهي المحمدية تكون من نحاس، ولعل من أهم الدارسين الذين لم يسيروا في هذا المنحى الأستاذ محمد بن عبد الكريم محقق كتاب وشاح الكتائب، فهو يقول بأن المحمدية من نحاس مفضض، والنصفية من نحاس[24].

وإذا عدنا إلى المعطيات الأثرية فالنقود النحاسية المكتشفة لحد اليوم كانت أوزانها تتراوح بين **0,3**غ إلى **1,8**غ، ومنه يتضح أن سكة الأمير عبد القادر النحاسية لم تكن مضروبة وفق صنفين (المحمدية والنصفية) فقط، وإنما كانت هناك عملة مشكلة من عدة أجزاء، ويمكن ملاحظة تلك

الفروقات الكبيرة بين أوزان النقود المكتشفة لحد اليوم، فلو ننظر إلى أكبر وزن والمقدر بـ: **1,8**غ ثم ننظر إلى أقل وزن وهو **0,3**غ، يمكن القول بأن أجزاء عملة الأمير عبد القادر النحاسية ربما كانت تتجاوز ربع الوحدة الرئيسية، والحقيقة أن هذه الأجزاء هي ضرورية فقد جعلت عبر التاريخ لتسهيل عمليات البيع والشراء في أقل مستوياتها.

ثالثا- النقوش الكتابية ورمزيتها

لقد أوردت المصادر التاريخية بعض النصوص التي نقشت على سكة الأمير عبد القادر، ومن بين تلك النصوص ما ذكره دوماس، في رسالة مؤرخة بـ: **27** ماي **1838** بأن الأمير ضرب سكة كتب على أحد وجهيها "لا إله إلا الله"، وعلى الجهة الأخرى "ضربت في تاقدمت من طرف السلطان عبد القادر"[25]. ثم استدرك في رسالة أخرى مؤرخة بـ: **3** جوان **1838** وأوضح بأنه أخطأ في وصفه السابق، حيث يرجح أنه مكتوب على أحد الوجهين عبارة: "حسبي الله ونعم الوكيل"[26]، ويبدو أنه أخطأ مرة أخرى في كتابة الآية بشكلها الصحيح، فالآية وعلى حسب ما أظهرته الشواهد الأثرية هي: (حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (الآية **173** من سورة آل عمران).

ومن النصوص أيضا ما ذكره صاحب كتاب تحفة الزائر الذي أشار إلى وجود ثلاثة أصناف من الكتابات والنقوش، كل صنف منها مرتبط بصنف من النقود كما يلي[27]:

- الصنف الأول: الوجه الأول (الوجه): ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه، الوجه الآخر (الظهر): ضرب في تاكدمت سنة **1255**.

- الصنف الثاني: الوجه الأول (الوجه): إن الدين عند الله الإسلام، الوجه الآخر (الظهر): ضرب في تاكدمت سنة **1255**.

- الصنف الثالث: الوجه الأول (الوجه): ربنا افرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا، الوجه الآخر (الظهر): ضرب في تاكدمت سنة **1255**.

وبالإضافة إلى هذه النصوص الكتابية، فقد أورد تشرشل ما يفيد بوجود صنف آخر يحمل نصوصا كتابية جاء فيها ما يلي:

- الوجه الأول (الوجه): باسم الله، نعم المولى ونعم النصير

- الوجه الآخر (الظهر): ضرب في تاقدمت بأمر السلطان عبد القادر[28].

كما أورد ايسكوت نصا يشير فيه إلى أن سكة الأمير عبد القادر كانت تحمل ختم الأمير والسنة التي ضربت فيها[29]، وقد كان ختم الأمير عبد القادر مستدير الشكل، يحمل كتابة دائرية نصها عبارة عن بيت شعري من قصيدة البوصيري:

ومن تكن برسول الله نصرته ❊❊❊ إن تلقه الأسد في آجامها تجم

وفي جوانبه: الله، محمد، أبو بكر، عمر، عثمان، علي، وفي الوسط: الواثق بالقوي المتين، ناصر الدين، عبد القادر بن محي الدين بتاريخ **1248**هـ[30].

ومن خلال النصوص السالفة الذكر، يظهر أن سكة الأمير عبد القادر على حسب المصادر التاريخية كانت تضم نصوصا متنوعة، ولعل أهم تلك النصوص هي الاقتباس القرآني لخمس آيات قرآنية هي:

1- حسبنا الله ونعم الوكيل (الآية **173** من سورة آل عمران)

2- ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه (الآية **85** من سورة آل عمران)

3- إن الدين عند الله الإسلام (الآية **19** من سورة آل عمران)

4- ربنا افرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا (الآية رقم **250** من سورة البقرة)

5- نعم المولى ونعم النصير (الآية **40** سورة الأنفال)

كما تضمنت الكتابات اسم ولقب الأمير عبد القادر الذي ورد في صيغة: السلطان عبد القادر، وإذا أخذنا بقول ايسكوت الذي أشار إلى أن أحد وجهي السكة كان عليه ختم الأمير، وأن ختم الأمير كان يحمل اسمه ولقبه الآتي:

الواثق بالقوي المتين، ناصر الدين، عبد القادر بن محي الدين، ويحمل بيتا شعريا من قصيدة البوصيري ولفظ الجلالة واسم محمد، وأسماء الخلفاء الراشدين، أبو بكر، عمر، عثمان، علي.

وبالإضافة إلى الكتابات السابقة الذكر، حملت سكة الأمير تاريخ ومكان الضرب الذي كان يتم في مدينة تاقدمت، أما إذا عدنا الى الشواهد الأثرية، فإن النقود المكتشفة لحد اليوم تظهر عليها النصوص التالية:

- النموذج الأول

الوجه **الظهر**

حسبنا الله ونعم الوكيل

ضرب في أم عسكر **1250**

- النموذج الثاني

الوجه **الظهر**

إن الدين عند الله الإسلام

ضرب في تاقدمت **1256**

- النموذج الثالث

الوجه	**الظهر**
ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين	ضرب في تاقدمت **1256**

ومن خلال هذه النماذج يظهر أن النقوش الكتابية التي سجلت على نقود الأمير عبد القادر والمؤكدة أثريا تشمل النصوص التالية:

أولا- الاقتباس القرآني:

1- (حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (الآية **173** من سورة آل عمران) (أنظر الصورة **4**).

2- (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ) (الآية **19** من سورة آل عمران) (أنظر الصورة **5**).

3- (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) (الآية **126** من سورة الأعراف).

ثانيا- تاريخ ومكان الضرب:

1- ضرب في أم عسكر **1250**

2- ضرب في تاقدمت **1252**

وفي كل الأحوال فإن هذه النقوش سواء التي ذكرتها النصوص التاريخية او تلك التي نراها مسجلة على النقود المكتشفة لحد الآن كانت لها معاني

وتستوجب علينا التوقف عندها لتحليل مضامينها ومعانيها والظروف التي كانت مزامنة لنقشها كما يلي:

أ- الاقتباس القرآني

1- الاقتباس الأول (حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)

نقشت هذه الآية الكريمة في أربعة أسطر أفقية متوازية في مركز الوجه، وهي تمثل جزءا من الآية رقم **173** من سورة آل عمران، والتي فيها يقول الله سبحانه وتعالى: (الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ).

وبشأن تفسير هذه الآية يقول الطبري: "الذين قال لهم الناس: ان الناس قد جمعوا لكم، (والذين) في موضع خفض مردود على المؤمنين، وهذه الصفة من صفة الذين استجابوا لله والرسول، (والناس) الأول هم قوم فيما ذكر لنا، كان ابو سفيان سألهم أن يثبطوا رسول الله ﷺ وأصحابه الذين خرجوا في طلبه بعد منصرفه عن أحد إلى حمراء الأسد، (والناس) الثاني هم ابو سفيان وأصحابه من قريش الذين كانوا معه بأحد، ويعني بقوله (قد جمعوا لكم): قد جمعوا الرجال للقائكم والكرة اليكم لحربكم. (فاخشوهم) يقول: فاحذروهم واتقوا لقاءهم، فإنه لا طاقة لكم بهم. (فزادهم إيمانا): يقول فزادهم ذلك من تخويف من خوفهم أمر أبي سفيان وأصحابه من المشركين يقينا إلى يقينهم وتصديقا لله ولوعده ووعد رسوله إلى تصديقهم، ولم يثنهم ذلك عن وجههم الذي أمرهم رسول الله ﷺ بالسير فيه، ولكن ساروا حتى بلغوا رضوان الله منه، (وقالوا) ثقة بالله، وتوكلا عليه، إذ خوفهم من خوفهم أبا سفيان وأصحابه من المشركين: (حسبنا الله ونعم الوكيل)، يعني بقوله: (حسبنا الله): كفانا الله، يعني: يكفينا الله، (ونعم الوكيل)، يقول: ونعم المولى لمن وليه وكفله، وإنما وصف تعالى نفسه بذلك لأن الوكيل في كلام العرب: هو المسند إليه القيام بأمر من أسند إليه القيام بأمره، فلما كان القوم الذين وصفهم الله بما وصفهم به في هذه الآيات قد كانوا فوضوا أمرهم إلى الله،

ووثقوا يه، وأسندوا ذلك اليه وصف نفسه بقيامه لهم بذلك، وتفويضهم أمرهم اليه بالوكالة، فقال: ونعم الوكيل الله تعالى لهم"[31].

وقد كان سيدنا إبراهيم عليه السلام قالها من قبل عندما أجمعوا على رميه في النار، حيث يذكر ابن كثير أن الناس شرعوا "يجمعون حطبا من جميع ما يمكنهم من الأماكن، فمكثوا مدة يجمعون له حتى إن المرأة منهم كانت إذا مرضت تنذر لئن عوفيت لتحملن حطبا لحريق إبراهيم. ثم عمدوا إلى جوبة عظيمة فوضعوا فيها ذلك الحطب وأطلقوا فيه النار، فاضطربت وتأججت والتهبت وعلا لها شرر لم ير مثله قط. ثم وضعوا إبراهيم عليه السلام في كفة منجنيق صنعه لهم رجل من الأكراد يقال له "هيزن" وكان أول من صنع المجانيق، فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة. ثم أخذوا يقيدونه ويكتفونه وهو يقول: لا إله إلا أنت سبحانك [رب العالمين] لك الحمد ولك الملك، لا شريك لك. فلما وضع الخليل عليه السلام في كفة المنجنيق مقيدا مكتوفا ثم ألقوه منه إلى النار قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، كما روى البخاري عن ابن عباس أنه قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، قالها إبراهيم حين ألقي في النار، وقالها محمد حين قيل له: (إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (**173**) فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ)"[32].

وقد نقشت هذه الآية على **5** قطع نقدية منها اثنتان مضروبتان بأم عسكر والثلاث المتبقية ضربت بتاقدمت، منها قطعة واحدة ضربت بتاريخ **1250**هـ/**1834-1835**، وثلاثة ضربت بتاريخ **1254**هـ/**1838-1839**م، في حين لا يظهر تاريخ ضرب القطعة الخامسة.

ويرجع ظهور هذه الآية الكريمة على السكة الإسلامية لأول مرة في عهد الأمير عبد القادر، حيث لم يسبق وأن عرفتها السكة من قبل، إلا أنه سبق وأن نقشت آيتان لهما نفس المعنى، الآية الأولى: (حَسْبِيَ اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) (الآية **129** من سورة التوبة)، نقشها هارون الرشيد (**170-193**هـ/**786-808**م) في هامش الوجه على نصف

درهم ضربه بمناسبة تعيين ابنه محمد الأمين وليا للعهد، وقد قصد بهذه الآية توكله على الله فيما أقدم عليه ورجاؤه من الله التوفيق والسداد[33].

ثم تكرر ظهورها في عهد السلطان المريني أبي سالم إبراهيم بن علي (**760-762**هـ/**1359-1361**م)، وقد كان ذلك بعدما كثرت عليه الثورات التي قادها الولاة ضده، والتي راح ضحيتها وقتل في سنة **762**هـ/ **1361**م[34].

أما الآية الثانية فتتمثل في: (وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِّ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللهَّ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللهُّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) (الآية **3** من سورة الطلاق)، وقد كان ظهورها على سكة عمران بن محمد (**548-560**هـ/**1153-1164**م) وهو أحد حكام دولة بني زريع باليمن، ثم ظهرت بعد ذلك على سكة دولة بني هود بالأندلس في عهد المتوكل على الله محمد بن يوسف بن هود (**625-635**هـ/**1228-1238**م)، وتكررت بعدها في سكة بني مرين في عهد عبد الرحمن بن أبي يفلوسن (**776-784**هـ/**1374-1382**م)، وعلى السكة الزيانية في عهد ابو محمد الأول بن موسى (**802-804**هـ/**1399-1402**م)، والسلطان أبو مالك عبد الواحد (**814-827**هـ/**1411-1424**م ثم فترة حكمه الثانية: **831-833**هـ/**1428-1430**م)، والسلطان أبو عبد الله محمد الرابع (**827-831**هـ/**1424-1428**م، وفي فترة حكمه الثانية (**833-834**هـ/**1340-1441**م) وفي عهد السلطان أبو عبد الله محمد المتوكل (**866-873**هـ/**1462-1468**م)، وعلى السكة الحفصية في عهد السلطان أبو العباس أحمد بن الحسن (**942-977**هـ/**1536-1569**م)[35].

ويبدو أن الظروف تكاد تكون متقاربة وإن اختلف زمان ومكان ظهور هذه الآيات القرآنية على السكة، فقد كان هارون الرشيد عند نقشه للآية المذكورة ليؤكد توكله على الله في تعيين ابنه الأمين وليا للعهد له على حسب العادة التي سار عليها خلفاء بني العباس قبله، وهو أمر بالغ الأهمية ومحطة هامة في تاريخ الدولة العباسية، بينما السلطان المريني كان يعيش ظروفا مريرة، حيث تكالب عليه الثوار حتى تمكنوا من قتله سنة **762**هـ/ **1361**م[36].

أما الأمير عبد القادر فقد كان يقود حربا غير متكافئة القوى عددا وعدة، حيث كان يواجه قوات الإمبراطورية الفرنسية المدججة بمختلف أنواع الأسلحة المتطورة من بنادق ومدافع، في حين كان جيشه يتألف من مجاهدين متطوعين أبوا إلا أن يدافعوا عن أرضهم وعرضهم ودينهم رغم نقص الخبرة العسكرية عند غالبيتهم، ونقص الأسلحة ومعدات القتال.

إن نقش الأمير عبد القادر لهذه الآية فيه إشارة إلى أنه كان على دراية كبيرة بعدم تكافؤ القوى، وأنه إذا كان العدو يستعين بقوة أسلحته الفتاكة، فالأمير عبد القادر يستعين بقوة الله سبحانه وتعالى، ويتوكل عليه، وهو نعم المولى ونعم الوكيل، وهي الرسالة التي أرادها أن تصل إلى جنوده أولا وإلى العدو الفرنسي ثانيا، وإلى القبائل الثائرة ثالثا، وكأنه يريد أن يذكر الجزائريين بما قاله الله عز وجل للمسلمين في غزوة بدر الكبرى: (وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ (**123**) إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (**124**) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (**125**) وَمَا جَعَلَهُ اللهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (**126**) لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ (**127**)) (الآية **123-127** من سورة آل عمران).

وفي نفس الوقت وكأنه كان يريد أن يقول للفرنسيين ما قاله الصحابة رضوان الله عليهم في غزوة أحد بعدما انتصر عليهم الكفار، وراح أبو سفيان ينتشي فرحة الانتصار قائلا للمسلمين: إن العزى لنا ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: ألا تجيبونه؟ قالوا: يا رسول الله ما نقول؟ قال: قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم[37].

وبالإضافة الى هذه المعاني فإنه من الضروري أن نقف عند بعض الأحداث التي شهدتها دولة الأمير عبد القادر خلال سنة **1250**هـ/**1834-1835**م، فعلى الرغم من أن عقد معاهدة دي ميشال لم يمر عليها وقت طويل (**15** شوال **1249**هـ/**24** فيفري **1834**)[38]، إلا أن الأمير عبد القادر

لم تمض عليه سنة **1250**هـ/**1834-1835**م بسلام، حيث شهدت ظهور ثورات لبعض القبائل والزعماء والشيوخ، حيث ثارت في أول الأمر قبائل بني عامر، وامتنعوا عن أداء الضرائب مستدلين بأن شرعية الضرائب لم يعد لها موجب بعد دخول الأمير في معاهدة صلح مع القوات الفرنسية، حينها أمر الأمير القائد مصطفى بن إسماعيل بمواجهة هذه القبائل واخضاعهم من جديد، وقد استغل هذا الأخير الفرصة للانتقام منهم، ورغم تراجع شيوخ بني عامر عن فعلتهم هذه إلا أن ابن إسماعيل لم يتوقف عن محاربتهم فهاجمه الأمير ودخل معه في معارك ضارية انهزم فيها الأمير وولى راجعا الى معسكر.

ولما انتشر خبر هذه الهزيمة ثارت نفوس زعماء آخرين، حيث ثار سيدي العريبي، واستعد الغماري وبنو انجاد للانضمام إلى سيدي حمادي حاكم تلمسان الموالي لمصطفى بن إسماعيل، وعلى الرغم من الأمير تمكن في النهاية من القضاء على هذه الفتن بداية من سجن العريبي ووفاته في سجنه، ومحاكمة الغماري وإعدامه، وسجن سيدي حمادي حاكم تلمسان قبل أن يعفو عنه[39]، إلا أن هذه الأحداث يبدوا أنها أثرت في نفس الأمير عبد القادر ودفعته إلى تخليد هذه المآسي بالآية القرآنية التي نقشها على سكته خلال سنة **1250**هـ/**1834-1835**م.

لم يستسغ الأمير عبد القادر أن تمتنع قبيلة بني عامر عن أداء الضريبة، وهي القبيلة التي بايعته منذ بداية مقاومته وناصرته، وقد حز في نفسه هذا كثيرا وعبر عن ذلك في خطبة الجمعة بجامع مدينة معسكر والتي مما جاء فيها ما يلي: "ألستم أنتم يا بني عامر أول من دعاني إلى المركز الذي أتولاه الآن؟ ألستم أنتم أول من رجاني أن أسس حكومة منتظمة توحي إلى الخيرين بالثقة وإلى الأشرار بالخوف. ألم تتعهدوا بشرفكم لوضع حياتكم، وأملاككم، وكل ما هو عزيز ومقدس لديكم، لمساعدتي وتدعيمي في مهمتي الشاقة؟ فهل ستكونون أول من يتخلى عن القضية المشتركة، وأول من يؤيد ويشجع، بإعطاء المثال، المؤامرات ضد نفس الحكومة التي أقمتموها؟ كيف تستطيع أية حكومة أن تواصل عملها بدون ضرائب، وكيف تستطيع أن

تبقى بدون اتحاد وتأييد الجميع. هل تظنون أن أصغر قطعة نقدية في الضريبة التي أطلبها ستستخدم في مصارفي الشخصية أو العائلية؟ إنكم جميعا تعلمون أن أملاك والدي تكفني لحاجاتي الشخصية. إن ما أطلبه هو ما فرضه قانون الرسول عليكم كمسلمين حقيقيين. وإنني أقسم بالله العظيم إن ما يدخل يدي سأحتفظ به كأمانة مقدسة، من أجل انتصار الإسلام"[40].

إن هذا النص يظهر من دون شك مدى تأثر الأمير عبد القادر بامتناع بني عامر عن أداء الضريبة، وقد كان يدرك مدى خطورة الأمر، فالأمر لا يتعلق فقط بالضريبة، وإنما يمس بوحدة الدولة الفتية، ويمس بقوة المقاومة، ويؤلب عليه أعداءه سواء من بعض القبائل أو الفرنسيين، وهو الأمر الذي حدث فعلا فيما بعد.

ومن خلال القطع النقدية المدروسة اختفت هذه الآية من سكة الأمير عبد القادر إلى غاية سنة **1254**هـ/**1838-1839**م، وقد ظهرت على ثلاثة نماذج لا تزال باقية، في حين لا يظهر تاريخ ضرب القطعة الرابعة، وقد عرفت هذه السنة أحداثا جد شبيهة بأحداث سنة **1250**هـ/**1834-1835**م، حيث قبلها بقليل كان الأمير عبد القادر عقد معاهدة التافنة مع الفرنسيين بتاريخ يوم **25** صفر **1253**هـ/**30** ماي **1837**[41]، وعقب هذه المعاهدة امتنعت قبائل جنوب التيطري ممثلة في الزناخرة وأولاد مختار وأولاد نائل وأولاد موسى وأولاد عبيد عن دفع الضرائب للأمير بحجة توقف الحرب، واتحدوا كلهم تحت قيادة المسمى ابن المختار محمد بن عودة زعيم أولاد مختار، وقد أثار هذا غضب الأمير عبد القادر مثلما كان الحال من قبل مع بني عامر في سنة **1250**هـ، فخرج إليهم وهزمهم وأعلنوا له الطاعة[42].

ثم تفرغ الأمير عبد القادر لمحاربة قبائل بني عراش بمنطقة الأغواط الذين كان الأمير عبد القادر راسلهم عدة مرات قبل هذا لمده بالفرسان، لكن من دون جدوى، وقد كان يتزعمهم الشيخ الحاج محمد بن سالم التجيني صاحب زاوية عين ماضي، فهاجمهم وحاصرهم بحصن عين ماضي عدة شهور إلى أن استسلم الشيخ التجيني في **29** شعبان **1254**هـ/**17** نوفمبر

1838م، وعلى الرغم من هذا، نقض بنو عراش عهدهم للأمير واعترضوا قوافله فخرج إليهم بجيش قوامه **5000** فارس وتمكن منهم واستخلص منهم الضرائب ودخلوا في طاعته وأخلصوا له بعد ذلك[43].

ومن خلال هذا العرض يمكن القول أن الآية الكريمة التي نقشها الأمير على نقوده خلال سنتي **1250**هـ/**1834-1835**م، و**1254**هـ/**1838-1839**م، دون غيرها من السنوات -على حسب ما هو مكتشف حاليا من نقود- تدل على أن الأمير عبد القادر تأذى كثيرا من الثورات الداخلية التي يشنها عليه بعض زعماء القبائل، وامتناع البعض الآخر عن دفع الضرائب والمساعدات، وقد كان هذا أكثر ما يؤرق الأمير عبد القادر الذي كان يؤمن بأن الاستعمار لا يمكن إخراجه إلا إذا تشكلت دولة جزائرية تتحد فيها القبائل وتتناصر فيما بينها بالعدة والعتاد، وتبذل النفس والنفيس من أجل تحرير البلاد، كما أن مصدر هيبة الأمير وسلطته في طاعة القبائل له واستجابتها لأوامره، كما أن مصدر جنده وفرسانه وقوته في القبائل المنضوية تحت لوائه، وقد ترجم الأمير هذا الإحساس من خلال نقشه للآية الكريمة (حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ)، والتي فيها إشارة إلى أن الأمير وبعد أن خذلته تلك القبائل وشيوخها وامتنعوا عن طاعته ودفع الضريبة ومساعدته، فوض أمره لله سبحانه وتعالى وتوكل عليه.

2- الاقتباس الثاني (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ)

نقشت هذه الآية (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ) في ثلاثة أسطر أفقية، وهي عبارة عن جزء من الآية **19** من سورة آل عمران، إن هذه الآية الكريمة على حسب أقوال المفسرين[44]: يؤكد فيها الله عز وجل أن الدين المقبول عنده هو الإسلام، فقد سبقت هذه الآية آية أخرى (شَهِدَ اللهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ)[45] شهد فيها الله تعالى لنفسه بالوحدانية، وشهد له بذلك الملائكة وأولو العلم، وفي الآية اللاحقة أعقبها بحكم مفاده أن الدّين المقبول عند الله هو الإسلام (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (الآية رقم **19** من

سورة آل عمران)، فلا ينبغي لأحد أن يعدل عن هذا الدين ولن يقبل منه غير الاسلام دينا مصداقا لقوله عز وجل: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ) (الآية رقم **85** من سورة آل عمران).

لم يسبق وأن ظهرت هذه الآية الكريمة على السكة الاسلامية من قبل، ويبدو أن الأمير عبد القادر هو أول من نقشها على نقوده، وقد كان الأمير يريد من خلال نقشه لها أن يبلغ رسالة إلى الشعب الجزائري كي لا ينصاع وراء حملات التبشير والتنصير التي كان يبثها الفرنسيون في نفوس أبناء الجزائر.

كما أن حرص الأمير على نقش هذه الآية كان من أجل نشر رسالة تدعو الجزائريين إلى ضرورة التمسك بالدين الإسلامي، وهو الدين الذي كان الأمير عبد القادر يؤمن بالدور الذي يمكن أن يفعله في نفوس الجزائريين، فهو يضمن وحدة صفوف الجزائريين، ويضمن تمسكهم بمبادئهم وتقاليدهم وثقافتهم المتميزة عن ثقافة المستعمر الفرنسي، ويضمن أيضا الدافع الروحي الذي يحث على ضرورة الجهاد والدفاع عن الأرض والعرض والدين، وهو الدافع الذي كان الأمير عبد القادر بحاجة ماسة إلى إحيائه في نفوس وضمائر الجزائريين.

إنها رسالة قوية وبالغة، ودعوة مفتوحة، وكأنها لم تكن موجهة للجزائريين فحسب، وإنما أيضا لمختلف جهات العالم الإسلامي بأن الحرب التي يقودها الاستعمار الفرنسي بالجزائر هي حرب صليبية، خاصة وأنها أول دولة عربية إسلامية تسقط خلال القرن التاسع عشر في يد استعمار غربي أوربي فرنسي صليبي غاشم، وهي استمرار للحروب الصليبية على أرض الإسلام منذ العصور الوسطى، وأن المقاومة التي يقودها الأمير هي مقاومة ضد حركة التنصير والتهويد والتغريب وغيرها من القيم المعادية للإسلام، وكأن الأمير عبد القادر لم يطلب فقط من الجزائريين أن تتقد روح الجهاد في قلوبهم، وإنما أيضا في قلوب كافة المسلمين في المغرب والمشرق لينهضوا نهضة واحدة ويهبوا جميعا لنصرته ونصرة إخوانهم الجزائريين، إنها دعوة مفتوحة لكل جزائري غيور على وطنه وبلده، ولكل مسلم غيور

على دينه لتلبية نداء الجهاد والتصدي لأعداء الإسلام، وجهاد مغتصبي أرض الإسلام.

ومن جهة ثانية أراد الأمير عبد القادر أن يبلغ رسالة إلى الفرنسيين بأن الدين الإسلامي هو الدين المقبول عند الله، ولا مكان للنصرانية التي كانوا يدينون بها ويرغبون في نشر تعاليمها في أرض الجزائر.

3- الاقتباس الثالث (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ)

نقشت هذه الآية الكريمة: (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) في أربعة أسطر أفقية متوازية على قطعتين فضيتين رقم جردهما:

(Lavoix **1098**) - (Lavoix **1098**) -

يمثل هذا الاقتباس جزء من الآية رقم **126** من سورة الأعراف، وهو ضمن نص قرآني يروي قصة إيمان وتوبة السحرة الذين جمعهم فرعون تحديا لموسى عليه السلام، والتي فيها يقول المولى عز وجل: (قَالُوا آَمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (**121**) رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ (**122**) قَالَ فِرْعَوْنُ آَمَنْتُمْ بِهِ قَبْلَ أَنْ آَذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَذَا لَمَكْرٌ مَكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (**123**) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (**124**) قَالُوا إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ (**125**) وَمَا تَنْقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آَمَنَّا بِآَيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (**126**))[46].

لم يسبق لهذه الآية ان ظهرت على السكة الإسلامية، فقد كان الأمير عبد القادر أول من نقشها، وقد كان ظهورها على سكته في سنة **1256**هـ/ **1840-1841**م، وهي السنة التي قرر فيها الأمير عبد القادر استئناف الحرب بعد نقض الفرنسيين لبنود معاهدة التافنة التي تم إبرامها يوم **25** صفر **1253**هـ/**30** ماي **1837**[47]، وتم نقضها بعد سنتين تقريبا من طرف الاستعمار الفرنسي مما دفع بالأمير إلى إعلان استئناف الحرب ضد المستعمر في شهر جمادي الأول **1255**هـ/جويلية **1839**[48].

ثم ظهرت هذه الآية الكريمة على سكة السلطان المغربي الفيلالي عبد الرحمن بن هشام (**1238-1276**هـ/**1822-1859**م)، من بينها نقد ضرب في سنة (**1259**هـ/**1843-1844**م) بفاس، لما أحس بخطر التدخل والغزو الفرنسي الذي أرغمه على عقد اتفاقية طنجة[49].

4- الاقتباس الرابع: (ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه)

لم يعثر بعد فيما هو معلوم ومنشور عن نقود الأمير عبد القادر على نقد يحمل هذا الاقتباس، غير أن صاحب كتاب تحفة الزائر أشار إلى أن الأمير عبد القادر نقش هذا الاقتباس القرآني على نوع من نقوده في مركز الوجه، وأنه ضرب في سنة **1255**ه بتاقدمت[50].

يمثل هذا الاقتباس جزءا من الآية رقم **85** من سورة آل عمران، والتي فيها يقول المولى عز وجل: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)، وعن هذه الآية الكريمة قال المفسرون: "أن معناها: ومن يطلب دينا غيرَ دين الإسلام ليدين به، فلن يقبل الله منه، وهو في الآخرة من الباخسين أنفسَهم حظوظَها من رحمة الله عز وجل. وذُكر أنّ أهل كل ملة ادّعوا أنهم هم المسلمون، لما نزلت هذه الآية، فأمرهم الله بالحج إن كانوا صادقين، لأن من سُنة الإسلام الحج وأنزل آية الحج (ولله على الناس حج البيت)، فحج المسلمون وقعد الكفار، وأدحض الله بذلك حجتهم"[51].

إن هذه الآية الكريمة سبق وأن نقشت في نقود عدة دول، وقد كان الأمير الزيري المعز بن باديس أول من نقشها على سكته التي ضربها بعد خروجه عن طاعة الخلفاء الفاطميين وإعلان الخطبة للخلفاء العباسيين، بداية من سنة **440**هـ/**1048**م وقد تزامن ضربه لهذا النقد بعد نقضه للمذهب الإسماعيلي الشيعي وأتباعه للمذهب المالكي السني، وهي تتضمن دعوة دينية مذهبية وسياسية صريحة للتوجه الجديد الذي تبنته الدولة الزيرية، دعوة ترفض المذهب الشيعي على أنه مخالف لتعاليم الدين الإسلامي وغير مقبول، وكأنه يرمي الفاطميين والشيعة بخروجهم عن الدين الإسلامي، وهو الأمر الدي لم يتقبله خلفاء الدولة الفاطمية وأرسلوا له انتقاما قبائل بني

هلال لتقويض أركان الدولة الزيرية وتخريب عمران مدن افريقية، إلى أن اضطر المعز بن باديس مراجعة دعوتهم من جديد في سنة **449**هـ/**1058**م.

كما تم نقش هذه الآية على السكة المرابطية، وعلى سكة بنو غانية في الأندلس، وسكة إمارة بني جامع الهلاليين بقابس (ق **6**ه/**12**م)، ودينار القاضي عياض بسبتة سنة **542**ه/**1147**م، ونقود إمارة مرسية بالأندلس خلال القرن **6**ه/**12**م[52].

إن نقش الأمير عبد القادر لهذا الاقتباس القرآني لا يخرج عن الاقتباس القرآني السابق ذكره: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الْإِسْلَامُ) (الآية **19** من سورة آل عمران)، فهو تأكيد من الأمير عبد القادر على أن الدين الإسلامي هو الدين المقبول عند الله، وأن الله سبحانه وتعالى لن يقبل دينا غيره، في إشارة إلى حملة التنصير التي رافقت الاستعمار الفرنسي منذ أن وطئت أقدامه أرض الجزائر، وهي دعوة مثلما أشرنا سابقا إلى كل الجزائريين بعدم الدخول في طاعة العدو لكونه مستعمر من جهة ومن ناحية ثانية يتبع وينشر دينا غير مقبول عند الله.

5- الاقتباس الخامس: (ربنا افرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا)

إن هذا الاقتباس يمثل جزءا من الآية رقم **250** من سورة البقرة، وهو ضمن أربع آيات تقص علينا حادثة مقتل جالوت على يد طالوت[53].

وعن تفسير معنى الآية (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا) قال الطبري: "يعني أن طالوت وأصحابه قالوا ربنا افرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا يعني أنزل علينا صبرا، وقوله ثبت أقدامنا يعني وقوي قلوبنا على جهادهم لتثبت أقدامنا فلا نهزم عنهم"[54].

يتشابه في المعنى كثيرا هذا الاقتباس مع الاقتباس السابق: (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) (الآية رقم **126** من سورة الأعراف)، وكلاهما يتضمن لجوء الأمير عبد القادر إلى الله سبحانه وتعالى بالدعوة لأن ينزل عليه وعلى جنوده الصبر وأن يثبت أقدامهم أمام جيوش العدو الفرنسي، وهي آية تظهر على النقود الإسلامية لأول مرة، حيث لم يسبق نقشها قبل الأمير عبد

القادر وربما هو الوحيد الذي نقشها على اعتبار أن الاقتباس الثاني (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) نقشه أيضا السلطان المغربي الفيلالي عبد الرحمن بن هشام (**1238-1276**هـ/**1822-1859**م)[55].

6- الاقتباس السادس: (نعم المولى ونعم النصير)

ورد هذا الاقتباس في سكة الأمير عبد القادر حسب تشرشل[56]، وهي عبارة عن جزء من الآية رقم**39-40** من سورة الأنفال: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (**39**) وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ(**40**))، وعن تفسير هذه الآيات أورد الطبري بأن سبب نزولها فيما يروي عن هشام بن عروة بن الزبير كان بعد خروج الرسول ﷺ من مكة إلى المدينة على إثر الفتن التي تعرض لها صلى الله عليه وسلم وأصحابه في مكة وخروجهم في هجرتهم الأولى إلى الحبشة، ثم هجرتهم الثانية إلى المدينة والتي فيها نزلت الآية (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِير (**39**)).

كما أورد بأن الفتنة هنا يقصد بها الشرك، أي قاتلوهم حتى لا يكون شرك ويكون الدين كله لله أي حتى يقال: لا إله إلا الله، كما يقصد بكلمة فتنة: البلاء، الكفر، وأما قوله:َ(إِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)، فإن انتهوا عن الفتنة وهي الشرك بالله، وصاروا إلى الدين الحق معكم، فإن الله لا يخفى عليه ما يعملون من ترك الكفر، والدخول في دين الإسلام. أما قوله: (وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (**40**))، فالمقصود بها وإن أدبر هؤلاء المشركون عما دعوتموهم إليه، أيها المؤمنون من الإيمان بالله ورسوله، وترك قتالكم على كفرهم، فأبوا إلا الإصرار على الكفر وقتالكم، فقاتلوهم، وأيقنوا أنّ الله معينكم عليهم وناصركم، ونعم المعين لكم ولأوليائه، وهو الناصر[57].

إن نقش الأمير عبد القادر لهذا الاقتباس القرآني على سكته وهو العالم بأحكام القرآن وتفسيره يعكس مدى إحساس الأمير بتشابه الظروف التي

يعيشها مع الظروف التي عاشها رسول الله ﷺ وأصحابه في مكة وما لقوه من رفض ومحاربة الدين الإسلامي وتعذيب واضطهاد أتباعه من قبل كفار قريش.

إن الأمير عبد القادر في هذا الاقتباس يعبر عن الفتنة التي كانت منتشرة بين القبائل والأعراش الجزائرية والانقسامات التي حصلت بعد دخول الاستعمار الفرنسي ورفض بعض القبائل دعوة الأمير الانضمام إليه لمقاومة الاستعمار ومجابهته، وامتناعهم عن دفع الضرائب، ما دفعه في أكثر من مرة إلى محاربة تلك القبائل للقضاء على تلك الفتنة من أجل توحيد جميع القبائل في صف واحد وإخراج العدو الغاشم عن أرض الجزائر، على غرار قبائل الزناخرة وأولاد مختار وأولاد نائل وأولاد موسى وأولاد عبيد وبني عامر وبني عراش[58].

لم يسبق وأن ظهر هذا النص القرآني في السكة الإسلامية من قبل، غير أن فيه نصوص عديدة تتضمن نفس المفهوم والمدلول تقريبا، فقد وردت عدة آيات قرآنية في السكة الإسلامية تشير إلى القتال والجهاد والتوكل على الله وأن النصر من عند الله، والتي نذكر منها ما يلي[59]:

- (اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا)، الآية **257** من سورة البقرة.

- (وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ)، الآية **126** من سورة آل عمران.

- (إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ)، الآية **55** من سورة المائدة.

- (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)، الآية **39** من سورة الحج.

- (وَلَيَنصُرَنَّ اللهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)، الآية **40** من سورة الحج.

- (وَجَاهِدُوا فِي اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ)، الآية **78** من سورة الحج.

- (لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ)، الآية **4** من سورة الروم.

- (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ)، الآية **4** من سورة الصف.

- (نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)، الآية **13** من سورة الصف.

ب- الصيغ والعبارات الدعائية

لم نعثر على أي صيغ أو عبارات دينية غير الاقتباس القرآني على النماذج المدروسة من سكة الأمير عبد القادر غير أنه استنادا إلى النصوص التاريخية، التي تشير إلى أنواع من النقود ضربها الأمير عبد القادر إلا أنه لم تصلنا منها نماذج فيما هو منشور ومعروف لحد الآن، تحمل صيغا وعبارات دينية، وهي تتمثل في البسملة في عبارة: "بسم الله"، وبيت شعري من قصيدة البوصيري والمتمثل في:

ومن تكن برسول اللهِ نصرتُه ⁂ إن تلْقَهُ الأُسْدُ في آجامِها تَجِمِ

فأما بالنسبة للعبارة الأولى فقد ذكرها تشرشل[60]، وقد كانت ظهرت البسملة على السكة الإسلامية منذ عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه بعد أن أضاف عبارات دينية على الدرهم الساساني، واستمرت البسملة على السكة في عهد الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وفي عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، لتحل محلها بعد ذلك شهادة التوحيد[61].

في حين البيت الشعري أورده ايسكوت حين ذكر بأن الأمير عبد القادر ضرب سكة عليها ختمه[62]، ومن المعلوم أن ختم الأمير عبد القادر كان يحمل كتابة دائرية نصها عبارة عن بيت شعري من قصيدة البوصيري:

ومن تكن برسول اللهِ نصرتُه ⁂ إن تلْقَهُ الأُسْدُ في آجامِها تَجِمِ

وفي جوانبه: الله، محمد، أبو بكر، عمر، عثمان، علي، وفي الوسط: الواثق بالقوي المتين، ناصر الدين، عبد القادر بن محي الدين بتاريخ **1248**هـ[63].

يعد الأمير عبد القادر أول من نقش هذا البيت على السكة، حيث لم يسبق ظهوره على السكة الإسلامية من قبل، وإن كان نقش أبيات الشعر على السكة الإسلامية مألوفا، فقد وردت أبيات في بعض النقود التذكارية[64].

وإذا عدنا إلى مغزى البيت الذي اقتبسه الأمير عبد القادر من قصيدة البوصيري، فإن هذا البيت استمده البوصيري من قصة صحابي لقبه الرسول ﷺ "سفينة"، وهو أبو عبد الرحمن، كان عبدا لأم سلمة فأعتقته وشرطت عليه أن يخدم رسول الله ﷺ، ولما سئل عن اسمه "سفينة" قال: سماني رسول الله ﷺ سفينة، خرج مرة ومعه أصحابه فثقل عليهم متاعهم، فقال لي رسول الله ﷺ: أبسط كساءك فبسطته فجعل فيه متاعهم، ثم قال لي: احمل ما أنت إلا سفينة، قال: فلو حملت يومئذ وقر بعير أو بعيرين أو خمسة أو ستة ما ثقل علي. وروي عنه أن قال: ركبت مرة سفينة في البحر فانكسرت بنا فرميت لوحا منها فطرحني البحر إلى غيضة فيها الأسد فجاءني فقلت: يا أبا الحارث أنا سفينة مولى رسول الله ﷺ، فطأطأ رأسه وجعل يدفعني بجنبه أو بكفه حتى وضعني على الطريق، ثم همهم همهمة فظننت أنه يودعني[65].

والمقصود بالبيت أنه من تكن نصرته بعون رسول الله ﷺ فهو بلا شك منتصر ولو لقيته الأسود في الغابات، وهي في أشد الوثوب تسكن وتخضع له، وتكتمل معنى هذا البيت بالذي يليه:

ولن ترى من ولي غير منتصر ⁂ به ولا من عدو غير منقصم

أي لن تبصر وليا وصديقا مسلما إلا وهو منصور به، ولا تبصر عدوا إلا وهو منقصم مقهور[66]، ومن خلال هذا المعنى فإن اختيار الأمير عبد القادر لبردة البوصيري ولهذا البيت منها بالذات جاء ليعبر عن تأسي الأمير بصاحب البردة لما أصابه مرض واستشفع برسول الله ﷺ وجاءته الشفاعة وشفي من مرضه، وجاءه رسول الله في المنام فألقى عليه البردة، وكأن الأمير عبد القادر هو الآخر يتشفع بالبردة ذاتها على يحظى ببردة رسول الله ورداء الحفظ والستر والتوفيق، كما أنه يتأسى بخادم رسول الله حين لقيته الأسد في

الغابة وهو أعزل ليخاطبه بكونه مولى وخادم رسول الله ﷺ فيشفع له ذلك أمام الأسد دون أن يمسه بسوء، وهو الموقف ذاته الذي وجد الأمير عبد القادر فيه نفسه أمام عدو لا طاقة له به، فكأنه يتشفع بالبردة وبهذا البيت لينتصر على عدوه بشفاعة رسول الله ﷺ وتوفيق من الله.

ج- الألقاب والأسماء

إن الملاحظ على النماذج المدروسة من سكة الأمير عبد القادر هو خلوها من الألقاب التي تلقب بها الأمير واسمه، وهي الظاهرة التي ألفنا وجودها في نقود العديد من الخلفاء والأمراء والسلاطين بل أحيانا سجل عليها أسماء ولاة العهد والوزراء والولاة، كما كان الحال عليه في السكة العباسية، إلا أنه بالرجوع إلى النصوص التاريخية نجد نصا لتشرشل[67]، يذكر بأن الأمير عبد القادر نقش اسمه ولقبه "السلطان" على السكة، في حين يذكر ايسكوت[68] بأن الأمير نقش على سكته ختمه وهو يحمل اسمه ولقبه: "الواثق بالقوي المتين، ناصر الدين، عبد القادر بن محي الدين"، كما نقش اسم الرسول ﷺ محمد وأسماء الخلفاء الراشدين.

- السلطان

ورد لفظ السلطان في القرآن الكريم في قوله تعالى: (إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ) (الآية **42** من سورة الحجر)، وقوله تعالى: (إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى) (الآية رقم **23** من سورة غافر)، وفي الآيتين ورد هذا اللفظ بمعنيين، ففي الآية الأولى معناه التسلط أي التمكن والقهر، بينما في الآية الثانية ورد بمعنى الحجة والبرهان[69]، وكلى المعنيين يكملان بعضهما البعض فالسلطان هو الذي يملك القوة والقهر والحجة والبرهان، ومن أجل ذلك تلقب به بعض الحكام والملوك عبر التاريخ.

أما الأمير عبد القادر وإن لم يصلنا من نقوده التي نقش عليها لقب "السلطان"، إلا أننا إذا رجعنا الى ما ذكره تشرشل فإن الأمير عبد القادر

ضرب نوعا من السكة نقش في مركز الظهر عبارة: "ضرب في تاقدمت بأمر السلطان عبد القادر"[70]، وحتى إن كانت هذه الاشارة التاريخية غير مؤكدة أثريا إلا أن تلقب الأمير عبد القادر بلقب "السلطان" أمر ثابت ومؤكد بإجماع النصوص التاريخية، وهو لم يتلقب بهذا اللقب فقط وإنما تلقب أيضا بعدة ألقاب أخرى لا تقل أهمية عن لقب السلطان، فقد ورد في الرسائل[71] التي كان يرسلها الى مختلف الجهات عدة ألقاب على غرار "أمير المؤمنين المجاهد ذي الفخر التالد، العضب الباتر والأسد المبادر مولانا السيد الحاج عبد القادر"، و"مولانا المعظم أمير المؤمنين المجاهدين وسيد أمتنا لرب العالمين السيد الحاج عبد القادر"، و"أمير المسلمين" وغيرها.

وبالإضافة الى هذه الألقاب فقد ورد في خاتمه لقب "الواثق بالقوي المتين ناصر الدين عبد القادر بن محي الدين"، ومن خلالها يظهر أن الأمير عبد القادر تلقب بألقاب عظيمة تلقب بها ملوك وحكام وخلفاء عظام عبر التاريخ الاسلامي، وهي تتمثل في كل من: "أمير المؤمنين"، "سلطان"، "أمير المسلمين"، "المجاهد"، "مولانا المعظم"، "الواثق بالقوي المتين"، "ناصر الدين"، "مولانا السيد"، "السيد"، "الحاج".

إن تلقب الأمير عبد القادر بلقب "السلطان" وغيره من الألقاب، إن دل على شيء فإنما يدل على أنه كان يطمح إّلى تأسيس دولة قوية مستقلة عن السلطنة العثمانية، فهو لم يتلقب بالباي على غرار الحاج أحمد باي قسنطينة، ولا مثل إبراهيم باي الذي كان يحكم مدينة مستغانم باسم سلطات الاستعمار الفرنسي، ولا مثل بايات تونس أو طرابلس ليبيا الذين كانوا يتبعون سلطة الخلافة العثمانية، وإنما تلقب بلقب مماثل للقب السلطان المغربي من جهة، ولقب السلطان العثماني من جهة أخرى للدلالة على استقلالية دولته عن الدولة العثمانية، ومن جهة ثانية تتضمن تلك الألقاب معاني سياسية جد هامة ترمز إلى العظمة والقوة التي لا تكسر، وهي الرسالة التي كان يرغب الأمير عبد القادر في إيصالها إلى قادة فرنسا وسلطان المغرب والسلطان العثماني ورسالة أيضا إلى القبائل والعروش الجزائرية التي لم تخضع إلى سلطانه.

واستنادا إلى نص ايسكوت الذي أشار فيه إلى أن سكة الأمير عبد القادر كانت تحمل نقوش ختمه، ومن منطلق أن ختمه كان يحمل اسم محمد الرسول ﷺ وأسماء الخلفاء الراشدين أبو بكر، عمر، عثمان، علي، وقد كانت ظاهرة نقش هذه الأسماء على الآثار والفنون والنقود الإسلامية وغربه معروفة، فقد كان ظهورها على السكة لأول مرة في بلاد المغرب بين عامي **425-431**هـ/**1033-1039**م في طرابلس، ثم انتشرت في غرب العالم الإسلامي وشرقه بداية من القرن **8**هـ/**14**م ونقشت على نقود دول عديدة في الهند وايران ومصر واليمن والمغرب على غرار دولة بني رسول، والدولة المغولية الإيلخانية (**656-736**هـ/**1258-1335**م)، والدولة الجلائرية (**736-812**هـ/**1335-1411**م) في العراق، والدولة المظفرية، والدولة التيمورية، كما ظهرت على نماذج قليلة من السكة العثمانية، وظهرت بمصر لأول وآخر مرة على سكة المماليك البحرية في عهد المنصور صلاح الدين محمد (**762-764**ه/**1361-1363**م)[72].

وقد كانت الدول تنقش أسماء الخلفاء الراشدين على نقودها وغيرها للدلالة على أنها تتبع المذهب السني، في حين كان أتباع المذهب الشيعي ينقشون اسم الخليفة علي بن طالب، وعبارات مثل: علي ولي الله، علي أفضل الوصيين ووزير خير المرسلين، علي نائب الفضول وزوج الزهراء البتول[73].

ومن المسائل المهمة جدا هو ان الأمير عبد القادر لم ينقش اسم السلطان العثماني على نقوده، بالرغم من أن كل الولايات التي كانت تابعة للخلافة العثمانية كانت تنقش اسم السلطان العثماني على سكتها، على غرار ايالة الجزائر وتونس وطرابلس ومصر وغيرها، وحتى الحاج أحمد باي هو الآخر نقش اسم السلطان العثماني على نقوده، غير أن مخالفة الأمير عبد القادر لهذا التقليد يجعل الأمر في غاية الأهمية ويطرح عدة تساؤلات نناقشها من عدة جوانب نجملها في ما يلي:

أولا- أن السكة العثمانية التي ضربت في جميع أنحاء الولايات التابعة للخلافة العثماني كانت في غالبيتها تسير وفق طراز موحد، وكانت تحمل اسم ولقب السلطان دون أن يذكر فيها اسم الولاة من الباشوات والدايات

والبايات وغيرهم، فكيف بالأمير عبد القادر الذي بويع أميرا في أرض كانت تابعة للخلافة العثمانية منذ القرن السادس عشر ميلادي، هل كان بالنسبة للأمير عبد القادر خروج آخر دايات الأتراك العثمانيين من الجزائر هو إيذان ببداية عهد جزائري جديد ليس له أي ارتباط أو صلة بالخلافة العثمانية، هل كان الأمير عبد القادر يقصد بذلك أنه لا يعترف بسلطة الخليفة العثماني عليه؟

ثانيا- هل في ضرب الأمير عبد القادر لسكة خالية من اسم السلطان العثماني هو تعبير عن عدم رضاه على طريقة انسحاب الأتراك العثمانيين من الجزائر وتسليمهم للمدينة إلى الفرنسيين دون مقاومة حقيقية، وعدم التدخل السلطان العثماني في هذا الأمر بشكل جدي، هل كان الأمير عبد القادر يود أن يرسل رسالة إلى الخليفة العثماني يبلغه فيها بعدم رضاه عن موقفه من الاحتلال الفرنسي لأرض الجزائر، وتقاعسه في الدفاع عنها، وعن شعبها الذي بقي يقاوم المستعمر لوحده دون أي دعم من الخلافة العثمانية التي كانت لا تزال بيدها السلطة الدينية على غالبية أنحاء العالم الاسلامي.

ثالثا- هل كان الأمير عبد القادر يقصد الاعلان عن استقلاليته السياسية عن الخلافة العثمانية، متأسيا ببعض الدول الاسلامية التي كانت مستقلة عن الخلافة العثمانية، والتي تعد دولة العلويين بالمغرب واحدة من تلك الدول الأقرب الى الجزائر، خاصة وأن الأمير عبد القادر ربط علاقات جد وثيقة بالسلطان المغربي وأمده في كثير من الأحيان بالسلاح والمال والمساعدات، قبل أن تتغير الأوضاع وتضغط فرنسا على السلطان المغربي لقطع صلته بالأمير ومحاربته على الجبهة الغربية.

الأمير عبد القادر أيضا عاصر أحمد باي تونس (**1253-1271**هـ/**1837-1855**م)، وهو الآخر حاول الانفصال عن الباب العالي كما أشرنا سابقا، وقام بنقش اسمه على ظهرة العملة واسم السلطان العثماني على الوجه، وهو نفس التقليد الذي سار عليه خليفته فيما بعد محمد باي (**1271-1276**هـ/**1855-1859**م) الذي هو الآخر حاول بكل ما في وسعه لتأكيد الانفصال عن السلطنة العثمانية [74].

أم أن الأمير عبد القادر تأثر بمحمد علي باشا حاكم مصر، الذي زاره رفقة والده أثناء رحلتهما الى الحج سنة **1826**م، وكان محمد علي باشا حفهما باستقبال خاص وأنزلهما بقصره، وحينها شاهد الأمير عبد القادر إنجازات محمد علي باشا و"أعجب به وشعر بأنه مثال يحتذى" على قول الدكتور أديب حرب[75]، وهي الفترة التي كان فيها محمد علي باشا حقق انتصارات كبيرة على الوهابيين في بلاد الحجاز بأمر من السلطان العثماني بين سنوات (**1811**-**1818**م)، واستطاع أن يوسع ملكه إلى السودان في **1821**م، وحقق انتصارات باهرة على الثوار اليونانيين (**1821**-**1828**م) لصالح السلطان العثماني، قبل أن تتحالف القوى الأوربية والروسية على صد هجومه ودعم استقلال اليونان عن الخلافة العثمانية، ليضم بعدها بلاد الشام في سنة **1831**م، ومن دخل في مواجهة مباشرة وحرب مستعرة مع الجيوش العثمانية امتدت وقائعها إلى بلاد الأناضول بقونية وكوتاهية، وألحق بهم الهزائم حتى اضطر السلطان العثماني إلى طلب المساعدة من عدة دول أوربية، الأمر الذي شكل ضغطا سياسيا وعسكريا على محمد علي باشا ويقبل في الأخير بعقد معاهدة صلح مع العثمانيين في سنة **1833**م، وتم منح ولاية الشام إلى محمد علي باشا، لكن هذا الصلح لم يدم طويلا حتى نقض السلطان العثماني المعاهدة والتقى الجيشان في معركة نصيبين في **24** جوان **1839**م، انهزم فيها الجيش العثماني هزيمة نكراء، مما أثار مخاوف الأوربيين بما فيها إنجلترا وروسيا والنمسا وبروسيا ليتحالفوا مع السلطان العثماني ضد محمد علي باشا واستطاعوا أن يلحقوا به هزائم وتستسلم معظم مدن الشام مما اضطره إلى الانسحاب أواخر سنة **1840**، ويقبل التوقيع على معاهدة صلح مع السلطان العثماني بتعيينه واليا على مصر ولأولاده من بعده[76].

ما من شك في أن الأمير عبد القادر علم وهو في القاهرة بانتصارات محمد علي باشا وانجازاته، وتابع أخباره بعد عودته إلى الجزائر، وقد علم كيف تمكن محمد علي باشا من فرض نفسه على السلطان العثماني.

رابعا- الضعف الذي كانت تعيشه الخلافة العثمانية في عصر الأمير عبد القادر، والثورات المناهضة لحكمها في أقاليم عدة كانت تابعة لها، وانكسار جيوشها في أكثر من معركة أمام الخطر الأوربي الذي تحالفت قواه ضد الدولة العثمانية، وحملة نابوليون بونابرت على مصر **1898-1801**م، وما أعقبها من تمردات داخلية وثورات خارجية، وسعي الكثير من الولاة والقادة إلى الاستقلال، في الحجاز، وسوريا والعراق ومصر، وعدة أقاليم أوربية على غرار الثورات التي حدثت في بلغاريا وصربيا واليونان ومولدافيا بدعم أوربي من روسيا والنمسا وانجلترا، وفرنسا، فضلا عن تمرد الانكشارية المناهضة للإصلاحات الداخلية التي أطاحت بالسلطان سليم الثالث في **29** ماي **1807**م، وخلع السلطان مصطفى الرابع، ليخلفه السلطان محمود الثاني (**1808-1839**م)، وانكسار الجيش والأسطول العثماني في معركة نافارين **20** أكتوبر **1827**م التي فيها تم تحطيم ايضا الاسطول الجزائري، وانعكاساتها الخطيرة على مختلف الأقاليم والولايات العثمانية وإعلان استقلال اليونان سنة **1830**م، والاعتراف بالاستقلال الذاتي لصربيا ومولدافيا وفالاشيا، واحتلال فرنسا للجزائر سنة **1830**م، واحتدام الصراع العثماني المصري على بلاد الشام بدءا من سنة **1831**م، إلى تحطم الجيش العثماني في معركة نصيبين في **24** جوان **1839**م بشمال سوريا، واستيلاء الإنجليز على عدن (**1839**م)، ومنح الحكم الذاتي بمصر لمحمد علي ليتوارثها مع أبنائه من بعده بدءا من سنة **1840**م[77].

خامسا- لقد كان الأمير عبد القادر ووالده محي الدين لقيا عدة مصاعب ومضايقات من قبل الحكام الأتراك العثمانيين الذين كانوا يحكمون الجزائر، والتي وصلت الى درجة أن حسين باي وهران منع والده الشيخ محي الدين من أداء فريضة الحج في أكتوبر **1823**م وقد كان الأمير عبد القادر برفقته آنذاك، ولم يكتف حسين باي من منعهما من الحج فحسب، وإنما وضعهما في ما يشبه الاقامة الجبرية، حيث جعل عليهما حراسا من الجنود يتبعونهما حيثما حلوا، وقد دامت هذه المحنة سنتين كاملتين، دون أن يبدي محي الدين أي استنكار أو مقاومة، رغم أن اتباعه كانوا كثرا فهو شيخ زاوية كانت لها

مكانة بسببها منع من الحج، خوفا من تكاثر أتباعه، لقد ذاق الأمير عبد القادر مرارة الرقابة المستمرة، ومرارة منعه ووالده من الحج، الذي لم يتم له إلا بعد مرور سنتين، حيث أذن لهما حسين باي بالحج في شهر نوفمبر **1823**م[78]، من دون شك لم ينس الأمير عبد القادر كل هذه الأحداث فهو عالم ورجل دين كيف يخفى عليه قول الله تعالى في محكم تنزيله: (أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عَبْدًا إِذَا صَلَّى أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْهُدَى أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَى أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَّ يَرَى كَلَّا لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ) سورة العلق، الذي نزل في محاولة أبي جهل منع الرسول ﷺ من الصلاة في بيت الله الحرام، وكأن الأمر ذاته، والموقف نفسه، الذي تعرض له الأمير عبد القادر ووالده، فقد كانا عازمان على حج بيت الله، لكن حسين باي نهاهما ومنعهما بل وسجنهما، ما من شك كان لهذا أثره البالغ في نفسية الأمير وتكوين شخصيته الرافضة لظلم الحكام العثمانيين بالجزائر.

والحقيقة أن رفض الجزائريين للحكام العثمانيين بالجزائر كان في اتساع منذ مدة خاصة مع بداية القرن التاسع عشر، وتشهد على ذلك الثورات التي قادها شيوخ عدة قبائل والمرابطين والكراغلة، على غرار ثورات منطقة جرجرة وحوض الصومام أعوام: **1767-1769**، **1773**، **1800**، **1804**، **1807**، **1810**، **820**، **1823**، وثورة ابن الأحرش في الشمال القسنطيني سنة **1804**، وثوة قبائل الأطلس البليدي: بني صالح وسوماته **1805**، وبني جعد **1824**، وثورة قبائل الأوراس **1797**، والنمامشة **1803**، والحنانشة **1805**، ثم قبائل الأوراس والنمامشة بين سنوات: **1818-1823**، وثورة وادي سوف **1826**، وقبائل أولاد عبد النور وعامر ورفعة بالهضاب العليا بين سنوات **1811-1813**، وبالغرب الجزائري أخطرها ثورة ابن الأحرش الشريف الدرقاوي بين **1805-1813**، وثورة التيجانية بعين ماضي وامتدت إلى وهران (**1242-1243**هـ/**1826-1827**م)، فضلا عن ثورة قبائل الأنقاد **1803**[79].

سادسا- إن المتتبع لحياة الأمير عبد القادر وخاصة مسألة مبايعته يرى من دون شك كيف وصل إلى الحكم، وكيف أصبح رائدا للمقاومة الجزائرية،

لقد كان ذلك كله بفضل القبائل والأعراش التي رأت فيه الرجل القوي والشجاع والأمين الذي يمكن أن يخلصها من الاستعمار الفرنسي، ومنهم أخذ الأمير عبد القادر شرعيته ومصداقيته، فهم الذين بايعوه، وآزروه ونصروه، وأمدوه بالمال والنفس والنفيس، بهم شكل جيشا، وبهم أسس دولة استطاعت أن تقارع جنرالات فرنسا الطامحين في القضاء على أي انتفاضة أو مقاومة بالجزائر لتملكها وتضمها بشكل نهائي وتام إلى أراضيها.

لم يحصل الأمير عبد القادر على سلطته من السلطان العثماني ولا من السلطان المغربي الذي أمده بالمال والسلاح، لقد أخذها من الشعب الجزائري، الذي كان المصدر الأساسي لقوته، والمصدر الأساسي لملكه، وكم كان يحز في نفسه مقاتلة أبناء جلدته الخارجين عن طاعته، والممتنعين عن أداء حق الزكاة والمعونة الحربية إليه، حتى إنه ليمكن القول والجزم بأن الأمير عبد القادر كان يغتاض لهذا أكثر مما يغتاض لما تفعله به فرنسا من حروب ونقض للمعاهدات، وتأليب الأعداء ضده داخليا وخارجيا.

لقد حاولت فرنسا أن تغري الأمير عبد القادر بتوليته الحكم على أن يخضع لسلطتها، ولم يستجب لذلك، وهي الإمبراطورية العظمى التي تحدت السلطان العثماني وازاحت أولياءه من العثمانيين الأتراك بالجزائر، وهي القوة الغالبة التي كان الأمير يتحداها بالرغم من الفارق الشاسع في القوة والعدة والعتاد، فهل يمكن لنا أن نتصور أميرا بهذا القدر من الشجاعة والإيمان أن يطلب تزكية من أي سلطان كان، شرقيا كان أم غربيا.

سابعا- إن نسب الأمير عبد القادر الشريف لكونه من آل البيت[80]، من دون شك كان له دور في تكوين شخصيته وبلورة أحكامه، ورسم استراتيجيته في الحكم والسياسة، على عكس كان السلاطين العثمانيون أتراكا ليس لهم صلة بآل البيت، فهل كان الأمير عبد القادر يرى أن نسبه الشريف يمنح له أفضلية في إقامة دولة مستقلة عن السلطنة العثمانية على غرار الأشراف السعديين والعلويين الذين لم يخضعوا للسلطان العثماني.

ثامنا- بعد احتلال الفرنسيين مدينة الجزائر واستسلام آخر دايات الأتراك العثمانيين، رجع الحاج أحمد باي إلى قسنطينة وسارع لمكاتبة السلطان العثماني لانتزاع الاعتراف منه وتعيينه واليا على قسنطينة وما والاها، وفي كل مراسلة كان الرد بالتأييد والدعم المعنوي وعدم الخروج عن طاعته واستشارته قبل أي تفاوض مع الفرنسيين، وأرسل له مبعوثا للتأكد من أحوال قسنطينة بعدم ما وصلته وشايات من باي تونس بعدم صلاح أحوال الحاج أحمد باي، ليتأكد من بطلانها، ومن حينها حظي الحاج أحمد باي بثقة السلطان العثماني ليرسل له دعما من مدافع ورجال مدفعية لتدريب جنود أحمد باي على استعمالها مع مجموعة من الجنود، غير أن باي تونس حال دون وصول هذه الإمدادات[81].

وبالرغم من التأييد المعنوي الذي حظي به الحاج أحمد باي من قبل السلطان العثماني، إلا أنه لم يستفد من الدعم المادي لنجدته، حتى أربعة بواخر المحملة بالجند و**12** مدفعا و**150** جنديا التي أرسلها له السلطان اعترض طريقها باي تونس ومنعها من الوصول إلى قسنطينة، وترك أحمد باي يواجه مصيره بنفسه، رغم تودده واستعطافه وضربه نقودا باسم السلطان العثماني، ولم تمر سنوات عديدة حتى احتل الفرنسيون قسنطينة في سنة **1253**هـ/**1837**م[82].

إن هذه الأحداث من دون شك كانت تصل للأمير عبد القادر، وقد رأى كيف لم يشفع للحاج أحمد باي ولاءه للعثمانيين لدى السلطان العثماني، ولم يرسل له الجند والسلاح ليدعمه بشكل جدي، أو حتى مجرد التدخل لدى الفرنسيين للابتعاد عنه وعن قسنطينة على الأقل، كما لم يحظ حتى بشرف تعيينه بشكل رسمي وفق ما هو معهود من طرف السلطان باشا أو دايا أو حتى بايا على قسنطينة، بالرغم من طلبه ولاية الجزائر في مراسلاته بشكل واضح منذ مراسلته الأولى المؤرخة في **01** جمادي الأولى **1249**ه/**15** أيلول **1833**م[83].

ومهما كانت الأسباب، فإن عدم نقش الأمير عبد القادر لاسم السلطان العثماني ولقبه على سكته هو إيذان مباشر لا يقبل الشك في أن الأمير عبد

القادر كان يؤسس لدولة جزائرية حديثة قائمة بذاتها ولا ترتبط بالدولة العثمانية في سياساتها وتوجهاتها، ولا يعد الأمير عبد القادر الأول من شق عصا الطاعة للخليفة العثماني، بل سبقه قبل ذلك السعديون (**915-1069**هـ/**1509-1658**م) والعلويون في المغرب الأقصى[84]، والصفويون (**907-1148**هـ/**1502-1736**م) بإيران[85]، الذين ضربوا نقودا تحمل أسمائهم وألقابهم من دون ذكر لاسم السلطان العثماني أو لقبه، ونفس الأمر بالنسبة لأباطرة المغول في الهند فيما بين (**933-1273**ه/**1526-1857**م)[86].

وإذا توغلنا في التاريخ، فإننا سنجد أن ظاهرة الخروج عن الخلافة الإسلامية سبق وأن عرفها التاريخ الإسلامي، فقد ثار العديد من الثوار وضربوا نقودا خالية من أسماء الخلفاء العباسيين، وسجلوا فيها أسماءهم وألقابهم، على غرار نقود أبو السرايا السري بن منصور الشيباني الذي ضرب سكة في الكوفة وحذف منها لقب الخليفة العباسي، وسجل عليها شعاره، ومن بينها نقد مؤرخ بسنة **199**هـ، ونقود الشيخ يحيى بن الحسين بن القاسم الرسين ، الذي تلقب بالهادي إلى الحق أمير المؤمنين، ونقش لقبه هذا على سكته وحذف لقب الخليفة العباسي، والتي من بينها نقد ضرب سنة **298**هـ بصعدة في اليمن، ونقود صاحب الزنج المعروف باسم علي بن محمد الذي ثار على الخلافة العباسية في سنة **255**هـ/**869**م بالبصرة، وقد تميزت نقوده بحذف اسم الخليفة العباسي الذي حل محله اسمه ولقبه، ونقود الحسن بن زيد الذي حذف هو الآخر اسم ولقب الخليفة العباسي ونقش بدلا منه اسمه ولقبه في سنة **254**هـ/**868**م بإيران وغيرهم من الثوار، مثل الثائر الحسن بن القاسم بإيران، وعباد بن محمد البلخي، والمطلب بن عبدالله الخزاعي، والسري بن الحكم وابنه محمد وعبيد الله بمصر، ومنصور بن جمهور بالسند (**132-134**هـ/**750-752**م)[87].

وفي بلاد المغرب أيضا ظهرت دول وثوار ضربوا نقودا لم ينقشوا اسم ولقب الخليفة العباسي عليها، ومن الأمثلة على ذلك الدولة الفاطمية (**358-567**هـ/**969-1171**م) التي أسست لنفسها خلافة مستقلة عن الخلافة

العباسية (**132-656**هـ/**750-1258**م) ببغداد، والدولة الأموية في الأندلس (**138-422**هـ/**755-1031**م) التي هي الأخرى تلقب بعض أمرائها بلقب أمير المؤمنين بداية من عهد عبد الرحمن الناصر، وهو اللقب الذي كان لا يطلق إلا على الخليفة العباسي، كما ضرب بعض الثوار نقودا ليس فيها أي إشارة أو ذكر للخليفة العباسي على غرار نقود أبي يزيد مخلد بن كيداد، ونقود الشاكر لله بسجلماسة، وغيرهم.

لكن السؤال المطروح إذا كان الأمير عبد القادر لا يعترف بسلطة الخليفة العثماني، ولم ينقش اسمه ولقبه على سكته، فلما جاءت سكته تقلد السكة العثمانية في بعض التفاصيل الفنية والزخرفية، وإن كان تختلف عنها في عدم ذكر اسم ولقب السلطان العثماني في وجه العملة، واستبداله بنقش آيات قرآنية، واستعمال الخط المغربي في بعض الأحيان، إلى جانب استخدام خط الثلث في نقود كثيرة، فضلا عن الأسماء التي أطلقها الأمير على نقوده والممثلة في "المحمدية" و"النصفية"، بدلا من ضرب نقود تحمل أسماء النقود العثمانية كالريال والبوجو والخروبة وغيرها، هل تأثر بالسكة العلوية المعاصرة لعهده والتي كانت تتضمن أحيانا بعض النصوص الدينية والآيات القرآنية[88]، أم أنه كان يريد أن يرجع بالسكة إلى سابق عهدها لما كانت تسجل عليها آيات قرآنية، ونصوص دينية، تتضمن إشارات سياسية وعبارات دعائية ذات صلة بالتوجه السياسي والديني للدولة، وهي التقاليد التي استغنى عنها العثمانيون، وكانوا اول من استبدل الآيات القرآنية والنصوص الدينية من السكة بأسمائهم وألقابهم[89].

- الخاتمة

في ختام هذه الدراسة يمكن القول أن سكة الأمير عبد القادر الجزائري تحدثت حولها مجموعة من المصادر التاريخية، إلا أن المعارف التي أمدتنا بها قليلة وهي بحاجة إلى إثراء وتحقيق، وهو الأمر الذي يبقى منوطا بالبحوث الأثرية التي قدمت لنا إلى حد اليوم معطيات جديدة لم يسبق معرفتها والتي من أهمها نذكر:

1- أن الأمير عبد القادر ضرب نقوده بمدينة أم عسكر قبل أن ينقل دار الضرب إلى مدينة تاقدمت.

2- أن ضرب العملة بدأ في سنة **1250** هـ/ **1834-1835**م، واستمر بأم عسكر إلى سنة **1251**هـ/**1835-1836**م، ثم استأنفت العملية بمدينة تاقدمت بداية من سنة **1252**هـ/ **1836-1837**م واستمرت إلى غاية سنة **1257**هـ/**1841-1842**م.

3- أن الأمير عبد القادر ضرب سكة فضية وأخرى نحاسية، وأن نقوده لم تقتصر فقط على النقود المحمدية والنصفية وإنما كانت على عدة أجزاء، وذلك بناء على التباين الواضح في وزن أصناف النقود المعثور عليها لحد الآن.

4- أن النقود المكتشفة أثبتت وجود بعض النقوش الكتابية التي ذكرتها المصادر التاريخية في حين تبقى نصوص أخرى لم يتم العثور بعد على نماذج منها.

5- أن النقود المكتشفة أثبتت اقتباس الأمير عبدالقادر بعض الآيات القرآنية (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِّ الْإِسْلَامُ) (الآية **19** من سورة آل عمران)، (حَسْبُنَا اللهُّ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ) (الآية **173** من سورة آل عمران)، (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) (الآية **126** من سورة الأعراف)، في حين لم تكشف بعد نماذج عن النقود التي ذكرت النصوص التاريخية بأنها كانت تحمل نقوش الاقتباس القرآني (نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ) (الآية **40** سورة الأنفال)، والاقتباس القرآني (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا) (الآية رقم **250** من سورة البقرة)، كما أظهرت الدراسة الأثرية اقتباسا قرآنيا لم تذكره النصوص التاريخية، والمتمثل في (رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ) (الآية **126** من سورة الأعراف).

6- أن النقود المدروسة لا تتضمن صيغ وعبارات دينية، ما عدا الآيات القرآنية وعبارة ضرب في تاقدمت أو أم عسكر وسنة الضرب، في حين

النصوص التاريخية أوردت بأن الأمير عبد القادر ضرب نقودا حملت عبارات وصيغ دينية وأسماء وألقاب تتمثل في:

- بسم الله.

- بأمر السلطان عبدالقادر.

- الواثق بالقوي المتين، ناصر الدين عبدالقادر بن محي الدين.

- ومن تكن برسول الله نصرته *** إن تلقه الأسد في آجامها تجم.

- الله، محمد، أبو بكر، عمر، عثمان، علي.

ما يعني أن الأمير عبد القادر نقش اسمه ولقبه في حين لم ينقش اسم ولقب السلطان العثماني، ما يؤكد على أنه كان يهدف إلى بناء دولة جزائرية حديثة مستقلة عن غيرها من الدول بما فيها الخلافة العثمانية.

7- أن الصيغ والعبارات الدينية حسب النصوص التاريخية تظهر بأن الأمير عبد القادر استخدم لأول مرة على السكة الإسلامية بيتا من قصيدة البوصيري.

8- أن الأمير عبد القادر اختار بعناية فائقة، النقوش والكتابات التي وردت على سكته، وهي تعبر بشكل جلي وواضح عن الوضع السياسي والاجتماعي والديني والنفسي الذي كان يحيط بالأمير عبد القادر ودولته، وظروف المقاومة واشتدادها، كما تظهر شخصيته الدينية والروحية والصوفية في اختيار قصيدة البوصيري وخاصة البيت الشعري الذي نقشه ليس فقط على سكته وإنما جعله شعارا على ختمه.

ومن خلال مقارنة نقود الأمير عبد القادر وما عاصرها أو سبقها من نقود إسلامية يظهر أن نقوده لا تكاد تختلف عما هو مألوف من النقود وذلك من عدة جوانب:

- الشكل الدائري للنقود.

- الاكتفاء بالكتابة المركزية حسب النقود المكتشفة، بينما توجد كتابة مركزية وأخرى هامشية حسب بعض النصوص التاريخية.

- توزيع الكتابات والنقوش بما فيها استعمال الدوائر الخطية والحبيبات وزهرة السوسن.

- استخدام خطوط عربية مألوفة على غرار خط الثلث وخط النسخ المغربي.

- استخدام نفس الطرق والتقنيات المستعملة في ضرب السكة الإسلامية والمتمثلة في القوالب المصبوبة والقوالب المحفورة.

ولعل مما تتميز به سكة الأمير هو استعماله معدن الفضة والنحاس، دون الذهب، وهو ما يعكس قلة الإمكانيات المنجمية وندرة المعدن النفيس "الذهب" الذي حال دون استخدامه في ضرب سكة وعملة ذات قيمة صرف عالية تضاهي المسكوكات والعملات المعاصرة لها.

كما أن ضرب الأمير عبد القادر للعملة في حد ذاته تحدي كبير، خاصة وأنه كان يخوض حربا ومقاومة كبيرة طيلة **15** سنة ضد أعتى الدول وامبراطوريات العصر الحديث آنذاك، ومع ذلك لم يثنه ذلك عن ضرب عملة يؤكد من خلالها طموحه لبناء دولة ذات سيادة وطنية، وليس مقاومة أو ثورة عابرة.

- الهوامش

1)- الجيلالي (عبد الرحمن)، حول سكة الأمير عبدالقادر الجزائري، وزارة التربية الوطنية، إدارة الشؤون الثقافية - المتاحف الوطنية، الجزائر، **1966**، ص**23**. وهو نفس الرأي الذي أخذ به الأستاذ صالح بن قربة. أنظر: بن قربة (صالح)، من قضايا التاريخ والآثار في الحضارة العربية الإسلامية، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، **2012**، ص**217**.

2)- درياس (الأخضر)، درياس (يمينة)، دوبابي (حنان)، جامع المسكوكات العربية الإسلامية بالمتاحف الجزائرية، مطبعة سومر، الجزائر، **2000**، ج**2**، ص **111**.

3)- تشرشل (شارل هنري)، حياة الأمير عبد القادر، ترجمه وقدم له وعلق عليه أبو القاسم سعد الله، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، **1982**، ص**137**. أنظر أيضا: بورويبة (رشيد)، "تاقدمت عاصمة الأمير عبد القادر"، مجلة الثقافة، وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر، ع**82**، **1984**، ص**132**.

4)- اعتمدت كل الدراسات التي أخذت بهذا الرأي على القطعة النقدية المذكورة أعلاه وفق الصورة التي قرأها عليها لافوا، ومن بين تلك الدراسات نذكر: بن قربة (صالح)، المرجع السابق، ص**217**.

Bouchenaki .M, La Monnaie de L'Emir Abd-el-kader, S.N.E.D, Alger, **1976**, P**26**.

5- Lavoix. H, Catalogue des monnaies musulmanes de la bibliothèque nationale, Tourni Arnaldo Editore, S.P.A, **1977**, P**513**.

6)- اسكوت الكلونيل، مذكرة الكلونيل اسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر عام **1841**م، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، **1981**، ص**96**، **97** . أنظر أيضا: بن التهامي (الحاج مصطفى)، سيرة الأمير عبد القادر وجهاده، تحقيق وتعليق يحيى بوعزيز، دار الغرب الإسلامي، بيروت، **1995**، ط**1**، ص**147**. بورويبة (رشيد)، المرجع السابق، ص**147**، **148**.

7)- بن رويلة (قدور)، وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، تقديم وتحقيق محمد بن عبد الكريم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، **1968**، ص**42**. أنظر أيضا: حرب (أديب)، المر التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري **1808**-**1847**، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، **1983**، ج**2**، ص**61**. أفا (عمر)، النقود

المغربية في القرن الثامن عشر، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ط**1**، **1993**، ص**63**.

8 -Yver.G, correspondances du Capitaine Daumas consul a Mascara, **1837-1839**, Alger, **1912**, PP.**205- 206**.

9 -ibid, P.**213**.

10)- الجزائري (محمد بن عبد القادر)، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، دار اليقظة العربية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، ط**2**، **1964**، ج**1**، ص**204**.

11)- نفسه، ص**123**، **124**.

12)- حرب (أديب)، المرجع السابق، ج**2**، ص**60**.

13)- تشرشل (شارل هنري)، المصدر السابق، ص**137**، **138**.

14)- اسكوت الكلونيل، المصدر السابق، ص**114**.

15)- تشرشل (شارل هنري)، المصدر السابق، ص**137**، **138**.

16- Lavoix.H, op-cit, P**511**.

17- Lane Poole.S, Catalogue of Orietal Coins in the British Museum, V**5**, P**117**.

18)- حول أوزان النقود الفضية العثمانية أنظر: رزقي (فهيمة)، سكة الفترة العثمانية من خلال مجموعة متحف سيرتا قسنطينة، رسالة مقدمة لنيل شهادة ماجستير في التراث والدراسات الأثرية، قسم التاريخ والآثار، جامعة منتوري قسنطينة، **2010-2011**، ص **57**، **59**.

19)- سعيدوني (ناصر الدين)، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية (**1800-1830**)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، **1979**، ص**208**، **209**.

20- Bouchenaki .M, op-cit, P.**78**.

21)- الجزائري (محمد بن عبد القادر)، المصدر السابق، ج**1**، ص**204**.

22)- سعيدوني (ناصر الدين)، المرجع السابق، ص**208**.

23)- من بين تلك الدراسات نذكر: الجيلالي (عبد الرحمن)، المرجع السابق، ص**27**. بن قربة (صالح)، المرجع السابق، ص**207**، **210**.

24)- بن رويلة (قدور)، المصدر السابق، ص**41**.

25 -YVER.G, op-cit, P.**205**- **206**.

26 -ibid, P.**213**.

27)- الجزائري (محمد بن عبد القادر)، المصدر السابق، ج**1**، ص**204**.

28)- تشرشل (شارل هنري)، المصدر السابق، ص**137**-**138**.

29)- اسكوت (الكلونيل)، المصدر السابق، ص**114**.

30)- حرب (أديب)، المرجع السابق، ج**2**، ص**53**.

31)- الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تح عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، القاهرة، **2001**، ج**6**، ص**244**، **245**. أنظر أيضا: ابن عطية الأندلسي (أبو محمد عبد الحق بن غالب)، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية بيروت، ط**1**، **1993**.ج**1**، ص**542**، **543**.

32)- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل)، قصص الأنبياء، تحقيق مصطفى عبد الواحد، مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة العزيزية، ط**3**، **1408**ه/**1988**م، ج**1**، ص**166**-**167**.

33)- يوسف (فرج الله أحمد)، الآيات القرآنية على المسكوكات الاسلامية دراسة مقارنة، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الاسلامية، الرياض، ط**1**، **2003**، ص**86**، **87**.

34)- يوسف (فرج الله أحمد)، المرجع السابق، ص**88**.

35)- نفسه، ص**180**-**182**.

36)- نفسه، ص**86**-**88**.

37)- ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل)، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، **1976**م، ج**3**، ص**166**-**167**.

38)- بوعزيز (يحيى)، الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري، دار الكتاب الجزائري، الجزائر، ط**2**، **1964**، ص**30**، **31**. أنظر أيضا: الجزائري (بديعة الحسني)، الأمير عبد القادر الجزائري سيرته المجيدة في حقبة من تاريخ الجزائر، سلام للترجمة والنشر ، ط**2**، دمشق، **1992**، ص**37**، **38**.

39)- تشرشل (شارل هنري)، المصدر السابق، ص**82**-**85**.

40)- نفسه، ص**83**.

41)- بوعزيز (يحيى)، المرجع السابق، ص**39-42**. أنظر أيضا:

EMERIT.M, L. L'Algérie a l'époque d'Abdelkader, Paris, S.D, PP.**135-136**.

42)- تشرشل (شارل هنري)، المصدر السابق، ص**129-131**.

43)- نفسه، ص**133**، **134**.

44)- أنظر: الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، المصدر السابق، ج**5**، ص**280-282**. ابن عطية (أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي)، المصدر السابق، ج**1**، ص**413**. ابن حيان الأندلسي الغرناطي (محمد بن يوسف)، البحر المحيط في التفسير، دار الفكر، بيروت، **2005**، ج**3**، ص**67-69**.

45)- الآية رقم **18** من سورة آل عمران.

46)- عن تفسير هذه الآيات أنظر: الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير)، المصدر السابق، ج**10**، ص**363-365**. ابن عطية (أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي)، المصدر السابق، ج**1**، ص**413**. ابن حيان الأندلسي الغرناطي (محمد بن يوسف)، المرجع السابق، ج**3**، ص**67-69**.

47)- بوعزيز (يحيى)، المرجع السابق، ص**39-42**. أنظر أيضا:

EMERIT.M, op-cit, PP.**135-136**.

48- AZAN.P, L'émir Abdelkader (**1808-1883**) du Fanatisme musulman au patriotisme chrétien, Paris,**1925**, P.**154**.

49)- يوسف (فرج الله أحمد)، المرجع السابق، ص**219-221**.

50)- الجزائري (محمد بن عبد القادر)، المصدر السابق، ج**1**، ص**204**.

51)- أنظر: الطبري (أبو جعفر بن جرير)، المصدر السابق، ج**3**، ص**339**. ابن عطية (أبو محمد عبد الحق بن غالب الأندلسي)، المصدر السابق، ج**1**، ص**467**. ابن حيان الأندلسي الغرناطي (محمد بن يوسف)، المصدر السابق، ج**3**، ص**249-250**.

52)- بن قربة (صالح)، المسكوكات المغربية، المرجع السابق، ص**485-495**. أنظر أيضا: يوسف (فرج الله أحمد)، المرجع السابق، ص**138-154**.

53)- الآيات رقم **249-252** من سورة البقرة.

54)- الطبري (أبو جعفر بن جرير)، المصدر السابق، ج**4**، ص**624**، **625**.

55)- يوسف (فرج الله أحمد)، المرجع السابق، ص**219-221**.

56)- تشرشل (شارل هنري)، المصدر السابق، ص **137-138**.

57)- الطبري (أبو جعفر بن جرير)، المصدر السابق، ج**11**، ص **178-184**.

58)- تشرشل (شارل هنري)، المصدر السابق، ص **129-131**، **133-134**.

59)- رمضان (عاطف منصور محمد)، المرجع السابق، ص **457-466**.

60)- تشرشل (شارل هنري)، المصدر السابق، ص **137-138**.

61)- رمضان (عاطف منصور محمد)، موسوعة النقود في العالم الإسلامي، ج**1**، نقود الخلافة الإسلامية، دار القاهرة، القاهرة، **2004**، ص**501**.

62)- اسكوت الكلونيل، المصدر السابق، ص**114**.

63)- حرب (أديب)، المرجع السابق، ج**2**، ص**53**.

64)- نفسه، ص **520-549**.

65)- ابن كثير (أبو الفداء الدمشقي)، البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، **1992**م، ج**8**، ص**323**، **324**.

66)- الأزهري (خالد)، شرح البردة، قدم له وعلق عليه حسن محمد علي، وراجعه الوائي إبراهيم، مكتبة الاندلس، بغداد، مطبعة الارشاد، بغداد، **1966**، ص**138**، **139**.

67)- تشرشل (شارل هنري)، المصدر السابق، ص**137**، **138**.

68)- اسكوت الكلونيل، المصدر السابق، ص**114**.

69)- ابراهيم (محمود مسعود)، نقود الصفويين الذهبية والفضية في ضوء مجموعة متحف الفن الاسلامي بالقاهرة، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الآثار، **1998**، ص**42**.

70)- تشرشل (شارل هنري)، المصدر السابق، ص**137**، **138**.

71)- أنظر: زوزو (عبد الحميد)، مراسلات الأمير عبد القادر مع الجنرال دي ميشيل ووثائق خاصة بتاريخ الجزائر في عهد الأمير، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر، **2013**، ص**47-168**. أنظر أيضا: زوزو (عبد الحميد)، رسائل الأمير عبد القادر إلى الجنرال دي ميشيل، عن مجلة التاريخ، عدد خاص بالذكرى المائة لوفاة الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، **1983**، ص**127-188**. أنظر أيضا:

مزاري (عبد القادر)، نماذج من رسائل الأمير عبد القادر الديوانية، عن مجلة لغة – كلام، مختبر اللغة والتواصل، المركز الجامعي غليزان، ع**7**، سبتمبر **2018**، ص**249–259**.

72)- عاطف منصور محمد (رمضان)، النقود الإسلامية وأهميتها في دراسة التاريخ والآثار والحضارة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط**1**، **2008**، ص**291–294**. أنظر أيضا: القيسي (ناهض عبد الرزاق)، النقود في العراق، بيت الحكمة، بغداد، **2002**، ص**345–419**.

73)- عاطف منصور محمد (رمضان)، المرجع السابق، ص**301**، **330**، **331**.

74)- العجابي (حامد)، المرجع السابق، ج**2**، ص**22**، **23**، **106**، **107**، **147**، **154**، **282**، **286**.

75) حرب (أديب)، المرجع السابق، ج**1**، ص**75**.

76)- بوقراف (جلول)، العلاقات المصرية العثمانية في عهد محمد علي باشا ومواقف الدول الأوربية منها (**1805–1841**م)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، جامعة غرداية، مج**13**، ع**2**، **2020**، ص**1345–1356**.

77)- مانتران (روبير)، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط**1**، **1993**، ج**2**، ص**17–50**.

78)- تشرشل (شارل هنري)، المصدر السابق، ص**42–44**.

79)- عن هذه الثورات وغيرها أنظر: حنيفي (هلايلي)، الثورات الشعبية في الجزائر أواخر العهد العثماني كرد فعل على سياسة التهميش، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، مج**21**، ع**01**، **2006**، ص**189–204**. سعيدوني (ناصر الدين)، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، **2000**، ص**117–119**. بوجلال (قدور)، ثورة ابن الشريف الدرقاوي في بايلك الغرب **1805–1813**، عن مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج**04**، ع**02**، **2021**، ص**598–617**. بونقاب (مختار)، انتفاضة درقاوة في بايلك الغرب الجزائري **1802–1816**، عن: مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، ع**03**، **2008**، ص**135–141**. محمد (عطية)، ثورة ابن الصخري في الشرق الجزائري، عن مجلة العلوم الإسلامية والحضارة، مج**07**، ع**01**، **2022**، ص**621–634**. أنظر أيضا: بلعربي (خالد) ومقنونيف (شعيب)، ثورة التيجانية في بايلك الغرب الجزائر إبان القرن التاسع عشر دراسة تاريخية أنثروبولوجيا، مجلة أنثروبولوجيا الأديان، مج**17**، ع**01**، **2021**، ص**716–723**.

80)- الجزائري (محمد بن عبد القادر)، المصدر السابق، ص**54**. أنظر أيضا: بوعزيز (يحيى)، المرجع السابق، ص**41**. أباظة (نزار)، الأمير عبد القادر الجزائري العالم المجاهد، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، **1994**م، ص**9**.

AZAN. P,L'émir Abdelkader (**1808-1883**) du Fanatisme musulman au patriotisme chrétien , Paris,**1925**,P.**2**.

81)- الزبيري (محمد العربي)، مذكرات احمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، **1973**، ص**11-61**.

82)- ابن العنتري (محمد الصالح)، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها، مراجعة وتقديم وتعليق يحيى بوعزيز، دار هومه، الجزائر، **2007**، ص**137-147**، **154-156**، **158-159**، **187-212**. أنظر أيضا:

VAYSSETTES.E, «Histoire de Constantine sous la domination Turque de **1517** à **1837**», in: Recueil des Notices et Mémoires de la société Archéologique de la province de Constantine, **1867**, P**240-244**. MERCIER.E, Histoire de Constantine, Constantine, **1903**, P**415-436**.

83)- سعيدي (خير الدين)، موقف الدولة العثمانية من طموحات أحمد باي في حكم ايالة الجزائر (**1832-1837**)، عن مجلة: (Istanbul Journal of Arabic Studies)، مج**4**، ع**2**، **2022**، ص**310-322**.

84)- عن السكة السعدية والعلوية بالمغرب الأقصى أنظر: جلال (نيرة رفيق)، نقود سجلماسة في العصر الاسلامي، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الآثار، **2005**، ص**331-360**.

BANK AL-MAGHRIB, Les Trésors du Musée de la Monnaie Histoire et Patrimoine du Maroc, Rabat, **2006**, PP.**182-198**.

85)- عن السكة الصفوية بإيران أنظر: إبراهيم (محمود مسعود)، نقود الصفويين الذهبية والفضية في ضوء مجموعة متحف الفن الإسلامي بالقاهرة، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الآثار، **1998**.

86)- عن السكة المغولية بالهند أنظر: المراكبي (رامي محسن يونس أمين)، رسوم الكائنات الحية على المسكوكات في الهند خلال الفترة من القرن العاشر الهجري الى القرن الثالث عشر الهجري دراسة مقارنة مع مدارس التصوير والفنون المعاصرة، رسالة دكتوراه، جامعة حلوان، كلية الآداب، مصر، **2014**.

87)- يوسف (فرج الله أحمد)، نقود الخارجين على الخلافة العباسية في شرق العالم الاسلامي، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية الآثار، **1412**، ص**7-150**.

88)- عن السكة السعدية والعلوية بالمغرب الأقصى أنظر:

BANK AL-MAGHRIB, op-cit, PP.**192-196**.

89)- الصاوي (أحمد السيد محمد)، النقود المتداولة في مصر العثمانية (**923-1213**هـ/**1516-1798**م)، رسالة دكتوراه، جامعة القاهرة، كلية الآثار، **1991**، ص**9**، **10**.

التربية والتعليم: عند الأمير عبد القـادر الجزائري

الدكتور: علاء إبراهيم سرحان المختار
جـامعة القـادسية - جمهورية العراق

- الملخص

يتحدث هذا البحث عن نشأة الأمير عبد القادر الجزائري وأين وكيف درس منذ ولادته وحتى تعلم علومه العسكرية وما اكتسبه علميا من رحلته إلى الحج برفقة والده السيد محي الدين، حيث مروا خلالها بمصر والتقائه برواد النهضة الفكرية والأدبية والعلمية التي شهدتها مصر في عهد محمد علي باشا وكذلك مروره ببغداد ودمشق حيث اطلع على النهضة الفكرية والحضارية والعمرانية، كما سيتناول البحث ما اكتسبه الأمير من المنفى في فرنسا وتفاعله مع الحضارة الغربية وانفتح على ذلك فكريا وحضاريا وعلميا، كما يتناول البحث أهم المؤلفات العلمية والدينية والتربية وعدد من المقالات والمحاضرات التي ألقاها في دمشق حتى وفاته.

- الكلمات المفتاحية: التربية؛ التعليم؛ الأمير عبد القادر؛ مؤلفاته؛ كتبه.

- مقدمة

الأمير عبد القادر الجزائري (**1808-1883**) هو رجل وطني وقائد سياسي، ويعد من أهم رموز المقاومة في دولة الجزائر الحبيبة ضد الطغاة الاستعمار الفرنسي، وفضلا عن هذا الدور كان له دور كبير وفعال في نشر العلم وتأليف عدد كبير من الكتب والمؤلفات والانتاج الفكري، التي تناولت الفلسفة الإسلامية والصوفية مثل كتاب (المواقف) وكذلك كتاباته عن الشعر

التي تعبر عن القضايا الروحية والوطنية وغيرها من المؤلفات الأخرى التي سنتناولها في حينها.

- نشأته ودراسته

ولد الأمير عبد القادر الجزائري عام (**1808**) في بلدة القيطنة قرب المعسكر في الجزائر وكانت ولادته ونشاته في بيئة علمية متدينة حيث (زق العلم زقا) من معلمه الأول، والده السيد محي الدين وتعتبر عائلة الأمير عبد القادر من كبار علماء الدين والمشايخ في الجزائر وهي عائلة صوفية من بني هاشم والده السيد محي الدين الذي كان شيخ الطريقة القادرية، وهذا ما ساهم في تكوين شخصيته العلمية والأدبية والدينية فضلا عن العسكرية والسياسية منذ نعومة أظافره.

وبعدها درس مبادئ اللغة العربية والعلوم الإسلامية والبلاغة والنحو والصرف والتفسير وغيرها ، واظهر الأمير موهبة وذكاء كبير بسن مبكر في طلب العلم وخصوصا في علم النحو والصرف والبيان والبلاغة فضلا عن الشعر والأدب.

ولعدم وجود دراسات عسكرية في حينها في الجزائر فإن الأمير قد اكتسب المهارة والقيادة والاستراتيجيات العسكرية من خلال الملاحظة والمشاركة والتجربة الميدانية في مقاومة الاستعمار الفرنسي في منذ بداية ثورته بعد مبايعته من قبل العشائر والقبائل الجزائرية عام **1832**م وهنا خاض حروبا كبيرة ومتعددة ضد الاحتلال الفرنسي وأظهر حنكه في التخطيط والتنظيم وتنفيذ العلميات العسكرية التي أذهلت الاحتلال وأذلتهم وهنا أجبرتهم انتصاراته على توقيع معاهدتي للصلح الأولى (دي ميشيل **1834**م) والثانية (التافنة **1837**م) وبعد معارك وانتصارات عديدة لعدة سنوات للأمير عبد القادر الجزائري ضد الاستعمار الفرنسي، وبسبب عدم تكافؤ في القوى وحصار طويل الأمد تعرض له الأمير مع قواته وعلى أثرها أسر الأمير مع أبرز رموز المقاومة الجزائرية ونفى على أثرها إلى فرنسا عام **1847**م.

- رحلة الأمير الى الحج وتعلمة

في عام **1825**م ذهب الأمير عبد القادر الجزائري برفقة والده لأداء مناسك الحج في مكة المكرمة، حيث زار العديد من المراكز العلمية والحضارية منها مصر والتقى بالعديد من رموز ورواد النهضة الفكرية والأدبية والعلمية التي شهدتها مصر في عهد محمد علي باشا، وفي مكة والحجاز قد حضر العديد من المجالس الدينية والعلمية والتقى بكبار علماء المسلمين مما عمق وزاد حبه للعلوم والمعارف الدينية وخلال الرحلة ومروره بدمشق وبغداد اطلع على المعالم الحضارية والعمرانية والعلمية والمدارس الدينية هذا ما أعطاه انطباع رائع وافاق واسعة ومعرفة شاملة في العديد من العلوم العلمية والدينية.

- تفاعل الأمير عبد القادر مع الفكر والحضارة الغربية

بعدما تم أسر الأمير عبد القادر الجزائري عام (**1848-1852**) ونفية إلى فرنسا قد اطلع على التقدم والحضارة الغربية والتفاعل مع العلوم والتنور الحضاري للغرب في تلك الفترة رغم الاختلافات مع الاستعمار، إلى أنه أبدى تفاعل وانفتاحا علميا وفكريا مما جعله رمزا للتفاعل والحضاري والثقافي والاجتماعي.

- دور الأمير عبد القادر الجزائري العلمي في دمشق (رجل الإسلام الحديث)

بعد خروج الأمير من المنفى في فرنسا شد الرحال إلى الجزيرة العربية بعدها استقر في دمشق وعاش هناك بقية حياته متفرغا للعلم والعبادة حتى وفاته عام **1883**م ودفن فيها، وفي عام **1966**م نقلت رفاته الطاهرة لتدفن في نصب ومقام الشهيد في دولة الجزائر، وهنا لابد أن نتطرق إلى الكثير من إنجازات هذا الأمير والعالم الجليل والقائد المحنك حيث كانت له العديد من النتاجات العلمية والأدبية والفكرية والدينية وألف العديد من الكتب، وعدد من الحلقات العلمية ونشر ثقافة التصوف وتعاليم الدين الإسلامي، كما وكان يستشار في القضايا العلمية والدينية فهنا أصبح الأمير عبد القادر

ليس فقط رمزا للمقاومة والصمود بل اعتبر نموذجا في التسامح والإنسانية حيث أطلق عليه الأدباء والمفكرين لقب رجل (الإسلام الحديث) وهنا ترك إراثا غنيا بالعلم والفكر والأدب والشعر والعديد من المؤلفات في عدد من التخصصات المختلفة.

- مؤلفات الأمير عبد القادر الجزائري

إلى جانب أن الأمير عبد القادر كان قائدا عسكريا فذا وسياسيا محنكا، كان عالما وأدبيا وشاعرا وله العديد من المؤلفات والكتب والمقالات التي سنتناول بعضها:

1- "كتاب المواقف" الذي ألفه ما بين (1855-1860) الذي نشر لأول مره عام (1911) في بيروت والذي حققه عبد الباقي مفتاح.

يعتبر هذا الكتاب من أشهر مؤلفاته حيث تناول فيه مواضيع روحية وفلسفية وبين فيه علاقة الانسان بخالقه والتأملات حول الحياة وما بعد الحياة والجنة والخلود الحقيقي للإنسان.

2- "ديوان الشعر" الذي نشر عام (1883) بعد وفاته في بيروت تحقيق محمد فرشوخ

يحتوي هذا الكتاب على عدد كبير من القصائد التي تنوعت بين حب الله وحمده والتأمل الروحي والنفسي والحرص على الأخلاق الحميدة، وظهرت أشعاره بأسلوب لغوي بليغ ومعبر بشكل ملفت.

3- "ذكرى العاقل وتنبيه الغافل" الذي نشر عام (1990) في الجزائر.

يعتبر هذا الكتاب إصلاحي أخلاقي ديني يهتم ويركز على الاخلاق والقيم الدينية التي يجب أن يكون عليها الإنسان المؤمن حيث حرص الأمير عبد القادر الجزائري على نشر الفضيلة والدين وإصلاح العباد.

وهنالك العديد من المؤلفات التي أكملها أو لم يكملها مثل "رسائل علمية وفكرية" حيث كانت عدد من المقالات والرسائل العلمية التي تناولت (الدين

– السياسة – الاجتماع) وفيها العديد من النصائح للكتاب والأدباء والحكام، كذلك كان له تفسير "للقران الكريم" غير مكتمل حيث عمل الجزائري على تفسير القران الكريم مركزا على النواحي الروحية والصوفية لآيات الذكر الحكيم ولكن الكتاب لم يكتمل بسبب وفاته.

وهنا لابد أن نذكر أن للأمير عبد القادر الجزائري إسهامات كبيرة وكثيرة أغلبها كانت شفوية وأدبية نقلها عنه من عاصره في تلك الفترة منها ما هو دينيا ومنها ما هو في حب الوطن والدفاع عنه وعن مقدساته.

وفي الختام أن هذا الرمز الوطني الجزائري (**الأمير عبد القادر الجزائري**) الهاشمي العربي يجب أن يدرس في مناهج دولة الجزائر وكافة الدول العربية لما كان له دور كبير في محاربة الاستعمار وتقويض نفوذه وإجباره على الهزيمة، فهو مدرسة للجهاد والقتال والتضحية فضلا عن كونه عالما أديبا عارفا معرفا بدينه ودنياه.

- قائمة المصـــــــادر

- الجزائري، محمد بن عمرو (**1961**) **عبد القادر رجل الإسلام والإنسانية**، دار الفكر، بيروت.

- العربي، إسماعيل (**1975**) **الأمير عبد القادر الجزائري جهاد سياسة وتصوفه**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر.

- المدني، أحمد توفيق (**1938**) **عبد القادر الجزائري مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة**، المطبعة الجزائرية الإسلامية، الجزائر.

- مفتاح، عبد الباقي (**2002**) **التصوف عند الأمير عبد القادر**، دار الفكر، بيروت.

- بن عيسى، فاطمة الزهراء (**2010**) **حياة الأمير عبد القادر الجزائري**، دراسة أكاديمية، أطروحة غير منشورة، جامعة الجزائر.

كتابات الأنجو - ساكسون ونظرتهم للأمير عبد القادر الجزائري (ماضياً وحاضراً)

الأستـاذ الدكتور: عبد العزيز بوكنة
جـامعة الجزائر 2 أبو القاسم سعد الله – الجزائر

- مقدمة

إن حياة الأمير عبد القادر الجزائري عامة وجهاده ضد الاحتلال الفرنسي لبلاده ظل في الماضي والحاضر حديث وكتابات النخب السياسية والعسكرية والدينية، خاصة مع مطلع الألفية الثالثة. كما أصبحت مآثره دروساً ومحل اهتمام مُتزايد يقتدي بها الكتاب والنُقاد في مجتمعاتهم ومؤسساتهم وبمختلف مشاربهم. ومن جملة ما كتب عن الأمير عبد القادر وأقدمها، كتاب الكولونال البريطاني شارلز هنري شرشل (Charles Henry Churchill) (**1889**). ورفائيل دينزيقر (Raphael Danziger)، وإيلسا مراستون (Elsa Marston) مع الإشارة أن أغلب ما كتب عن الأمير عبدالقادر باستثناء اللغة العربية، هي كتابات بالفرنسية.

نستعرض في هذه الورقة، صورة الأمير عبد القادر الجزائري عند الآخر، خاصة في الكتابات الأنجو – أمريكية. تتبعنا هذه النظرة والصورة عن الأمير عبد القادر، فيما ورد من تأليف من: كتب – مقالات – وندوات في محاضرات (vidios)، مركزين على أهميتها كمراجع أساسية بحثية أكاديمية في تاريخ الأمير عبد القادر الجزائري.

والسؤال المطروح، كيف ومتى بدأ الاهتمام بشخصية الأمير عبد القادر؟ إن الدارس للكتابات الأنجلو سكسونية يدرك الاهتمام المتزايد بشخصية الأمير عبد القادر خاصة في مطلع الألفية الثالثة، مع التغيرات الجيوسياسية على المستوى الدولي لا سيما الصراع اللامتناهي في الشرق الأسط.

فهذا الباحث الأمريكي يرى أن أحداث **11** سبتمبر **2001**، التي عرفتها نيويورك:

150) Since September **11**, **2001** Muslim have been Stereotyped and the message of Islam and image of Islam have been tarnished."

قد تم تشويه صورة (الإسلام) والطعن في معانيه السامية، وهذا ما دفع بالكثير من الكتاب والصحافيين، ورجال السياسة إلى الخوض في نظريات وأحكام أقل ما يقال عنها، كانت للدعاية المُغرضة وتشويه صورة المسلمين عبر العالم، خاصة على المنابر التلفزيونية. في هذا الجو العقيم والمسموم، قام الكاتب الأمريكي جون كيسر (John kiser)، بتأليف كتابه:

Commander of the faithful: The Life and Times of Emir Abdelkader! (A story of The Jihad)

(أمير أو قائد المؤمنين: حياة وزمن الأمير عبد القادر قصة جهاد حقيقية).

وعندما قام أستاذ الطب فاروق أحمد خان بقراءة الكتاب قال عنه: "عندما بدأت بقراءته، لم أتمكن من وضعه جانباً هذا الكتاب مهم جداً، ويجب على كل واحد قراءته اذا اراد أن يفهم جيدا حقيقة معنى الإسلام وما ينطبق عن الجهاد".

"Once I started reading it, I could not put it down. This book is must read for all who want to understand the true meaning and application of jihad."

الكتاب يبدأ بمقدمة عن الأمير عبد القادر كُتبت من قبل طلبة معهد مدينة القادر بولاية (Iowa)، والتي سُميت المدينة باسمه (Elkader) القادر

في أيوا: هذه هي قصة الرجل من خلال المدينة التي سُميت باسمه، مفكر وفيلسوف، مُحب للحرية مناصراً لدينه وعقيدته، وُلد قائِداً وبطلاً عسكرياً، إداري مُحنك، خَطيب وداعية ذو قناعة كبيرة -كما يضيف- فارس وخصم كبير ويضيف قائلاً: "الاختيار كان صائبا وبهؤلاء الطلبة الأوائل سبعون سنة خلت ، نُخلد ونُمجد هذا الشيخ (الأمير عبد القادر) هذا ما جاء على لسان، قسم الطلبة لسنة **1915** للدارسة العليا لمدينة القادر".

((Elkader in Iowa: Such is the history of the man for whom own town is named. A scholar a Philosopher, a lover of liberty; a champion of his religion, a born a leader of men, a great soldier,a capable administrator, a persuasive orator,a Chivalrous opponent; the selection was well made, and with those pioneers of seventy year ago we de honor The Sheik.)) Class of **1915**, Elkader High School"

كما عمل الكاتب (John kiser) بلقاء طلبة مدينة القادر "الجمعية المركزية للمدرسة العليا للمشاركة في ندوة سنوية خُصصت للبحث والحديث عن مناقب الأمير محمد عبد القادر وهذا سنة **2009**. ومن مُخرجات الندوة التاريخية عن الأمير عبد القادر تم تصنيفه وجعله أكبر شخصية عالمية مؤثرة في التاريخ المعاصر خلال القرن **19**م.

وعندئذٍ قامت كل من الطالبة: (Stephonie fox Dixon) ستيفاني فوكس ديكسون بكتابة، مقالة عن الأمير عبد القادر وكانت من الفائزين بالجائزة. عنوان المقالة خادم الله (A servant of God). أما زميلتها (Rebecca Roberts) ريبيكا روبارتس، كتبت مقالة بعنوان: قائد المؤمنين (Commander of the Faithful).

تناولت هذه الكتابات جملة من الشهادات والأقوال. بعد الحديث عن سيرته وحياته. ذكرت بعض الأمثلة التي خصت الجوانب الفكرية الإنسانية لحياة الأمير عبد القادر فمثلا ذكرت أن مدينة (Massachusetts) بالولايات المتحدة الأمريكية، اطلقت على مرفئها لبناء السفن، اسم الامير عبد القادر. كما خص سِباق الخيول أو الفرسان الذي أُقيم بإيرلندا، في إحدى دوراتها،

اسم الأمير عليها. إلى جانب ذلك قام عُمدة مدينة بوردو (Bordeaux) الفرنسية.

بتنصيب تمثالاً له بساعة المدينة، ولكن في اعتقاد الكثيرين خاصة من الجزائريات والجزائريين لم ترق المبادرة إلى سمعة ومكانة الأمير عبد القادر. وحتى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية (Abraham Lincoh) أبراهام لينكون (**1865-1861**) وجريدة (The New York Times) بتخليد مآثره وكتابة عنه.

ولم يقف العالم فقط عند الكتابات الغربية وإنما امتدت إلى جهات أخرى من العالم: من موسكو إلى مكة المكرمة إلى البابا بروما (Pope Plius) وهكذا مدحته جريدة (The NY Times) بما يلي: "إن نُبل أخلاقه منحتهُ تقديراً وتأثيراً في العالم... كان من بين العددِ القليلِ من الرجالِ العُظماء للقرن **19** م".

((The nobility of his character won live the admiration of the world... He was one of the few great men of the century.))

وبعض النظر ما تركه الأمير عبد القادر أثناء تواجده في بلاد الشام وعلى الشهادات التي قدمتها هذه الكتابات عن تعامله مع عدوه الفرنسي وهو سجينا بها، ذكرت وأجمعت هذه الكتابات وبلسان واحدٍ أن ما تحلى به الأمير من إنسانية وأخلال سامية. وبدعم من الأمم المتحدة في شهر أفريل **2006**، بمجلس حقون الإنسان بسويسرا بأن تجعل شخصية الأمير عبد القادر رائداً ورمزاً عالمياً (حقوق الإنسان)، وبطلاً ومناصراً لحوار الديانات. ولا بأس أن نشير في هذا المقام ببعض ما قيل عن الأمير عبد القادر...

((A brilliant military strategist, superb horseman, statesman, philosopher, Muslim hero… Emir Abdel Kader (**1808-1883**) was an international celebrity in his own time, known for his generosity and kindness even towards enemies. Today he is recognized as one of the noblest leaders of the **19**th century and a pioneer in interfaith dialogue. This fascinating biography of the heroic Arab who led the resistance to the French conquest of Algeria, endured…))

Compassionate Warrior Abd El Kader of Algeria

By: Elsa Marston, Barbara Petzon

- ترجمة موجزة للنص السابق

"قائدا عسكريا محنكا، فارسا مغوارا رجل دولة، فيلسوفا مسلما بطلا... الأمير عبد القادر نال شهرة عالمية في زمانه عرف بخصاله الحميدة حتى ضد أعدائه أو خصومه. أما اليوم، اعترف به كأول شخصية من نبلاء القرن **19**م ومن أوائل صناع الحوار (الديني بين المسلمين والمسحيين)، هذه السيرة المؤثرة لبطل عربي،الذي حمل لواء المقاومة ضد المحتل الفرنسي للجزائر..."

((…This fascinating biography offers Abd el-Kader's example as a light in the darkness of today's turbulent world English and American observers delighted in the exploits of the noble warrior because, after all, they didn't like the French at the time.))

- ترجمة موجزة للنص السابق

إن السيرة الذاتية الغنية والإعجاب بالأمير عبد القادر تجعله مضرب المثل ونورا (يُقتدى به) في أيامنا وزمننا الحالك وعالمنا المضطرب... أما الملاحظين الإنجليز والأمريكيين يشعرون بالغبطة والفخر لانتصارات الفارس النبيل المغوار(عليهم... المقصود الفرنسيين) وقبل كل شيء... لا يحبون الفرنسيون في زمنهم...

- كما قال عنه صاحب كتاب:

Patriots of Fire :El Amir Abdelkader

Melinda Lawson said :

One of my favourite Algerian personnalities is El Amir Abdel-Kader ,(born Sept. **6**, **1808**, near Mascara, Algeria died May **26**, **1883**, Damascus, Syria). I like his political acumen and his ardour in fighting off the French colonizers (the resistance battles he led against the French troops lasted **15** years). I find it wonderful how these qualities were combined with a chivalrous humanism which earned him the respect of even his enemies.

"واحدة من الشخصيات الجزائرية المحببة إليّ، الأمير عبد القادر (ولد سنة **1808** وتوفي سنة **1883**) أحببت سياسته الذكية الهادفة، وإصراره في محاربة المتحلين الفرنسيين (المقاومة والمعارك التي خاضها دامت **15** سنة). وجدت سيرته رائعة، حيث اجتمعت فيه خصال الفروسية والإنسانية، والتي كانت محل احترام وتقدير حتى خصومه وأعدائه".

((El Amir Abdel-Kader was likened to George Washington (who is often referred to as 'Father of His Country') as he is considered to be the founder of modern Algeria. I tend to agree with this comparison and if anyone deserves the title of 'Father of Algeria', it would be this man in my opinion."He organized a true state, imposing equal taxes and suppressing the privileges of the warlike tribes)).

"الأمير عبدالقادر كان محبوباً لجورج واشينتون (أول رئيس للولايات المتحدة الأمريكية) (وكان كثيراً ما يُنسب إليه 'أبٌ لوطنه أو الوطنية)،كما يُعتبر ويُعد مؤسس للجزائر الحديثة. أتفقُ مع هذا الرأي... وإن كان أي شخص يستحق هذا اللقب أبو الجزائر)، يجب أن يكون هذا الرجل في اعتقادي. أسس دولة حقيقية، سنّ ضرائب عادلة...".

•John Kiser said:

((Since September **11**, **2001**. Muslims have been stereotyped and the message and image of Islam have been tarnished. Self-proclaimed Leaders have given new and twisted meanings to the message of Islam)). P.**126**

"Once I started reading it, I could not put it down This book is a must read for all who want to understand the true meaning and application.

• Bouyerdene Ahmed said :

((Once I started reading it I could not put it down. This book is a must read for all "Who want to understand the the true meaning and applicator of Jihad …))

"عندما بدأت قراءته... لا يُمكن لي التخلي عليه أو وضعه بجانب... يجب قراءته من قبل الجميع" لمعرفة المعاني الحقيقية للجهاد من أجل طرد المحتل...".

- قالت عنه: فريمش مليكة

Al Amir Abdelkaker man of state and Science

Dr. Frimeche Malika ,Faculty of politics - University. Salah Boubnider .Constantine **2017**

المجلة الجزائرية للعلوم الاجتماعية والإنسانية

((The founder of the Algerian modern state as well as a big fighter of french Colonization)).

"مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة، مقاوم ومحارب كبير للمحتل الفرنسي".

- الخاتمة

الأمير عبد القادر يبقى رمزاً وطنياً ومؤسساً وباعثاً للدولة الجزائرية الحديثة. وأن اهتمامات الباحثين والمؤرخين في البحث والكتابة عن مناقبه، لا شك أنها تدعم المكتبة الوطنية وتبعث رسائل للعالم أن أرض الجزائر مستعصية على الأعداء وأن الإنسانية ليست شعار رنان وإنما فعلٌ، صانعهُ الأمير عبد القادر لأنه تربى وتشبع بالقيّم الإسلامية السمحاء.

((Al-Amir Abdelakader still regarded by the Algerians as a National symbol and the father of the Algerian Nation and state.))

- عناوين كتب حديثة عن الأمير عبد القادر.

- الأمير عبد القادر بطلاً وتقي مسلم.

- Emir Abd el –kader Hero and Saint of Islam (Bouyerderre Ahmed, **2013**)

- قائد المؤمنين حياة وزمن الأمير عبد القادر – قصة جهاد حقيقي

- Commander of the faithful :The life and times of Emir Abde el –kader

A story of True Jihad (John W.Kiser)

https://hdl.loc.gov/loc.gdc/gdcwebcasts.**090428**ame**1200**

- الأمير عبد القادر بطلٌ مسلم في زماننا هذا.

- El Amir Abdelkader A Muslim Hero for Our Time (Introduction to an Interactive Curriculum)

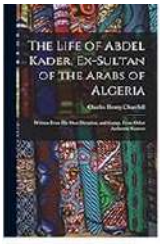

La vie d'Abd-El-Kader de Charles-Henry Churchill (1ère édition 1867), introduction, traduction et notes de Michel Habart, seconde édition, Alger, SNED, 1974.

ترجمة: أبو القاسم سعد الله

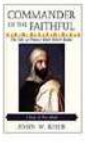

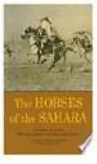

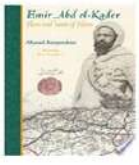

تجليـات الحرب عند الأمير عبد القـادر الاستراتيجية العسكرية والمبـادئ الجيش والحرب للدفـاع عن الدولة والوطن

✍ الأستـاذ الدكتور: ودان بوغفـالة
جـامعة ابن خلدون – تيـارت

- مقدمة

تناولت موضوع الجيش عند الأمير عبد القادر في مساهمتي في الكتاب الجميل: وزارة الدفاع الوطني، الجيش الجزائري الملحمة الخالدة، منشورات وزارة الدفاع الوطني، مؤسسة الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، **2024**.

بدأ دور الجزائر في الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط يتراجع منذ نهاية القرن الثامن عشر للميلاد، وتدهور الوضع العام في البلاد، وتفاقمت الظروف الاقتصادية، وساءت الأحوال الاجتماعية والصحية، واضطربت الأوضاع السياسية، خاصة مع اندلاع العديد من الثورات المحلية التي أنهكت نظام الحكم في البايلك، وزادت من متاعبه إلى غاية عام **1826**م، مثل ثورات الدرقاويين والتجانيين.

وفي الضفة الأخرى من المتوسط، احتدم التنافس الأوربي والصراع الدولي على التوسع في شمال القارة الإفريقية، وكانت عين العدو من أوربا ترصد دولة الجزائر وتطور الأوضاع فيها، من زوايا متعددة، وترسم مشاريع وخرائط الغزو والاحتلال. وهو ما تولت فرنسا القيام به، خاصة بعد فشل حملتها برئاسة نابليون بونابرت على مصر (**1798-1801**م)، فانفردت

بالمشروع الاستيطاني، واعتدت على سيادة الأمة الجزائرية، ودولتها القائمة بكل أركانها الأساسية، ومؤسساتها السياسية والدستورية.

لقد نزل الجيش الفرنسي بميناء سيدي فرج بتاريخ **14** جوان **1830**م غربي مدينة الجزائر، بقيادة الجنرال دي بورمون (De Bourmont) ورعاية الملك الفرنسي شارل العاشر (Charles X)، فواجهه الجزائريون بكل حماس دفاعا عن الأمة الوطن، وتوافدوا إلى مدينة الجزائر من كل الجهات. التقت قوات المقاومة الشعبية الجيش الفرنسي في سطاوالي يوم **19** جوان **1830**م، ولم ينجح الجزائريون في هذه المعركة لصد العدوان الذي امتد إلى مدينة الجزائر، فأخضعها يوم **5** جويلية **1830**م. لكن فرنسا وجدت صعوبة كبيرة في احتلال باقي أجزاء التراب الوطني، وكان عليها أن تجابه مقاومة شعبية وطنية، منظمة ومتميزة بقيادة الأمير عبد القادر (**1832-1847**م)، الذي بعث الدولة الجزائرية الوطنية الحديثة بمقتضى نظام شرعي دستوري وأرسى قواعدها الشعبية من رحم المجتمع بموجب عقد اجتماعي سياسي هو المبايعة، وأسس جيشا بمواصفات تنظيمية وفنية عالية، يخوض به حربا لاستعادة الوطن وسيادة دولته.

- بناء الجيش الوطني وعصرنة تشكيلاته وهياكله

أولى الأمير أهمية قصوى للمؤسسة العسكرية منذ البداية كما تجلى ذلك في الميدان، ومن خلال كتاب "وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب" لكاتب الأمير أرويلة قدور بن محمد. فاهتم بتنظيم الجيش، وترتيب أقسامه وقياداته، وتحديد صلاحيات ومسؤوليات المعنيين ورتبهم، بما يحاكي الجيش الاحترافي في الوقت الحاضر. كما أقدم على إنشاء المصانع الحربية وتأمين إنتاج الأسلحة والذخيرة العسكرية بمختلف أنواعها. علاوة على ذلك، كان الأمير يستعين بالمتطوعين من القبائل المناصرة من الفرسان والمشاة، فيلتحقون به عند الضرورة بما يملكون من أسلحة، ويعودون إلى مواقعهم بعد خوض المعارك، ويبقون على استعداد تام ورهن إشارته، وكان يُقدر تعدادهم بنحو ثلاثة وخمسين ألف جندي.[1]

وبخصوص آليات التجنيد والتعبئة ومنظومة الرتب لهذا الجيش، فقد دعا الأمير عبد القادر الجزائريين إلى الانتساب إلى الجيش الرسمي للدولة الجزائرية، وصار قوام الجيش النظامي بتقدير عام في ثماني مقاطعات حوالي ثمانية آلاف جندي، ألفي خيال، ومائتين وأربعين طوبجي (رماة المدافع). وتمثلت شروط الانتساب والالتحاق بالوحدات العسكرية، في الإقبال على التسجيل الرسمي لكل مواطن بالغ حر، جنسيته جزائرية وديانته إسلامية، يمتلك كفاءة بدنية تؤهله للالتزام بقوانين الجيش المحمدي، والامتثال لتعليمات قادته.

أما منظومة الرتب المقررة حسب نصوص قانون الجيش المحمدي فهي الآغا، وكانت مهمته هي قيادة الكتيبة العسكرية، والباش خوجة بوصفه كاتبا رئيسيا، وكان الشاوش يتولى المراقبة، وباشا العرب اعتبِر مُعلم الحرب. وعادت أدوار الجوق الوطني لرئيس الطبل الذي كان يُعرف بالباش طمبورجي والباش طرنبيطة، وانفرد سنجاق دار بحمل الراية، وتكفل السيافون بسلاح الجند. وأُسنِدت إلى رئيس الصف صلاحيات تفقد العسكر، والإشراف على قيادة الفصائل التابعة للكتيبة، فيما تقلّد وظيفة الكاتب والمساعد، كبير الكاهية أو الخوجة. واختص القضاء العسكري بالنظر في كل المخالفات العسكرية والحكم فيها مثل حالات العصيان والتولي، والإهمال والغياب، والإخلال والغش. وكانت العقوبة المقررة هي إما السجن لمدة معينة حسب المواد القانونية لكتاب "وشاح الكتائب... "، وإما العزل والشطب النهائي.

كان الجيش الجزائري على عهد الأمير عبد القادر يتوفر على جهاز طبي عسكري، أشرف عليه الطبيب أبو عبد الله الزروالي بمعية مساعدين وممرضين، ومصالح فرعية في المقاطعات. فكان الطب العسكري يعتني بالطب الشعبي، وبنشر ثقافة الوقاية من الأمراض، وخاصة المعدية منها، ويتولى علاج المصابين في المعارك، فيقدم لهم الإسعافات الضرورية، لتوقيف النزيف الدموي وتضميد الجروح، ويجري العمليات الجراحية الحربية للحالات الخطيرة، مثل معالجة الكسور، وإزالة الرصاصات القاتلة.

تشكل جيش الأمير الذي خاض به الحرب ضد فرنسا من الحرس الأميري؛ وهو الحرس الرئاسي، أو ما يُعرف حاليا عند بعض الدول بحرس النخبة، كان يرافق الأمير، ويسهر فرسان الخيام على حمايته، وحراسته شخصيا بأسلحة خفيفة غالبا، وأخرى ثقيلة في بعض الأحيان. وانتظم الجيش النظامي الاحترافي في كتائب وسرايا المشاة والخيالة والرماة، فكان منهم "الطوبجيون"؛ وهم رماة المدافع الذين تجمعوا في أفواج سداسية كانت تتناوب على تشغيل وتحريك سلاح المدفعية، يُسندهم الفرسان الذين ألّفوا كتائب وسرايا الخيالة، وحملوا السيوف والمسدسات اليدوية كأسلحة متاحة الاستخدام. أما وحدات العسكر المحمدي، والمتمثلة أساسا في كتائب وسرايا المشاة، فكانت تمتلك بصفة فردية سلاح البنذقية للرمي والقنص من مسافات قريبة.[2]

- بروتوكول الحرب: المنظومة القتالية في الدفاع والهجوم

اهتدى الأمير عبد القادر إلى إقرار خطة عسكرية مُحكمة في مقاومته للاستعمار الفرنسي، واستفاد من التجارب التاريخية والخبرات العالمية، فبنى القلاع والحصون وشيّد الأسوار. لقد كان يعتمد أسلوب المواجهة المباشرة في معركة الحسم أحيانا، مثل مهاجمة الحصون والأرتال العسكرية، ومحاصرتها وتطويقها، ويلجأ أحيانا أخرى إلى الحرب الخاطفة والعمليات السريعة، وينفذ ذلك في اشتباكات يحدد زمانها ومكانها، ويحقق أهدافها إما على المدى القصير، وإما على المديَيْن المتوسط والطويل.

وكانت فكرة التفاوض السياسي وربح الوقت لاسترجاع القوة والتنظيم العسكري، والانسحاب التكتيكي لجر العدو واستدراجه إلى كمائن وفِخاخ، أو النجاة منها، من أكثر الأفكار حضورا وفعّالية لدى جيش الأمير. لقد أولى هذا الأخير عناية خاصة لإدارة ومعالجة المعطيات والأخبار الواردة عن العدو، وحلفائه في الداخل والخارج. وتفعيل قنوات الاستشعار والمراقبة والاستطلاع، ومتابعة الأوضاع وتطورها، ورصد الخطط والردود المناسبة لها عسكريا وسياسيا ونفسيا ومعنويا.

لقد مثّل الدين الإسلامي، وتراث الأمة الجزائرية الحربي عبر التاريخ، المرجعية الأساسية للأمير في مبادئه القتالية وخططه العسكرية. ومنها تكتيك الاستطلاع والتضليل، وحملات المطاردة والترهيب والردع، وغزوات الكر والفر، والهجوم المُباغت ونصب الكمائن، وأشكال التضييق وقطع الدعم اللوجستيكي وكبح جماح الخصم المندفع.

بنى الأمير عبد القادر القواعد العسكرية واعتنى بالحصون الدفاعية لسد المنافذ والمسالك والطرق المعلومة أمام حركة العدو. وكان يروم تجميد التوسع الاستعماري ومحاصرته للانقضاض على خصومه، وعدم تسهيل عملية الاستيطان وتجنيد فلول المرتزقة؛ وهم من ضعاف النفوس والخونة والعملاء الذين ارتموا في أحضانه وباعوا الوطن. لقد رسم الأمير خطا دفاعيا في المنطقة التلية، وهو عبارة عن مجموعة من القواعد والقلاع العسكرية التي تم تأسيس البعض منها حديثا، وتثبيت البعض الآخر وترميمه مما كان قائما في المناطق التلية من الغرب إلى الشرق، وخاصة في مدن تلمسان ومعسكر (**1832-1835**م) وقلعة بني راشد، ومليانة (**1834-1840**م) والمدية (**1835-1840**م)، وشرشال والبويرة (برج حمزة).[3]

وانتبه الأمير إلى أهمية تكثيف الخطوط الدفاعية في عرقلة سير ومرور أرتال العدو الفرنسي نحو المناطق الداخلية والصحراء، ومطاردة المقاومة والانتقام من قواعد الدعم والمساندة التي توفرها القبائل المتحالفة. فأقبل على نشر التحصينات والمواقع الدفاعية بالمدن والأرياف، في ربوع الهوامش السفلى للهضاب العليا الداخلية، ما وراء السلسلة الجبلية للأطلس التلي إلى غاية تخوم الأطلس الصحراوي.

واشتهر من هذه المراكز الاستراتيجية باتجاه الجنوب حصن تافراوة بسبدو جنوب مدينة تلمسان وحصن مدينة سعيدة غربا، وقاعدة تاقدامت المنيعة بالموقع الاستراتيجي باتجاه الجنوب الشرقي على بعد عشر كيلومترات من مدينة تيارت؛ والتي تعززت بحصن بوغار الحربي جنوب مدينة المدية عاصمة التيطري ومعسكرات بسكرة. كما أقام الأمير باتجاه الشمال الشرقي بُرجا للمراقبة في تازا بالسلسلة الجبلية للونشريس، وحاميات عسكرية

أخرى أسفل جبل زكار بأبي خرشفة بمليانة للتحكم أكثر في الطرق المؤدية إلى الغرب والصحراء.

العاصمة المتنقلة للاتصال الحربي والتنسيق الأمني: "الزمالة" رمزية الوطن والدولة

عندما انعقدت البيعة للأمير في **27/11/1832**م، استقر بمدينة معسكر وأعلنها عاصمة للدولة الجزائرية الجديدة إلى غاية نهاية عام **1835**م، تاريخ حرقها من طرف الفرنسيين. وبعد ذلك، توجهت أنظار الأمير إلى قاعدة تاقدامت في عمق الهضاب العليا الغربية غربي مدينة تاهرت التاريخية، واتخذها عاصمة جديدة للدولة (**1836-1841**م) وانتهى دور هذه العاصمة البديلة هي الأخرى باستيلاء الفرنسيين عليها في **26/05/1841**م.[4]

وأمام هذه التطورات المُثبطة، رفع الأمير التحدي بإقرار تأسيس العاصمة المتنقلة "الزمالة" التي تسمح له بالتنقل والترحال من موقع حربي إلى آخر، حسب الضرورة الحالّة والحاجة المُقدرة، وتنفيذ مواجهات عسكرية من موقع القوة الذي يختاره هو ويحدده. وكانت تتمثل مكوناتها في مجموعة من الخِيم مرتبة بشكل دائري محكم للتكتل القبلي الوطني الذي تبنى خيار المقاومة وشدّ عضدها، ومحددة بالاتجاهات الأربع، تجتمع فيها العائلات مكتملة، والطواقم المدنية والعسكرية برئاسة قائد يرعى تنظيمها، وقد بلغ تعدادها أكثر من ثلاثين ألف نسمة.

بناء على هذه المستجدات الحربية والاستراتيجية الجديدة، وقع اختيار الأمير على منطقة عين طاقين في الجنوب الشرقي لمدينة تيارت لتنصيب العاصمة "الزمالة" (**1841-1843**م). ويعتبر هذا المركز الجديد نقطة استراتيجية تُشرِف على ممرات تنقل القبائل، ومنطقة سهبية بمحاذاة الواد الطويل والمراعي، وأسفل السفوح الجنوبية لجبال بوغار، وغير بعيد عن حصونه وخلافته في المدية برئاسة محمد بن علال الذي كان يزوده في بريد عاجل "مكاتب" بكل المستجدات والتحركات المشبوهة في ناحيته.

وعقب غدر الطابور العسكري بقيادة الدوق دومال ابن الملك الفرنسي لويس فيليب بهذه العاصمة في **16/05/1843**م، والاستيلاء على جزء منها في تطور مفاجئ غير متوقع، تحوّل الأمير إلى أقصى الحدود الغربية، وجمع معسكراته في دائرة جديدة بديلة يتمتع فيها نسبيا بحرية الحركة والتنظيم بعيدا عن أعين خصومه. وحطت العاصمة المتنقلة رحالها في الشط الغربي شمال شرق وجدة ببني زناسن، وشرع الأمير في شن هجومات خاطفة أرهق بها أعداءه من الفرنسيين والقبائل الموالية لهم، وألحق بهم عدة هزائم موجعة متتالية.

- الهزائم الحربية لفرنسا ومرارة الانكسار: جيش الأمير عبد القادر انتشى بالنصر

لقد حقق الأمير عبد القادر انتصارات عديدة في مسار مقاومته العسكرية مع الفرنسيين وأعوانهم على أرض الميدان، تمثل بعضها في نتائج مباشرة للنصر عقب المواجهات، وتجسد البعض الآخر في انتصار منتظر بالآثار المترتبة سياسيا واستراتيجيا[5]. وشارك الأمير لأول مرة في الحرب رفقة والده في معركة خنق النطاح، وجرت وقائعها الأساسية الكبرى قرب وهران في شهري ماي وجوان **1832**م في سلسلة من المعارك. حضر الأمير معركتها الأولى إلى جانب والده وأظهر فيها حماسا وبراعة في القتال، الأمر الذي جعل والده الشيخ محي الدين يُقدِم على تسليمه راية معركتها الثانية التي حقق فيها انتصارا باهرا، فتقهقر على إثره الفرنسيون إلى الوراء ومُنِيُوا بهزيمة نكراء وخسائر مادية وبشرية. قال الأمير:

ألم تر في خنق النطاح نطاحنا ❊❊❊ غداة التقينا، كم شجاع لهم هوى

ومن أشهر المعارك الضارية التي خاضها الأمير، وانتصر فيها بشهادة الفرنسيين واعترافهم في تقاريرهم ومذكراتهم، معركة المقطع بتاريخ **28/06/1835**م. ويعود الفضل في ذلك إلى خطة عسكرية محكمة استباقية نفذها الجيش الجزائري في حوض مغلق من المستنقعات والأوحال بين

مدينتي سيق والمحمدية. وحدثت هذه المعركة في مضيق الهبرة الذي احتلته قوات الأمير وانتظرت وصول فيالق جيش تريزل إليه، والقادم من سيرات.[6]

ثم تحرّكت كتائب الأمير المُرابِضة في جهات مختلفة، والتفت حول الجيش الفرنسي وطوّقته، وباغته من الخلف، فانسحب مُتضعضِعا منهزما إلى آرزيو يعدّ ضحاياه وخسائره: خمسمائة قتيل، ومئات الجرحى، وعتاد حربي معتبر (مدافع وعربات). لم ترض باريس بهذه الهزيمة المُدوية، فأقدمت على إقالات وتعيينات جديدة في صفوف القادة الفرنسيين، حيث استبدل الحاكم العام بالجزائر درويت إيرلون (Jean - Baptiste Drouet d'Erlon) بالجنرال كلوزال (Clauzel)، وقائد وهران (Camille Alphonse Trézel) تريزال بالجنرال دارلانج (Joseph-Marie-Gaston d'Arlanges) في شهر جويلية **1835**م.

وتلقى الجيش الفرنسي بعد عشر سنوات كاملة وضربات موجعة كثيرة، هزيمة أخرى مُدوية خلّدتها المصادر الفرنسية نفسها، وكان ذلك في معركة سيدي إبراهيم بتاريخ **23-26** سبتمبر **1845**م. ونشبت هذه المعركة قرب ضريح سيدي إبراهيم بالمقاطعة الإدارية المسماة حاليا "السواحلية" بالغزوات شمالي تلمسان. وتمكن الأمير من القضاء على الحامية، وعلى رئيسها العقيد (François Joseph Lucien de Montagnac) فرنسوا مونتنياك ورفاقه من ضباط وجنود بلغ عددهم حوالي مائتين وخمسين شخصا (**250**) حسب الإحصائيات الفرنسية، كما وقع في الأسر العشرات منهم، ولم ينج من المتحصنين بضريح سيدي إبراهيم بعد خروجهم منه، والبالغ عددهم حينئذ اثنين وثمانين (**82**) جنديا سوى إحدى عشر شخصا (**11**).[7]

وبعد يومين فقط من هذا الانتصار الباهر، اعترض الأمير رفقة خليفته محمد البوحميدي كتيبة عسكرية فرنسية بقيادة الضابط مارين (Marin)، فاستولى عليها بسهولة بسيدي موسى. وكانت هذه المجموعة متوجهة إلى قاعدة عين تموشنت لتدعيمها بالجنود والعتاد والذخيرة، فاستسلمت له دون مقاومة، وظفر بها منتشيا بالنصر المؤزر، وغنم محتويات قافلتها.

تحوّل الأمير من مقاطعة تلمسان نحو الونشريس الغربي في حركة سريعة، وفاجأ الفرنسيين بقيادة الجنرال يوسف بمعركة بتاريخ: **1845/12/23**م في خنق تامدة شمالي غربي تيارت، بجبل بوشطوط بعد مرور ما يقارب السنتين على نقل العاصمة إلى الحدود الغربية. وذلك في إطار سلسلة من المعارك الخاطفة التي استهدف فيها عدوه لإرباكه وتشتيت قواته. شارك في هذه المواجهة القائد الشريف بومعزة، فانتعش الاستقطاب السياسي بتثبيت حضور الأمير وسلطته، وتعززت أكثر روح المقاومة الوطنية والثقة بالنفس لدى الجزائريين، ونشرت الصحافة الفرنسية أخبار المعركة في اليوم الموالي، وعددت الخسائر من قتلى وجرحى فرنسيين.

- تحديات الحرب والحاجة إلى السلاح: نحو بناء مصانع حربية محلية وإنتاج الذخيرة

لم يتمكن الأمير عبد القادر من عقد صفقات توريد الأسلحة والمعدات الحربية من الخارج بكفاية وعلى الوجه المطلوب. وذلك، بسبب اضطراب العلاقات الدولية في الحوض الغربي للمتوسط، وحدة التنافس الأوربي وتداخل المصالح، وبروز فرنسا كقوة مُهيمِنة في المنطقة. لقد تحركت الدبلوماسية السياسية للدولة الجزائرية وأجرت عدة اتصالات رسمية وودية خاصة من طرف وزير الخارجية ميلود بن عراش عام **1838**م. وحاول رؤساء الوفود والبعثات من وزراء وقناصل وقائمين بالأعمال في البلدان العربية والإسلامية والدول الأوربية تأمين حاجيات السلاح، وجلب المختصين في صناعته[8].

كما امتدت المفاوضات كذلك إلى الوسطاء والوكلاء الأوربيين والأمريكان بطنجة ومدريد وجبل طارق، وخاصة مع دول ايطاليا واسبانيا وانكلترا وأمريكا. وعرض الأمير في مراسلاته الدولية على الانكليز إمكانية الاستثمار في بعض الموانئ مثل تنس، بشرط تبادل المصالح وتوفير السلاح والذخيرة الحربية للجيش الجزائري. واغتنم الأمير ظروف معاهدتي ديميشال (Desmichels) **1834**م والتافنة مع فرنسا **1837**م لشراء السلاح من مخازن فرنسا ذاتها بوهران، كما كان يوفر أيضا كميات معتبرة منه بما

يغنِمه من الفرنسيين في مناسبات مختلفة مثلما حدث ذلك عند جلاء فرنسا عن تلمسان بموجب معاهدة التافنة **1837**م، أو على إثر اشتباك يوم **07/03/1846**م وتوجيه الغنائم التي نالتها السرايا عبر قافلة مخصصة إلى أولاد نايل.

تضاعف الطلب على السلاح والتسليح مع تزايد عدد المتطوعين والمُجندين في صفوف المقاومة، فقرر الجيش الجزائري منذ وقت مبكر الاعتماد على الصناعة المحلية ذات شارات ورموز وعلامات جزائرية، وتطوير ورشاتها ومصانعها على ضوء التقنيات المتطورة. وهذا لأن السلاح الأبيض والسيوف المعدنية والخناجر تراجعت صناعتها، وفعّاليتها في الحروب، وحلت محلها صناعة الأسلحة النارية المؤثرة.

استفاد الأمير تحت إشراف خليفته أحمد الطيب بن سالم الدبيسي بمقاطعة زواوة من الذخيرة كالخناجر والسيوف؛ والتي كانت تُنتجها ورشات التصنيع الحر بمنطقة أزفون وغيرها من القرى مثل بني فراوسن وبني يني. أما الأسلحة النارية، فاختصت بصناعتها قبيلة بني عباس جنوب بجاية منذ الفترة العثمانية. وكان الأمير قد شرع سنة **1834**م بعد عامين من استرجاع زمام سلطة الدولة الجزائرية في بناء مصنع حربي بمدينة معسكر، لإنتاج الذخيرة الحربية والأسلحة النارية وصيانتها مثل الخراطيش والملح والبارود وهياكل البنادق. وظلت ورشات الإنجاز تشتغل بحيوية، إلى غاية اقتحام الفرنسيين للمدينة في **06/12/1835**م، وإشعال النيران فيها وتخريبها من طرف الحاكم العام الماريشال كلوزال. وبعد عودة مدينة معسكر إلى سلطة الأمير بموجب معاهدة التافنة **31/05/1837**م، عاد النشاط إلى المصنع، وكان يباع بعض إنتاجه في سوق المدينة، ويُعرض يوميا كما هو الحال بالنسبة لغبرة البارود. وكان يجتمع بالمدينة بعض المختصين في شأن المدفعية، ويتباحثون في مسألة جلب قطع غيار الآلات التي يحتاجونها في العمل من تلمسان إلى تاقدمت.

ولّما استعاد الأمير عبد القادر نفوذه على مدينة تلمسان بموجب معاهدة التافنة **1837**م، ولّى عليها خليفته محمد البوحميدي الولهاصي (ت.

1847م)، وشيّد مصنعا حربيا بقلعة المشور جنوب المدينة أسفل هضبة لالّة ستي. وتم تزويده بمستلزمات التصنيع من فرن لصهر الحديد، ومنفاخ إيقاد النار والاحتفاظ باللهيب، والقوالب التي تُفرغ فيه المعادن لتشكيلها وصياغتها، وعجلات الدفع والتحريك. وكان مصنع تلمسان يستخدم الفحم النباتي والفحم الحجري، ويستعين بالبغال في تحريك بعض الآلات. وتمكن عماله من صنع الخرطوش وعدة قطع من المدافع الحديدية والبرونزية، ومقذوفاتها النحاسية و"الكور" على شاكلة وأحجام المدافع الأوربية، وإنتاج مادة البارود ومطاحنه خاصة لدى القبائل المجاورة.

توجه جيش الأمير نهاية عام **1835**م نحو الشرق بعد سقوط عاصمته بمعسكر، واختار منطقة استراتيجية؛ هي تاقدامت غرب تاهرت لنقل مصنعه الحربي وتطويره بها. فبنى في الجهة الشرقية منها مخازن المُعِدّات الحربية، والمواد الأولية الضرورية للصناعة الحربية مثل الحديد والرصاص والنحاس والكبريت والملح. ونصّب اليد العاملة الخبيرة بالتقنيات الأوربية الحديثة التي استقدمت بالمفاوضات الثنائية، وتم توظيفها بموجب عقود[9].

صار هذا المصنع يُنتج البارود والفشاك (الأنبوب الذي يحتوي على البارود أو الرصاص)، وماسورة البنادق (الجعبة: الأنبوب الفولاذي) وبشطولات "مكحلة" مزخرفة ومزينة بخطوط، كانت تُسلم لفرسان الخيول فقط نظرا لإنتاج عدد محدود منها. وكان للأسلحة البيضاء هي الأخرى نصيب من الإنتاج مثل السيف والخنجر. وتوقف هذا المصنع عن الإنتاج الحربي بعد دخول الفرنسيين بقيادة الجنرال بيجو للعاصمة تاقدامت في **25/05/1841**م وإحراقهم لها. لقد انفتح الأمير على الأجانب في تشييد مصانعه الحربية وتشغيلها، واستعان بخبراء المعادن لتسهيل تحضير المادة الأولية للصناعة الحربية مثل ملح البارود والكبريت، واشتهر مصنع مدينة مليانة كغيره بمصهرة الحديد والرصاص والنحاس، وصناعة البارود والبنادق وسبك المدافع. وكانت تجلب إليه المعادن في شكلها الخام من مناجم المناطق المجاورة مثل زكار وجنوب تازا.

حارب الأمير عبد القادر عدوّه الفرنسي بتفوق، وأثبت خلال مراحل الحرب بأنه كانت تسكنه بامتياز الروح الإنسانية في أسمى معانيها، ونبل مبادئها وقيمها. فهو الذي كان يتأفف من نصب الكمائن إلا ما اضطرته إليه ظروف الحرب أحيانا، وكان يوصي خيرا بالأسرى، وعدم الإساءة إليهم، وكان يُطلق سراحهم حين يعجز عن تأمين حياتهم، ويأمر بالعفو عن الصبيان والنساء والشيوخ، وأهل الحرف والصنائع، ورجال الدين من القساوسة والرهبان. استنكر ما كان شائعا في الحروب من النهب، وقطع الرؤوس والتمثيل بها، فأبطل العمل بها، وقال ذات مرة: "لم أولد لأكون محاربا"، والحرب في تقديره هي شر مفروض تعادي كرامة الإنسان.

وعندما وجد الأمير نفسه عام **1847**م محاصرا من كل جهة، تجرّع مرارة الوضع، وقرر تعليق حربه بشروط مُسبقة، تم الاتفاق حولها في مفاوضات ثنائية سيادية باسم شرف الدولة الفرنسية، غير أن البحرية الفرنسية اعتقلته، وغدرت به متوجهة إلى التراب الفرنسي، وتنكرت لتعهد الحماية الدبلوماسية "للمُستأمنين" بموجب نص الاتفاقية الدولية المُلزمة؛ التي أخفى الجيش الفرنسي وثائقها الرسمية المُوقعة، وروّج بديلا عنها في برقياته لِفرية "الاستسلام" بهتانا[10].

- قائمة المصادر والمراجع

(أ)- باللغة العربية

- أرويلة قدور بن محمد، وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب، تحقيق محمد بن عبد الكريم، دار الوعي، الرويبة، **2017**.

- الأمير عبد القادر الجزائري، مذكرات، تحقيق محمد الصغير بناني وآخرون، شركة دار الأمة للنشر والتوزيع، الجزائر، **2010**.

- الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق ممدوح حقي، دار النهضة العربية للتأليف والترجمة والنشر، لبنان، **1964**.

- بورويبة رشيد، "القلاع والحصون والمؤسسات العسكرية التي أنشأها الأمير"، مجلة الثقافة، ع**75**، ماي- جوان **1983**، ص**87-101**.

- تشرشل شارلز هنري، حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتعليق أبو القاسم سعد الله، دار الرائد، الجزائر، **1982**.

- حرب أديب، التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري، **1808-1847**، دار الرائد للكتاب، الجزائر، **2004**.

- سعيدوني ناصر الدين، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، الكويت، **2000**.

- العربي إسماعيل، الأمير عبد القادر الجزائري، مؤسس دولة وقائد جيش، وزارة الثقافة، الطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، **2007**.

- قداش محفوظ، "جيش الأمير عبد القادر، تنظيمه وأهميته"، ترجمة حسن بن مهيدي، مجلة الثقافة، ع**72**، **1983**، ص**51-74**.

(ب)- باللغة الأجنبية

- BAUDENS Lucien, Relation historique de l'expédition de Tagdempt, Paris, Germer-Baillière, **1841**.

- BELLEMARE Alex, Abd-el-Kader, sa vie politique et militaire, librairie de L. Hachette et CIE, Paris, **1863**.

- BERBRUGGER Adrien, Voyage au camp d'Abd-el-Kader, à Hamzah et aux montagnes de Wannourhah (province de Constantine), en décembre **1837** et janvier **1838** (Extrait de la Revue des Deux-Mondes, n° **15** du **15** août **1838**), Toulon ; **1839**, pp. **5**-**57**.

- KADDACHE Mahfoud, L'Armée d'Abdelkader, quelques repères sur son organisation et son importance, Majallat Ettarikh, numéro spécial, **1983**, pp. **7**-**31**.

- ORLEANS Henri (Duc d'Aumale), Soumission d'Abd-el-Kader, rapport du gouverneur général au ministre de la guerre, les généraux comandants supérieurs **25** décembre **1847**, Impr. de Bintot (Besançon), pp. **1**-**7**.

- PEGUES, Jacques Louis, Souvenirs militaires algériens. Combat de Sidi-Brahim et défense héroïque du marabout, septembre **1845**, Imprimerie BaldachinoMacon-Viguier, Alger, **1887**.

- ROCHES Léon, Dix ans à travers l'Islam, **1834**-**1844**, Perrin et Cle, Libraires-éditeurs, Paris, **1904**.

- YVER Georges, Correspondance du capitaine Daumas, consul à Mascara **1837**-**1839**, Alger: Adolphe Jourdan, Imprimeur-Librairie de l'université; Paris : Paul Geuthner, libraire, **1912**.

- الهوامش:

1- قدور بن محمد أرويلة، **وشاح الكتائب وزينة الجيش المحمدي الغالب**، تحقيق محمد بن عبد الكريم، دار الوعي، الرويبة، **2017**، ص**166**.

2- KADDACHE Mahfoud, **L'Armée d'Abdelkader, quelques repères sur son organisation et son importance**, Majallat Ettarikh, numéro spécial, **1983**, pp.**7-31**.

3- Adrien BERBRUGGER, **Voyage au camp d'Abd-el-Kader, à Hamzah et aux montagnes de Wannourhah (province de Constantine), en décembre 1837 et janvier 1838** (Extrait de la Revue des Deux-Mondes, n° **15** du **15** août **1838**), Toulon; **1839**, p.**43**.

4- الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري، **تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وتاريخ الجزائر**، المطبعة التجارية، الإسكندرية، **1903**، ج**1**، ص**104**، **279**.

5- أقرت واعترفت شخصيات فرنسية كثيرة نافذة وفي عديد المناسبات أن الأمير عبد القادر أظهر تفوقه على خصمه، ينظر:

Léon ROCHES, **Dix ans à travers l'Islam**, **1834-1844**, Perrin et Cle, Libraires-éditeurs, Paris, **1904**, p.**490**.

6- Alex BELLEMARE, **Abd-el-Kader, sa vie politique et militaire**, librairie de L. Hachette et CIE, Paris, **1863**, pp.**113-115**.

7- Jacques Louis PEGUES, **Souvenirs militaires algériens. Combat de Sidi-Brahim et défense héroïque du marabout, septembre 1845**, Imprimerie BaldachinoMacon-Viguier, Alger, **1887**, pp.**9-34**.

8- Georges YVER, **Correspondance du capitaine Daumas consul à Mascara 1837-1839**, Alger : Adolphe Jourdan, Imprimeur - Librairie de l'université; Paris: Paul Geuthner, libraire, **1912**, p.**150**.

9- Lucien Baudens, **relation historique de l'expédition de Tagdempt**, Germer-Baillière, Paris, **1841**, pp. **5-6**.

10- Henri d'Orléans (duc d'Aumale), **Soumission d'Abd-el-Kader**, rapport du Gouverneur général au ministre de la guerre, les généraux comandants supérieurs **25** décembre **1847**, Impr. de Bintot (Besançon), pp. **1-7**.

البيـان الختـامي للملتقى مع التوصيـات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

ختاما لأشغال الملتقى الدولي في ضيافة أمجاد الأمة: (التجليات التاريخية والحضارية والتراثية للأمير عبد القادر الجزائري)، والمنعقد يومي **07** و**08** ديسمبر **2024** بالنادي الوطني للجيش - بني مسوس، تحت الرعاية السامية لرئيس الجمهورية السيد عبد المجيد تبون، تنظيم وزارة المجاهدين وذوي الحقوق بالتنسيق مع وزارة الشؤون الخارجية والجالية الوطنية بالخارج والشؤون الإفريقية، وبمناسبة سبعينية اندلاع الثورة التحريرية المجيدة والذكرى 192 لمبايعة الأمير عبد القادر، وبحضور رفيع المستوى لإطارات الدولة ونخبة الباحثين من داخل الوطن ومن عدة جامعات: الجزائر، قسنطينة، وهران، تلمسان، معسكر، أدرار، الجلفة، وبمشاركة عمدة مدينة القادر بالولايات المتحدة الأمريكية وعدد من الباحثين من خارج الوطن، وبعد عقد سبع جلسات علمية الأشغال بتوصيات نجملها فيما يلي:

1- ترسيم الملتقى بصفة مؤتمر دولي ينعقد دوريا كل سنتين..

2- الدعوة إلى ضرورة إدراج تراث دولة الأمير عبد القادر الموزع على مستوى المتاحف والمواقع داخل الوطن وخارجه ضمن مشاريع البحث الوطنية (PNR) بهدف جرده ودراسته.

3 - دعوة مراكز البحث وأقسام علم الآثار إلى فتح حفريات وأعمال تنقيب في المدن التاريخية التي شيدها الأمير عبد القادر على غرار حفريات قلعة الأمير عبد القادر بتازة.

4- العمل على تحضير ملف تصنيف تراث الأمير عبد القادر المادي وغير المادي كتراث ثقافي تاريخي ضمن قائمة التراث العالمي للإنسانية.

5- إنجاز موسوعة ذات مرجعية عالمية حول شخصية وحياة الأمير عبد القادر بكل تجلياتها ومشتملاتها الحضارية والتراثية والتاريخية.

6- إبرام اتفاقية تعاون علمي وبحثي بين وزارة المجاهدين وذوي الحقوق من خلال المركز الوطني للدراسات والبحث في المقاومة الشعبية والحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر سنة 1954 والمتحف الوطني للمجاهد من جهة ومؤسسات ثقافية تحت وصاية مدينة القادر من جهة أخرى.

7- ترجمة المؤلفات المصنفة حول الأمير عبد القادر من وإلى العربية.

8- إنجاز منصة رقمية خاصة بالأمير عبد القادر بكل اللغات.

9- استحداث جائزة باسم الأمير عبد القادر الجزائري.

10- نشر أعمال الملتقى الدولي في كتاب جماعي، وتوزيعه على أوسع نطاق.

وفي الختام أجمع المشاركون على توجيه أسمى عبارات الشكر والامتنان لرئيس الجمهورية السيد عبد المجيد تبون على رعايته السامية لأشغال هذا الملتقى الدولي، الهادف إلى تعميق العمل على صون الذاكرة الوطنية، وترقية الخطاب التاريخي الوطني.

كما ثمن المشاركون الجهود الحثيثة لوزير المجاهدين وذوي الحقوق السيد العيد ربيقة لمرافقته الدائمة للملتقيات والتظاهرات التاريخية الوطنية.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كلمة وزير المجـاهدين وذوي الحقوق

السيد: العيد ربيقة

والإعلان عن اختتـام أعمـال الملتقى الوطني

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على أشرف المرسلين
سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

الشكر كل الشكر، والفضل كل الفضل، للسيد رئيس الجمهورية الذي أفضى على هذا الملتقى المبارك، كريم عنايته.

إننا ونحن نختتم هذا اللقاء العلمي والمعرفي الذي تغمره نفحات روحية جليلة، في ضيافة أمجاد الأمة، وحضرة سيد الرجال الأمير عبد القادر الجزائري، الذي نقتبس منه كلمته الخالدة، في معناها ومبناها ودلالاتها، ووقرها الطيب الأثـر، وهو الذي قال: "رجالٌ للرجال همُ الرجال "، فرجال المقاومة الشعبية تأصيل لرجال الثورة التحريرية المجيدة، والثورة الهمزة النصر إلى جيل الاستقلال، وكلها بوصلتنا لعهد السبعينية للوفاء والتجديد، في ضيافة الأمير عبد القادر الجزائري الإنسان، القائد الاستراتيجي، المقاوم الشريف، المؤسس لثورة الأوطان، دبلوماسي التعايش، جامع شمل الزمان والمكان، الشاعر والفارس والفنان، أيقونة القيم السامية، والمبادئ الإنسانية.

- ضيوفنا الكرام

إن المقاومة الجزائرية المجيدة في تصنيفها العالمي في مصاف الثورات الخلاقة العادلة والمنصفة، القيمية والمسالمة، العريقة والأصيلة، لم يكن لتكون لولا عمادها المعضد على الإنسانية بكل ما تشتمل عليه من احترام وقداسة، ووجودية بحق الإنسان في العيش الأمن في وطنه المحرر والمحترم بين الأوطان، بالعدل والسلام، وثقافة التعايش والاختلاف وأصالة العرفان والاعتراف، فالصيت لقيمية مقاومتنا الوطنية، ونبل مسعاها، جعلها تنال محبة وصداقة كل الأديان والأعراق واللغات والأزمنة، آمنوا بأن الإنسانية واحدة تجسدت في عنوان شرفه ملايين من الشهداء، كتبوا بدمائهم الطاهرة التي لا تزال تطيب أرض هذا الثرى، إلياذة الحرية، وعقيدة المبادئ، وشرف الأوطان المحررة، وتنبني هذه التركة الطيبة في مقاومتنا المجيدة بالتنشئة الأخلاقية على القيم المتوارثة أب عن جد.

فالعالم اليوم يجعل من رجل الإنسانية الأمير عبد القادر رمز سمى إلى رتبة الأيقونة إذ تحتفي به الدول والأمصار بتسمية شوارع مدنها وساحاتها العمومية وأساطيلها البحرية، عرفان به كمدرسة لثقافة التعايش المشترك، واحترام الاختلاف، وفلسفة الاعتراف، فنال إعجاب العالم بهالة أساسها اليقين والمعاملة والسلام.

لم يكن الأمير عبد القادر إلا ممثلا لجهاد شعب ضد قوة استلاب ممنهج من الاستيطان، لقد وضع الأمير عبد القادر أسس دولته الوطنية الأصيلة، لها نظام سياسي وسوسولوجي وعسكري، واستحدث نظام دبلوماسي، فكان من دمشق ناشرا للمحبة والسلام، وقد قال في أثره: "إنني لم أصنع الأحداث بل هي التي صنعتني". فالإنسان مثل المرآة لا تعكس الصورة الحقيقة إلا إذا كانت صافة وواضحة، ومن صفاء ووضوح سريرة الرجل، وعظم مآثره وموروثه، وبجودة الخير، وأصالة السلاح والسيف، وجمالية اللباس والتراث، وجميل لسان من ينظم الشعر أصبح ملهما في كل مكان وزمان.

إننا اليوم في رحاب الأمير عبد القادر ننتظم باهتمام رصين ونهتم بدراسة هوية شخصيته، وخطابه البلاغي، والإشادة به مفكرا، وفيلسوفا، ومتصوفا، بين ثنايا شجاعة القائد، وهيبة المنفي، لأن القارئ لأشعاره الجزيلة، الجميلة، والمليئة بالأحاسيس النظيفة، ليندهش من رأيته العميقة للحياة واحترام الإنسان.

إننا في ختام هذا الملتقى الذي يضفي على شخصية الأمير عبد القادر بن محي الدين بهاء معرفي للبحث في الأماكن المظلمة، لينير وجودها، والذي عرفه الرجل بين القيادة في القيمة والحكامة الإنسانية، فرجل مثله آثر الوطن على لقب السلطان، ومعيشة الكاتب ورهافة الإحساس، انتصارا للعقيدة الإنسانية الكريمة، وانتصارا للجزائر وحدها، أبناء هذا الوطن الجليل وأصدقاء قيمه الإنسانية.

الشكر لضيوف الجزائر ومساهمتهم الكريمة في فعاليات هذا الملتقى الدولي، والشكر موصول أيضا للأساتذة الأفاضل، والخبراء الأكارم، نظير

مداخلاتهم ومقارباتهم العلمية وشهاداتهم التاريخية التي قدموها طيلة جلسات هذا الملتقى.

كما نثمن التوصيات التي خرج بها المجتمعون لنعزز من خلال تجسيدها ذاكرة الرموز والأمجاد في رحاب الجزائر الأمة المضيافة. ونسأل الله أن يديم نعمه ويبارك ثرواته ويحفظ شرفائه.

وإني أعلن عن اختتام فعاليات هذا الملتقى الدولي على بركة الله، مجددا الترحاب العميق في ضيافة الجزائر المحروسة.

المجد والخلود لشهدائنا الأبرار

تحيا القيم الإنسانية والمبادئ السامية

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

*** ألبوم الصور ***

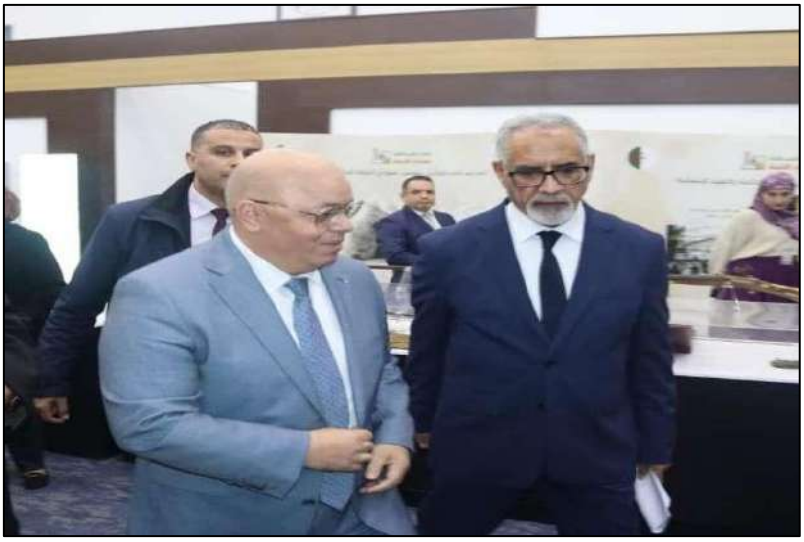

الملتقى الدولي في ضيافة أمجاد الأمة:
التجليات التاريخية والحضارية والتراثية للأمير عبد القادر الجزائري

نظم الملتقى الدولي
في ضيافة
أمجاد الأمة
التجليات التاريخية والحضارية والتراثية
للأمير عبد القادر الجزائري
2024/12/08

نظم الملتقى الدولي
في ضيافة
أمجاد الأمة
التجليات التاريخية والحضارية والتراثية
للأمير عبد القادر الجزائري
2024/12/08

الملتقى الدولي في ضيافة أمجاد الأمة:
التجليات التاريخية والحضارية والتراثية للأمير عبد القادر الجزائري

في ضيافة
امجاد الامة
التجليات التاريخية والحضارية والتراثية
للأمير عبد القادر الجزائري

وزارة المجاهدين و ذوي الحقوق
في ضيافة
التجليات التاريخية والحضارية والتراثية

2024 - 1954

وزارة المجاهدين و ذوي الحقوق
في ضيافة
التجليات التاريخية والحضارية والتراثية

2024 - 195

وزارة المجاهدين و ذوي الحقوق

*** الداخلات العلمية باللغة الأجنبية ***

combat intérieur et civilisationnel advint. L'Émir, fidèle à ses principes, avec l'art diplomatique qui était le sien, déclina toutes les propositions. Toutes les tentatives de récupération de sa notoriété échouèrent.

Â Damas en 1860, lors d'émeutes dans le cadre d'un conflit interconfessionnel, l'Émir au prix de sa vie et de ses compagnons, a sauvé quinze mille chrétiens de la mort. Le monde entier lui rendit hommage. Il reçut des distinctions. Il était attaché à ce qui pouvait concilier l'Orient et l'Occident. Il échappe à toute catégorisation ou tentative d'instrumentalisation.

L'Émir explicite sa vision : «Le bien que nous avons fait aux chrétiens n'est autre que l'application de la Loi de l'Islâm et le respect des droits humains». En même temps, il savait que le Coran et la pensée universelle recommandent la vigilance, afin de ne pas être otage de l'autre. Dialoguer, mettre l'accent sur l'amitié et le rapprochement, ce n'est pas la compromission et la dilution, mais la recherche du compromis raisonnable pour le bien commun. L'Émir rappelle qu'il faut s'assurer que la question d'un ordre mondial et des droits humains ne soit pas imposée à partir des postulats d'une seule culture, mais à partir de toutes les cultures en présence. Son combat pour le vivre ensemble juste est d'actualité.

Le peuple Algérien et les forces vives à travers le monde reconnaissent en l'Émir leur modèle universel, parce qu'il a été à la fois : le chef héroïque de la résistance anticoloniale, le fondateur de l'État moderne algérien, le précurseur du droit humanitaire moderne et un savant humaniste spirituel.

Être digne de l'héritage de l'Émir, c'est œuvrer à l'État national stratège, à la légitimité populaire, à l'éducation éthique, au lien entre unité et diversité et authenticité et progrès, afin de bâtir le vivre ensemble mondial. Sans nul doute que son souffle habite les pensées de tous les justes.

puissante armée du XIXe siècle. Les forces occupantes s'engagent dans une politique barbare de colonisation généralisée. En 1843 elles s'emparent, en l'absence de l'Émir, de la Smala, capitale mobile, reflet du génie du chef de la résistance, et détruit sa bibliothèque, plus de cinq mille livres. Aux crimes de guerre s'ajoute un génocide culturel. L'Émir sonne l'alerte. Dans une de ses lettres, il écrit : «J'ai combattu pour ma religion et mon pays. J'ai rempli mon devoir… Lorsque Dieu m'enjoignit de me lever, je me suis levé. J'ai fait parler la poudre jusqu'à l'extrême limite de mes possibilités».

Le 21 décembre 1847, l'Émir réunit son conseil de guerre pour la dernière fois : «Nous avons combattu quinze années, pour sauver notre peuple de la domination que puis-je faire encore alors que la cause est pour le moment perdue…».

Il a offert à son peuple et au monde entier un modèle d'héroïsme et d'humanisme qui marque la culture de la dignité pour toujours. En visionnaire il savait qu'un jour l'Algérie retrouvera sa souveraineté. Il ne peut y avoir de paix sans justice.

Il avait confiance aux futures générations de son pays. Ne voulant pas abandonner son peuple, il l'exprimera : «je ne pouvais me résoudre à descendre de mon cheval et dire un éternel adieu à ma patrie. J'avais juré de défendre mon pays et ma religion jusqu'à ce qu'aucune force humaine n'y puisse plus suffire» il précise : «je n'ignorais pas quelle serait l'issue plus ou moins tardive de la lutte… la conscience apaisée, je sais que le temps à l'échelle de l'histoire d'un peuple ne peut être que celui du rétablissement de la justice» Confiant : «Jamais ce peuple ne se soumettra. Cette terre n'acceptera pas le joug de l'étranger». Il écrit «tu as atteint ton but, Abdelkader, sois tranquille, ta nation revivra et le rameau de la guerre libératrice ressuscitera».

Dialogue des civilisations et mondialisation

Une nouvelle étape de sa vie s'enclenche. Il sera un artisan du dialogue des civilisation pour mettre fin à la loi de la jungle. Il est le premier qui perçoit la venue de la mondialisation avec ses opportunités et ses risques. Après la lutte armée, le temps du

(وَلَوْ شَاءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ)

Le vivre ensemble un don et une épreuve. Pour cela, il enseignait que l’interconnaissance taaruf est la condition de la coexistence taayuche.

Le résistant et fondateur de l’état moderne

À vingt-trois ans, le 27 Novembre 1832, il est propulsé sur le devant de la scène mondiale, investi en qualité d'Émir, pour mener la résistance nationale. Un destin qu’il a assumé, tout en reconnaissant : «Je n’étais pas né pour faire la guerre. Et pourtant, j’ai porté les armes toute ma vie !» Il refusa le titre de «Roi», ou de «Sultan», préférant celui d’Émir, afin de marquer qu’il n’avait pas d’ambition personnelle.

Pour l’Émir, la résistance, n’a de validité qu’en cas de légitime défense, avec des conditions strictes, derniers recours pour rétablir la paix au nom de la souveraineté nationale et un état de droit. Son génie consistait à s’appuyer sur trois facteurs : l’adhésion des masses, l’exemplarité du chef et des élites et la mobilité des moyens.

Il ne s’agissait pas seulement de se battre, mais en même temps de bâtir un État, de rénover la société sur la base de principes civilisationnels. Sa politique humaniste et sa culture de la paix, s’expriment dès 1837 par un texte sur la détention des prisonniers. Il rédigea en 1843 un décret sur les méthodes de l’art de la guerre au sens humanitaire. Le Comité International de la Croix Rouge reconnait son œuvre.

Alors que l’armée coloniale viola tous les principes éthiques et les traités. L’émir répondait : «…je n’ai jamais trahi la parole donnée» Son sens de la guerre juste et son humanisme s’expriment en 1837 par un texte sur le droit des prisonniers. Puis en 1843 par un décret sur l’art de la guerre : «Tout individu qu'il soit malade, blessé ou prisonnier ou incapable de se défendre doit être traité avec humanité et sans la moindre discrimination». Il n’a pas confondu, entre la soldatesque coloniale et la religion chrétienne.

Le combat était inégal entre un chevalier intrépide, fort de sa cause juste et de la fidélité de ses soldats, face à la plus

Le savant vertueux et maitre spirituel

Vous l'avez précisé, le monde entier reconnaît ses hautes vertus et son génie, y compris ses adversaires et ennemis. En tant que précurseur du droit humanitaire et du dialogue des civilisations. Stratège et éveilleur des consciences, il a fait connaître au monde l'Algérie, le vrai visage de l'islam et celui de l'humanité civilisé. Les faits historiques et les multiples documents sur son œuvre et sa vie en témoignent. En premier lieu à partir de ses propres écrits et ceux des témoins. Il a écrit son autobiographique Tuhfat Ezzair

Il publia Dhikra el Akel wa Tenbih el ghafel, Rappel au raisonnable et avis au distrait, écrit durant sa détention où il débat sur des questions essentielles. Dans «Le livre des haltes», El Mawâqif , il traite de l'éducation de l'âme, de ses réalisations spirituelles, sa propre expérience soufie, en prolongement de l'œuvre d'auteurs comme Ibn Arabi et Abu Hamed Al Ghazali. Il était un humaniste arif : «Voilà, écrit-il, des inspirations spirituelles, survenant par pur don, et des secrets cachés, dépassant la limite des intellects humains et des connaissances indirectes, au-delà de toutes les catégories et de savoir livresque».

Penseur pluridisciplinaire, homme de confluences, fidèle à ses racines et ouvert sur le monde, il a eu des échanges de lettres avec des centaines de personnalités et courants de pensée à travers le monde. Il ne négligeait aucun aspect de l'existence. Il visait l'excellence, l'ihsan, réalisant les perfections spirituelles sur les traces du Prophète. Pour renouer avec l'horizon civilisationnel, c'est l'émir qui a initié l'idée de Renaissance, la Nahdha.

Il est le modèle de la plénitude et du juste milieu. Il était pétri de la culture de la dignité, attaché à ce qui permet l'élévation humaine. Sans cesse, il se rattache au Prophète, à l'algérianité et aux hautes valeurs communes de toutes les civilisations. Son humanisme spirituel se voulait universel, celui de la convergence, sans nier les divergences. Il affirmait «Si les musulmans et les chrétiens m'écoutaient je ferai d'eux des frères». Il aimait répéter le verset coranique qui préconise le respect de la pluralité pour le vivre ensemble.

L’émir Abdelkader el-Djazairi
Modèle universel du vivre ensemble

- Dr. Mustapha Cherif

- Ancien ministre et ambassadeur, sociologue et professeur d'université

Ces deux journées scientifiques et émouvantes ont démontré que la personnalité hors norme de l’émir Abdelkader continue à éclairer le monde. Il a fait l’histoire avec hauteur de vue et humanisme, il a exercé ses responsabilités avec un sens de l’éthique inégalé. Lors de la moubayaa il a proclamé «je ne veux pour moi aucun des prestiges auxquels vous pensez».

L’émir Abdelkader el-Djazairi el-Hassani appartient au patrimoine éternel de l’Algérie et de l’humanité. A l’occasion du 70 eme anniversaire de la glorieuse révolution de Novembre, il est plus que légitime de rappeler l’œuvre monumentale de celui qui le premier a semé les graines libératrices. Il est un modèle sur tous les plans. L’émir a traduit dans la vie l’idéal que les prophètes et les sages visaient : l’homme accompli, total, au service du bien commun.

Il a dominé le XIXe siècle de sa stature multidimensionnelle. En ces temps de désordres l’humanité a besoin de ses enseignements. Le meilleur homme, disait-il, est celui qui est le plus utile à sa patrie et à l’humanité. Il est le fruit de la culture de son pays l’Algérie, un des berceaux de l’humanité et carrefour des civilisations, jonché d‘épreuves.

Le monde peut trouver dans la figure hors du commun de l’émir une méthode pour relever les défis de notre temps. Incomparable humaniste, tout à la fois, Maitre spirituel, chef de la résistance, fondateur de l’État algérien moderne, il a mené tous les combats essentiels et assumé le destin avec génie et noblesse.

39) People ask for my thoughts. Well, being a life-long learner, I truly believe that "Emir Abdelkader's legacy can influence education, politics, globalization, and human rights. He will remain an enduring universal beacon of hope for humanity for generations to come."

40) Coming Soon: Abdelkader Global Citizenship Prize in Algeria; **60**-minute Docu-Fiction on Emir Abdelkader; Illustrated Children's Book on Emir Abdelkader.

41) Concrete Action Items: **1**) Further develop Sister City relationship between Elkader and Mascara; **2**) Establish AEP in Algeria to educate, communicate, collaborate; **3**) Expand Abdelkader Global Citizenship Prize into Algeria.

42) Let's continue the conversation. Everyone is invited to become involved whether supporting by sharing their thoughts, skills or donating funds…all are welcome!

43) There is always more to tell. Feel free to reach out to me at Kathy@abdelkaderproject.org or on our website. For latest AEP happenings, please visit our Facebook page. Let's continue the conversation! Thank you!

Business Council. Our keynote presenter was Ambassador Lahktar Brahimi, a UN peacekeeper.

32) AEP is embraced by Muslim and non-Muslim leaders around the world. As ELCA's Kathryn Lohre states, "**In a deeply divided world, the witness of Emir Abdelkader, who was a bridge-builder, is exemplary.** All of us can learn from reflecting on the history of his life, and the ongoing relevance of his legacy**."**

33) What is AEP's purpose? To sow seeds of unity, civility, respect, and cultural understanding through Emir Abdelkader's legacy and others like him!

34) Essay Winner Grace Lau shared, "If we could all look at the world as Abdelkader did, striving to learn, striving to understand, and believing that one day the world will unite and live together with acceptance of our differences, our eyes would be opened to a brighter, more beautiful place. His message of peace needs to be spread."

35) Essay Winner Brandon Jennings shared, "Abdelkader's legacy provides a useful model for how global relationships might be rethought and restructured to better suit us all. **AEP offers students a chance to engage with a narrative of history not often discussed in Western classrooms, yet crucial to develop a comprehension of the variegated ways the "West" intersects with the "East" and vice versa."**

36) Essay Winner Daud Shad wrote, "Reflecting on Emir Abdelkader reminds me that one must always seek opportunities for spiritual growth and service to others."

37) In **2023** AEP partnered with "I Am Your Protector"… where monuments stimulate conversations.

38) As Abdelkader stated: "Politics requires a higher degree of perfection than all other forms of knowledge, because it affects the way people live together…No knowledge is more important than that needed for understanding the elements of community life, and guiding behavior in a just and righteous way."

interfaith centers, seminaries, prisons, libraries, media, and more.

24) AEP has multiple components…from student and educator contests to curricula to workshops…and outreach beyond the classroom.

25) How about Story Telling? I invite you to explore our unique "hands-on" ***Abdelkader Stage Project***. These professionally written factual stories include intelligent humor…so, enjoy each vignette, learn by doing, and share with others!

26) Why Study Emir Abdelkader? "Powerful History" and "Critical Thinking" are vital to our world. Through the historical lens of the conquered, Abdelkader's example challenges stereotypes and counters extremism which can lead to a more harmonious world for all people.

27) These young students were excited to learn about Abdelkader. With "show and tell" presentations, content included math, arts, social studies, music, geography, history, and science.

28) For **10** years, our annual AEP Forums celebrated the legacy and values of Emir Abdelkader as we honored winning essay students and educators. Included in the celebrations were international guests, dignitaries, cultural entertainment, and powerful networking for everyone involved. With adequate funding, we could continue this important tradition!

29) An Algerian delegation participated in our **2015** AEP Forum that included a six-piece Andalusian band, professor, doctor, actor, dignitaries, student winners, educators, and more.

30) Algerian Ambassador Madjid Bouguerra attended several AEP Forums during his six years in the US. Twelve Algerian ambassadors have visited Elkader through the years.

31) To celebrate **10** years, the AEP Forum was held at Wesley Theological Seminary in Washington DC in partnership with the Algerian Embassy and US-Algeria

on cultural understanding, history, and education to foster meaningful connections.

16) One of the best earliest descriptions of the Arabian horse was written by Emir Abdelkader.

17) Two weeks after our return from Algeria in **2008**, Elkader's devastating flood destroyed the lower part of town.

18) One month after our flood, Elkader celebrated "Community Spirit and Algerian Sisters Cities Friendship." This celebration gave people reason to pause as they worked side by side tirelessly. The historic Elkader Opera House was filled for a program where the Algerian ambassador spoke, and volunteers were honored!

19) Elkader and Mascara City have matching solar Peace Poles made by a lamp-maker in Elkader. The message on each is "May Peace Prevail on Earth."

20) In **2008**, John Kiser's biography *Commander of the Faithful* was launched in Elkader. Although I grew up in Elkader, it wasn't until reading *Commander* that I learned the global impact of my hometown's namesake. This was the beginning of our journey together to tell the Abdelkader Story which grew into the Abdelkader Education Project (AEP). *Commander of the Faithful* is perfect for discussion groups! *Commander* is translated into Arabic, and we are now pursuing publication in Algeria.

21) Why AEP in America? Despite America's long and deep interactions with the Middle East, Americans often know very little about Muslims – their faith, their communities, their dreams, their fears. The emir's legacy is a positive message for today's troubled world.

22) We've been telling the Abdelkader Story since **2008** and continue to build a strong base. We offer opportunities for all and are open to collaborations and partnerships. Please visit our website and view Facebook and Instagram to learn more.

23) The potential for AEP to make a difference is huge…schools, government, military, law enforcement,

As ICRC President Peter Maurer stated, "Abdelkader is the undisputed leader in the codification of modern international humanitarian law."

8) In **1860**, Abdelkader saved thousands of Christians in Damascus. In recognition of his courageous actions, global leaders praised him. Even the French who fought against him, awarded him the "Legion of Honor."

9) The Suez Canal was built because Abdelkader gathered **Arab support** for this **French project**. Having an interest in philosophy, science and technology, Abdelkader was active in constructing the canal and participated in the **1869** opening.

10) Way before computers and social media, a town in America's heartland was named after this Arab Freedom fighter. A lawyer from New York followed Emir Abdelkader's chivalrous exploits against the French. In **1846**, Timothy Davis named a new settlement in NE Iowa along the Turkey River "Elkader" to honor him.

11) Did you know the **1915** Elkader High School graduating class praised Abdelkader for the same attributes we value today? This document is part of the Carter House Museum collection.

12) Also in the Carter House Museum, you will find Algerian items and a large wool rug with a history.

13) At the center of Elkader is an historic Keystone Arch Bridge…a perfect metaphor for "building bridges of understanding" from Missouri to Moscow to Mecca and beyond.

14) In **1984**, the sister city relationship became official between Elkader, Iowa and Abdelkader's hometown of Mascara City in Algeria.

15) My first invitation to Algeria was to speak at the Council of Nation and visit Mascara City. Since **2008**, we've built a credible network. With Algeria's approval, I'd like to bring a small group from the U.S. to visit Algeria with focus

Emir Abdelkader Teacher for the World

- Dr. Kathy Garms

- cofondatrice et directrice exécutive de l'Abdelkader Education Project (AEP)

1) The Abdelkader Education Project (AEP) is truly "A Journey of Discovery connecting continents and cultures across centuries." It's all about relationships with lessons that speak to the complexity of our global society today.

2) AEP endeavors to overcome ignorance with informed dialogue and knowledge from the classroom to the boardroom and beyond. It promotes cultural understanding and global citizenship that transcends culture and faith traditions.

3) Abdelkader was a unifier with a spirit of inclusion. He embodied the best of religion and humanity. His "values-in-action" continue to serve as global icons of courageous religious, military, and ethical leadership.

4) We discuss Abdelkader's life in **4** stages: His early years - In War – In Prison – In Exile. Each time frame lends itself perfectly to active discussions.

5) Abdelkader was a man of civility and compassion who believed in justice, empathy, and forgiveness. *The New York Times* wrote in **1873**, "The nobility of his character won him the admiration of the world…he was one of the few great men of the century."

6) Around age **24**, Abdelkader unified **20** warring tribes in his own land…then, set out to defend it for **17** years against French occupation.

7) Known for his humane treatment of prisoners, Abdelkader was a precursor of the Geneva Convention on Human Rights.

regards contemporains. Cette division du monde symbolique et spirituelle illustre ce paradoxe qui un jour sera levé entre l’infériorité supposée de la femme et sa supériorité affirmée au plan spirituel

Par ces qualités alliées de puissance, de passivité, de réceptivité et de plasticité, la femme, en secret, domine la culture coranique. Alors que son lieu de résidence reste la nuit.

Mais nous avons la chance que l’Emir Abd el-Kader soit aujourd’hui pour nous, femmes et hommes, une lampe sur notre chemin.

"La femme en tant que telle, est la manifestation du degré de la réceptivité (Infi'âl) qui n'est autre que le degré des possibles. Or, ce degré est d'un rang admirable et excellent, car n'était la féminité, c'est à dire n'était le degré de Réceptivité de l'Acte issu du degré de la fonction de divinité … ces noms divins seraient demeurés sans effet et, de ce fait ignorés ».

Halte **127** : « La force inhérente aux femmes est due à leur passivité réactive, qui est écrit-il est le degré de la possibilité, (ces deux femmes), elles étaient deux réceptacles parfaits de l'activité fondamentale de la nécessité car elles possédaient la perfection humaine. Elles réunissaient donc les deux statuts de l'activité et de la passivité. Or le genre féminin en tant que support de production des êtres est plus proche du Producteur principiel…

C'est dit : la femme possède une force qui s'exerce de façon autre que celle des hommes et sa capacité d'accueil, de réceptivité est pour l'émir « d'une dignité immense, un privilège éminent, une valeur considérable »…

Peut-être pensait-il à ce verset **34** de la sourate **4** Nissa (les Femmes) : « les femmes vertueuses sont « gardiennes de ce qui est caché » ou « protègent ce qui doit être protégé ». Fa salihat, qanitatun, hafidhatun lil ghaïbi bimâ hafidha Allah. Je vous laisse méditer ce verset à l'ampleur spirituelle infinie car il s'agit bien de « garder ce qui est de l'ordre du Ghab d'Allâh », le ghayb n'étant pas ici le mari ! mais bien l'Inconnaissable divin. La bonne traduction est celle de Maurice Gloton : « les femmes intègres se recueillent, gardiennes, devant le mystère, par ce qu'Allah garde ». [2]

Cette puissance féminine qui court sous des formes très contrastées tout le long de la révélation coranique et de la vie du Prophète inspire Abdelkader mais aussi les poètes et mystiques de l'islam pour qui le féminin en constitue le cœur battant.

L'invitation continue d'Abd el-Kader à traverser les apparences nous fait voir les femmes comme influençant la culture de l'islam selon des modes radicalement éloignés de nos

[2] Cf. mon ouvrage : Les gardiennes du secret. Les grandes figures de femmes dans l'imaginaire musulman. Albin Michel. 2022. Prix

quand on vous demande de garder un secret, le secret vous démange la langue et vous le divulguez. Ce qu'elles vont faire.

66.3 Lorsque le Prophète confia un secret à l'une de ses épouses et qu'elle l'eut divulgué et que Dieu l'en eut informé, celui-ci en fit connaître une partie et passa sur une partie. Puis, quand il l'en eut informée elle dit : "Qui t'en a informé ?" Il dit : "C'est l'Omniscient, le Parfaitement Connaisseur qui m'en a avisé".

66.4 Si vous vous repentez à Dieu c'est que vos cœurs ont fléchi. **Mais si vous vous soutenez l'une l'autre contre le Prophète, alors ses alliés seront Dieu qui est son maitre, et qu'après cela Gabriel, et les plus vertueux des croyants, et les Anges viendront aussi à son secours ».**

Le verset **34** s'adresse directement aux deux coupables Aïcha et Hafsa. Cette dernière et remarquable énumération … pour venir soutenir le prophète contre les deux femmes va interpeller Abdelkader. Il écrit : "Considère la place accordée à ces deux gentes dames, tu connaitras alors leur puissance et tu sauras quel rang prépondérant elles occupent ! Une telle coalition – Dieu en personne, Gabriel, de pieux croyants et l'ensemble des anges – opposés à deux femmes pour soutenir l'Envoyé de dieu – sur lui la grâce et la paix! "

Ibn Arabî, six siècles avant Abdelkader, s'était aussi étonné : « quelle est cette puissance formidable au point que Dieu s'adresse directement à elles par un discours explicite ».

Abd el-Kader est lui aussi impressionné. En réalité nous dit-il, c'est que la force "inhérente" est due à la "passivité réactive" (infi'âl), qui est la marque d'une perfection humaine qui contient tout à la fois les sens de « puissance », « passivité », « réceptivité » et « plasticité ». Quatre sens au moins à cet attribut ! des sens à première vue contraires mais qui s'allient ici pour produire force, discernement et conférer aux femmes un « degré ontologique » dit son traducteur Abdallah Penot [1].

L'émir explique ce statut de Infi'âl : (halte **249**) :

[1] Emir Abd el-Kader, *Le livre des Haltes*, Dervy, 2008

valeurs de noblesse, de dignité, d'honneur qui feront de lui le Prince que l'on sait. Elle lui a appris le Coran et le secret profond de l'islam. Ibn Arabî, le Sheikh El-Akbar, le maitre spirituel de l'Emir, aurait sans doute qualifié cette femme de « virile » au sens de la rujûlya. Car la virilité écrit-il n'incarne pas les comportements de l'autorité de force patriarcale que nous connaissons habituellement mais les valeurs de la perfection humaine. La virilité n'est ni masculine ni féminine car dit-il « il y a des femmes qui sont des hommes (rujûl) et des hommes qui ne le sont pas ».

Dans Le livre des Haltes, Kitâb el-Mawâqif, ce livre qui ne me quitte pas depuis plus de vingt ans, il écrit une Halte éblouissante. L'Émir Abdelkader procède à une reconnaissance du rôle des femmes qui a rarement aussi affirmé, aussi honoré en ce XIXème siècle. C'est qu'il a dès l'enfance été inspiré par l'exemple du Prophète SSL, et son comportement envers les femmes empreint de respect et de considération.

Les deux mawâqif **127** et **249** sont d'une richesse époustouflante et leur rayonnement dépasse même le statut des femmes et du féminin.

L'Emir va convoquer cette énigme qu'est le féminin en s'inspirant de l'incident célèbre survenu dans la vie domestique du Prophète SSL et ses conséquences qu'il considère comme "prodigieuses, il use du mot de 'adhim). Cet incident est relaté dans la sourate Tahrim versets **4** et **5**. On s'en souvient, Le prophète SSL interdit à ses épouses (identifiées comme Aïcha et Hafsa) de révéler à quiconque un secret.

Cette sourate Tahrim commence par :

66.1 Ô Prophète ! Pourquoi, en recherchant l'agrément de tes femmes, t'interdis-tu ce que Dieu t'a rendu licite ? Et Dieu est Pardonneur, Très Miséricordieux.

66.2 Dieu vous a prescrit certes, de vous libérer de vos serments. Dieu est votre Maître; et c'est Lui l'Omniscient, le Sage.

Ce verset s'origine dans une anecdote domestique, une anecdote dont la morale prend une ampleur inattendue car

Toi, ma sœur étrangère, Le Rocher, **2012**, avec Christine Ray

Rouge Sang Vierge (nouvelles), Editions El Manar-Alain Gorius, **2010**

Eclats d'islam, Chroniques d'un itinéraire spirituel, Albin Michel, **2009**

Filiations dangereuses (roman), Chèvrefeuille Etoilé, **2008**. Prix Alain Fournier

La chair et le rôdeur (roman), Ed. de l'Aube, **2002**

L'enfant des deux mondes (roman), Ed. de l'aube, **1998**, Prix du Festival du premier roman

Intervention : Le féminin honoré

J'ai voulu donner le titre Le féminin honoré et c'est le Dr Mohammed Bashir Bouijira qui m'a suggéré (et je le remercie) de le traduire par El ountha el-mouwachaha

Lors de son exil, de son emprisonnement à Amboise, L'émir est l'objet de « curiosités » de la part de ses interlocuteurs français et chrétiens. Un chef de résistance si cultivé et si plein de noblesse et musulman ! est-ce possible se demande-t-on tout bas. On l'interroge sur l'islam, le Coran et … sur les femmes, cette énigme absolue. Comme lorsqu'il était à Pau, cette question revient souvent, avivée par un mélange de curiosité exotique et d'incompréhension. Abd el-Kader écrit alors un bref petit opuscule sur les femmes où il rappelle les règles qui régissent le statut du féminin en islam, il rappelle de façon assez conventionnelle que "la femme peut voir celui qu'elle désire prendre pour époux", que "Dieu autorise la femme à demander le divorce", que la "répudiation n'est pas propre à l'islam", que la femme a son indépendance financière…etc etc… Quelques fondamentaux mais qui ne semblent pas faire le poids avec les droits – à peine ! - naissants des femmes en France.

Mais il ira plus loin que cette question de l'égalité des droits en révélant la puissance cachée du féminin car l'égalité des droits n'abolit pas la différence que Dieu a voulue. Il va en parler autrement, de façon admirable. L'expérience vécue auprès de sa mère Lallâ Zohra, une femme lettrée, qui lui a transmis les

L’Emir Abdelkader Un féminin honoré

- Ecrivaine Karima BERGER

Abstract : Par deux fois, dans son Livre des Haltes (Kitâb el mawâqif), l’Emir Abd el-Kader consacre sa réflexion aux femmes et à leur dimension secrète. Il révèle, à partir de l’analyse du verset coranique (**66-4**) la valeur intrinsèque que les femmes entretiennent avec la dimension sacrée du Divin.

CV : Karima Berger est née à Ténès et a grandi à Médéa et Alger. Après ses études de droit et de sciences politiques à l’Université d’Alger et un doctorat à Paris, elle entreprend une carrière de DRH parallèlement à l’écriture de romans et d’essais. Sa réflexion est inspirée par la confrontation des langues, des croyances et du face à face entre l’Occident et l’Orient, entre le divin et l’homme, entre les hommes et les femmes, entre la religion et la spiritualité…

Son dernier ouvrage (**2022**) : **Les gardiennes du secret** (Albin Michel) a été honoré du Prix littéraire de la Grande mosquée de Paris. Elle y convoque les personnages de femmes illustres et la présence du féminin dans la civilisation musulmane.

Bibliographie

Abdelkader. L’Arabe des Lumières, Albin Michel, **2025**

Les gardiennes du secret. Les grandes figures de femmes dans l’imaginaire musulman. Albin Michel. **2022**. Prix **2022** de la Grande mosquée de Paris (meilleur essai relatif à la civilisation musulmane).

Hégires, Actes Sud. **2017**

Mektouba (roman), Albin Michel. **2016**

Les Attentives, Un dialogue avec Etty Hillesum, Albin Michel, **2014**, ed de poche **2018**

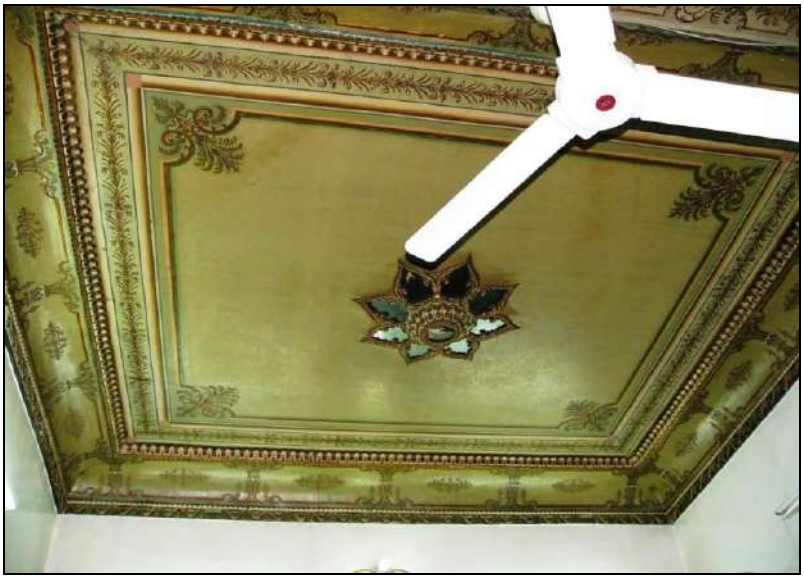

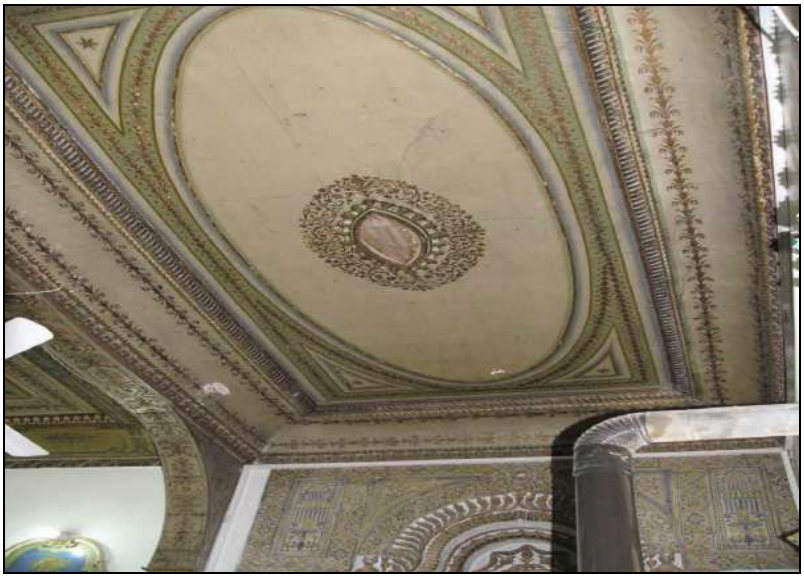

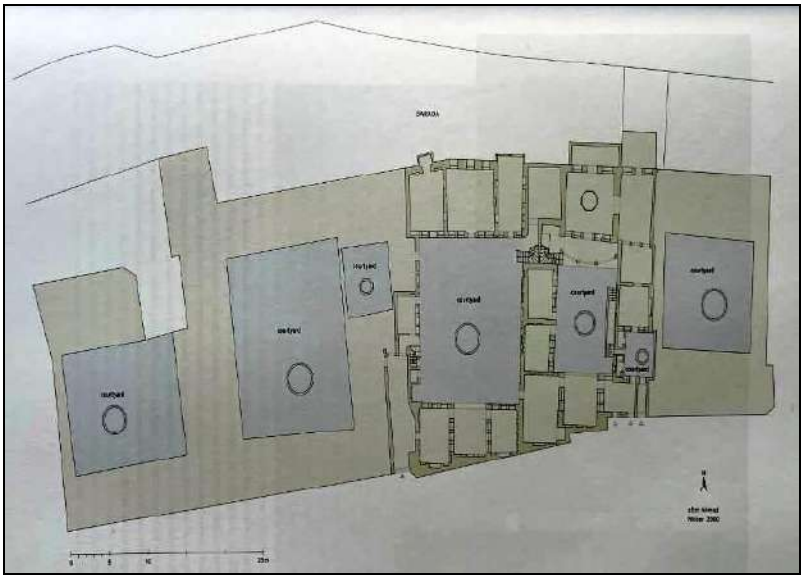

clearly shows the design language from Algeria (Fig. **21**). The column capitals in the entrance area to this *qaʿa* in the inner courtyard also show clear references to the capitals in Mascara and in northern Algeria (Figs. **22**, **23**) as well as the tiles embellishing the corridor in the eastern part of the house (Fig. **24**). With their horseshoe shape, the windows on the north side of the *qaʿa* are unique in Damascus and clearly bear witness to their Algerian origin (Figs. **25**, **26**). In a room on the upper floor of the middle courtyard, the fusion of influences from Syria and Algeria is visible in an additional form: the surrounding ceiling cornice is decorated with the characteristic landscape cartouches. However, these landscape cartouches do not depict the usual Bosphorus views, which are called Stambuli in Damascus, but are undoubtedly landscapes from Algeria, showing places where important events in Abdelkader's life took place (Figs. **27**, **28**).

Further studies of the interiors of these five houses and in particular the examination of the Arabic inscriptions with their many layers of meaning promise further detailed insights into the world of thought and life of Emir Abdelkader and his contemporaries.

The marble panelling with mother-of-pearl and mosaic rosettes placed below the murals can probably also be dated to around **1860**. A closer examination of the architectural surfaces reveals that the horizontal *ablaq* stripes were adapted to the **1860**s/**70**s style as well by painting them over in light grey tones imitating marble (Fig. **11**). Furthermore, there are scroll paintings on the rear walls of the wall niches on the eastern courtyard wall (Fig. **12**). This type of painting - marble imitation and baroque scroll work - can be found in numerous other houses from the **1860**s and reflects the spirit of the time. Interestingly, the arches in the upper part of the niches, which are decorated with bright green, red and blue coloured mortar pastes, have not been painted over (Fig. **13**).

This is one of the many examples in Abdelkader's house that shows how some decorations were left as they were and incorporated into contemporary tastes. The preference for light pastel tones is evident in few other interiors surrounding the same courtyard. These interiors are fitted with canvas ceilings in ivory or light green adorned with delicate gilded floral bands (Fig. **14**, **15**).

The wall decoration incorporates characteristic Damascene design elements such as mortar paste inlays and partially gilded stone reliefs (Fig. **16**). In one room, an older wooden ceiling was retained, but partially painted over with light green, pink and blue paint to reflect the taste of the time (Fig. **17**). In contrast, the most important room in the adjacent court (second from the East), the reception room for guests (*qaʿa*), has been completely refurbished. This room has been designed in a shape, that is unusual in Damascus – squared with a central fountain – and the walls and ceiling are mainly decorated with geometric patterns that show strong references to Algeria (Figs. **18**–**20**). Only the arches above windows and doors and the fountain are designed in a style characteristic of Damascus (Fig. **18**). These stone reliefs with floral design and partial gilding came into fashion in the early **19**th century and can be found in many residences of wealthy families. On the contrary, the shape of the double windows in the courtyard façade with their slender pointed arch

The basic structure of the houses also shows all the typical features of Damascene urban residences.[1] The buildings feature large spaces with a semi-public function that extend over two floors, while smaller living rooms are located on the upper floor (Fig. **2**).

From the outside the houses are plain with unembellished, whitewashed walls facing the street (Fig. **3**).

Nothing hints at the splendour hidden inside these homes. At the rear, the buildings border the river Barada (Fig. **4**). From the second house to the east, there is a bridge over the river that used to lead into a garden.

Inside the houses a splendour unfolds that unites and combines various decorative techniques and materials such as multicoloured stone mosaic, two types of ablaq decorations made of plaster in three colours and tinted mortar pastes, gilded and painted elaborate wooden ceilings and wall panelling, mirrors and mother-of-pearl inlays. The courtyards are replete with stone pavement, a sparkling central fountain and lush greenery (Fig. **5**).

The visitor is welcomed by the scents of bitter orange and lemon trees, jasmine or roses, with flowers often covering entire walls. The study of the houses of Emir Abdelkader revealed that the middle of the five large courtyards had retained its façade decoration with horizontal stone layers, typical of Damascus, in the lower half of the wall, and that the upper wall zone of the courtyard walls and the *iwan* were fitted with additional new decoration in the **1850**/**60**s (Figs. **6**–**8**).

Around **1860** the iwan was embellished with murals depicting the architecture and drapery of pavilions, as well as a ceiling in keeping with the latest style of the time: a canvas ceiling painted in light pastel colours with carved and painted mirror elements (Figs. **9**, **10**).

1- The information on the houses in this text are based on Stefan Weber's survey in the **1990**s. See the meticulous publication: Weber, Stefan: Damascus, Ottoman Modernity and Urban Transformation (**1808**–**1918**), Proceedings of the Danish Institute Damascus, **2** vols, Aarhus University Press, Aarhus, **2009**.

Decors, materials and techniques of the interior decoration of Emir Abdelkader's houses in Damascus

- Dr. Anke Scharrahs

- Dresden University of Fine Arts, Germany

In **1855** Emir Abdelkader moved with a large number of his followers and families to Damascus. He soon became an esteemed and influential member of the society. To accommodate his people Emir Abdelkader purchased five large adjacent houses in the northern part of the Old City.

He had these buildings renovated and amended to fit the needs of his family and companions, but also to create spaces for receiving guests in his house. The architectural and stylistic elements as well as the materials used show a unique fusion of influences from his homeland Algeria as well as from Syria. It provides fascinating insights to understand which parts of the vernacular Damascene architecture were kept or used and which architectural and decorative elements were implemented as new elements to the city's stylistic language.

Because Damascus looks back to a history of **5**,**000** years, the houses inside the city walls were commonly built re-using parts of already existing buildings or foundations. It means that the properties Emir Abdelkader purchased were not empty grounds, instead he bought five existing houses consisting of seven courtyards with the surrounding rooms.

Two of these five houses have a large inner courtyard and a smaller outer courtyard – a structure characteristic of large Damascus residences (Fig. **1**, map).

Dieu m'a ravi à mon "moi"

Dieu m'a ravi à mon "moi" [illusoire] et m'a rapproché de mon "moi" [réel] et la disparition de la terre a entraîné celle du ciel.

Le tout et la partie se sont confondus.

La verticale (tul) et l'horizontale ('ard) se sont anéanties.

L'œuvre surérogatoire a fait retour à l'œuvre obligatoire, et les couleurs sont revenues à la pure blancheur primordiale.

Le voyage a atteint son terme et ce qui est autre que Lui a cessé d'exister.

Toute attribution (idafat), tout aspect (i'tibarat), toute relation (nisab) étant abolis, l'état originel est rétabli.

"Aujourd'hui, J'abaisse vos lignages, et J'élève le Mien!"

Puis me fut dite la parole de Hallaj, avec cette différence qu'il la prononça lui-même alors qu'elle fut prononcée pour moi sans que je l'exprime moi-même.

Cette parole, en connaissent le sens et l'acceptent ceux qui en sont dignes ; en ignorent le sens et la rejettent ceux chez qui l'ignorance l'emporte.

Mawqif 7.

Extraits de Écrits spirituels (Kitab al Mawaqif) de l'Émir Abd el-Kader, présentés et traduits de l'arabe par Michel Chodkiewicz (Paris, Seuil, 1988).

Le lustre de l'église Saint-Denis d'Amboise : En témoignage d'une belle amitié entre l'abbé Rabion et moi-même, ce lustre en éclaire le souvenir.

Abdel-Kader

Situé au centre du chœur, le lustre de cristaux a été offert par l'émir Abd-el-Kader en **1853**.

الموقف السابع

أخذني الحق عنّي، وقرّبني منّي، فزالت السماء بزوال الأرض، وامتزج الكلُّ بالبعض، وانعدم الطول والعرض، وصار النفل إلى الفرض، والانصباغ إلى المحض، وانتهى السير، فانتفى الغير، وصحَّ النسب، بإسقاط الإضافات والاعتبارات والنسب، اليوم أضع أنسابكم، وأرفع نسبي، ثم قيل لي، مثل قولة الحلاج، غير أن الحلاج قالها، وأنا قيلت لي، ولا أقولها، وهذا الكلام يعرفه، ويسلمه أهله، ويجهله وينكره، مَن غلب جهله.

* * *

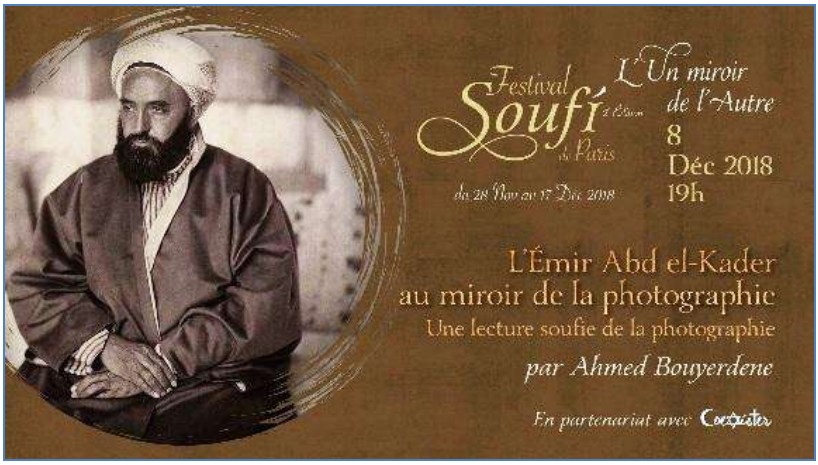

6 avril 2018

Dans le cadre des "Projections de la Maison Soufie"

A la recherche de l'Emir Abdelkader

Un film de Mohamed Latreche

Projection suivie d'un débat avec M. Tayeb Chouiref

Samedi 16 Décembre 2017 à **15**h

Abd el-Kader, l'épopée de la dignité de Jacqueline Bonneau, Épouse de François Bonneau, président du conseil général de la région Centre-Val de Loire

à la Maison Soufie : conférence suivie d'un échange avec le public et d'une dédicace, cette rencontre se fera en présence de Mr J.M. Cazeaux , directeur des Editions de l'Ecluse et de Mr Benchouk Abdelhafid, Directeur de la Maison Soufie

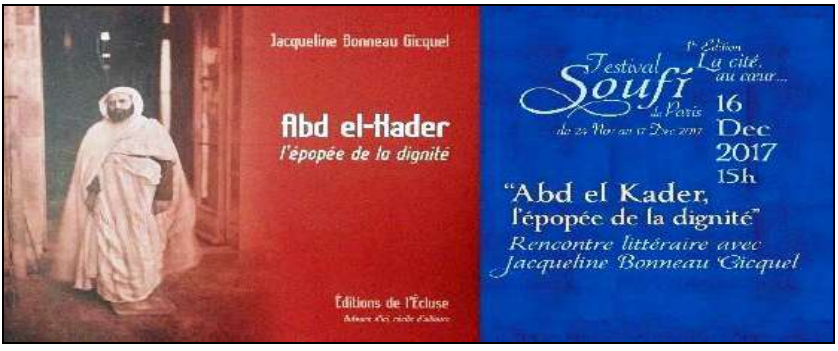

4 juillet 2021

Sur les pas de l'émir, Abdelkader, en visite avec nos amis de Macédoine, du Nord et d'Albanie, à Amboise

https://www.facebook.com/share/v/FaseBhg**58**d**2**SmNW**2**/?mibextid=WC**7**FNe

Sachez que l'homme intelligent doit considérer la parole et non la personne qui l'a dite. Car si cette parole est une vérité, il doit l'accueillir de celui qui l'a dite fût il réputé grave ou frivole. L'or s'extrait du sable, le narcisse de l'oignon, la thériaque des serpents et la rose des épines.

L'Émir Abd El-Kader

14 avril 2018

à Amboise, à l'invitation du diocèse de Tours

Sur les pas de l'émir Abd El-Kader pour celles et ceux que cela intéresse...

Ci-joint le programme de la rencontre de la semaine prochaine à Amboise organisé par le diocèse de Tours avec la présence d'Ahmed Bouyerdene, de Djamel Djazouli , de Jean-Louis Sureau , Martine Le Coz , Abdelhafid Benchouk et bien d'autres ... Le Dervish Spirit est également invité pour clore cet événement musicalement...

26 MAI 2022

Film à la mémoire de Roland Michaud et de l'Émir Abd El Kader tous deux ayant quitté ce monde, un **26** mai...

https://youtu.be/RCbZ**8**sKWghk

8 décembre 2018,

Emir, Abdelkader, au miroir de la photographie

Abd el-Kader au miroir de la photographie, une lecture soufie de la camera obscura.

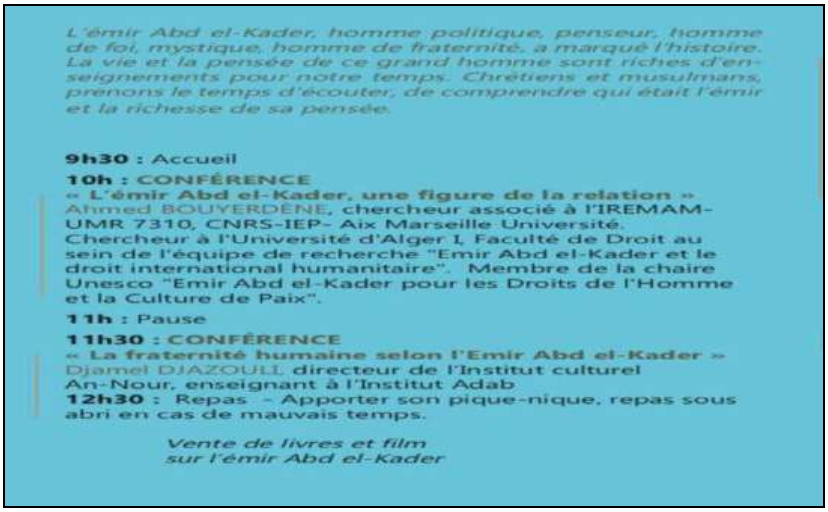

Quelques événements que nous avons organisés

16 avril 2017

« L'iconographie d'Abd el-Kader, une lecture historiographique et symbolique ».

La Guerre et la Paix Abd el Kader et la France A. Bouyerdene

combat, les années d'emprisonnement, les années de son rayonnement spirituel, politique, culturel et intellectuel. Le point de départ de l'Algérie contemporaine est donc un homme qui est d'origine à la fois noble par son ascendance qui le rattache directement au Prophète de l'Islam et par la lignée spirituelle qui a façonné son caractère et illuminé tous ses actes. Ces deux points d'ancrage de l'émir à la chevalerie spirituelle et la noblesse chérifienne et ses actes de bravoures durant ses quinze années de résistance, dans l'adversité de l'emprisonnement injuste qu'il a subi et lors de sa vie d'homme libre en font un exemple unique dans l'histoire contemporaine qui n'a pas d'équivalent ni à l'est ni à l'ouest. Prendre conscience de la singularité de cet homme hors normes est d'une importance capitale afin d'élever les âmes des nouvelles générations vers l'excellence vers laquelle il a toujours tendu dans sa vie et au-delà même en nous servant de modèle plus d'un siècle après son départ de ce monde. Plus nous honorerons sa mémoire, plus nos enfants et les enfants de l'humanité auront la capacité d'être au diapason avec le but ultime de la vie des êtres humains, la connaissance de soi et la connaissance de Dieu, et par d'être au service de la Fraternité Humaine qui en a tant besoin… **L'Algérie peut donc par le biais de l'Emir jouer ce rôle de phare des Nations dans un monde de plus en plus à la recherche de symboles, et de personnages exemplaires pouvant éclairer le chemin des futures générations !**

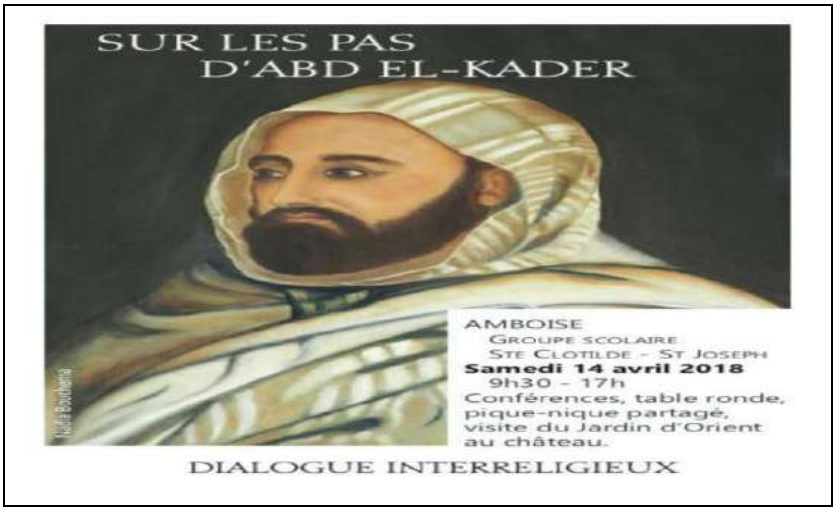

Depuis ce jour cette idée me trotte dans la tête même si je ne sais pas très bien comment la mettre en œuvre, la réflexion mérite d'être posée et je vous la confie Mesdames et Messieurs, Mes chères sœurs et mes chers frères, afin que celles et ceux que Dieu voudra bien honoré de mettre en place cette commémoration spécifique de l'émir qui pourrait pourquoi pas se situer le 27 novembre date où les tribus prêtèrent allégeance à l'Emir, à la défense de l'Algérie, à la défense de la Justice à l'exemple du Bien-aimé d'Allah qui recevait de ses compagnons l'allégeance pour défendre la Vérité, Une et Unique qui habite nos cœurs et nos âmes et le corps de nos martyrs et de tous les martyrs à travers le monde qui défendent leurs terres et leurs maisons.

Vive dans nos cœurs le souvenir de l'Emir,

Vive dans nos cœurs l'Algérie Eternelle

Et Vive dans nos cœurs la voie de la Justice et de la Vérité

Arguments : Une journée de l'émir Abdelkader permettrait avec les différents évènements associés à l'international et dans le pays de marquer les nouvelles générations et de faire briller à la fois l'Algérie et le modèle vivant Mohammadien en la personne de l'émir à travers le monde et de souder et de réunir tous ses sympathisants à travers le monde, afin que son œuvre continue à briller, et que son exemple soit suivi par nos enfants et nos petits-enfants

L'idée de marquer cette date avec le **27** novembre a du sens, mais il serait bon que plusieurs personnalités réfléchissent à la meilleure date possible et à tous les évènements qui pourraient y être associés à la fois dans les centres culturels algérien à travers le monde dans les écoles du pays, dans les librairies, les théâtres etc. Cela peut donner l'impulsion pour des projets culturels, humanitaire, politique, environnementaux, des rencontres spirituelles, l'édition de livres et davantage de recherche sur les sources qui n'ont pas encore été exploitées à ce jour, les sources ottomanes présente à Bursa, les sources syriennes à Damas etc.

CONCLUSION

Le rattachement de l'émir à la voie spirituelle du soufisme est clairement ce qui a nourri l'émir à la fois pendant les années de

recherche incessante de l'agrément Divin, illustré par cette phrase qui aurait dite pas moins de **124000** fois par Sheikh Bahauddîn Naqshaband[13],

« Mon Dieu, tu es mon but et ton agrément est mon seul souhait. »

Îlahî anta Maqsudî wa ridakâ matlubî

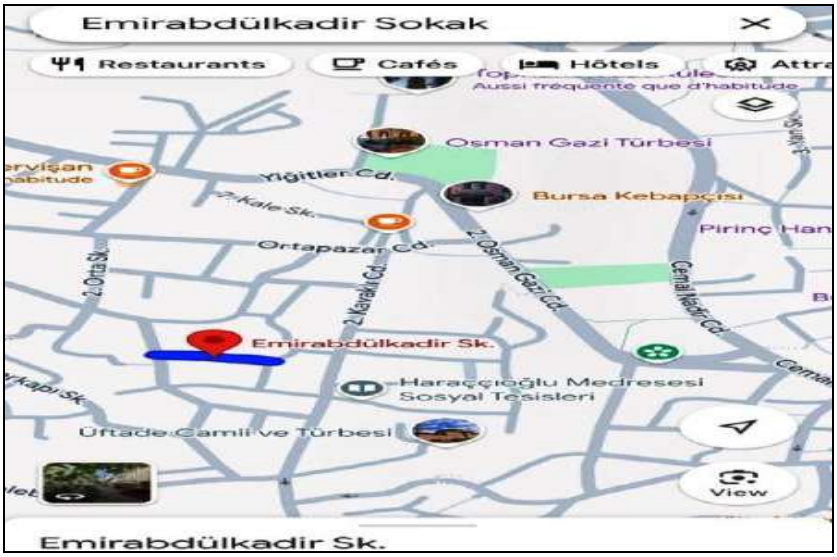

PROPOSITION CONCRETE :

INSTITUER UNE JOURNEE

DE L'EMIR ABD EL KADER

« Et quant au bienfait de ton Seigneur, proclame-le. »

[Ad-Dhuha:**11**]:

(وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ)

Lors de la Table Ronde du **14** Avril **2018** à Amboise, nous avons à la fin de notre intervention, proposé d'instaurer « Une journée de l'Emir Abd el Kader » et là quelle fut ma stupéfaction, c'est par une ovation exceptionnelle que toutes les personnes présentes accueillirent cette idée.

13- Muhammad Bahauddin Naqshband est le maître éponyme de la voie, né en 1318 m. en 1389 à Boukhara

Installé à Tophane, **entre Osman Gazi[10] et Muhyidin Ufatde**[11] . **Ce saint avait un lien particulier avec Muhyiddin Ibn Arabi** , une étude a été mené sur le sujet par Ahmad Munji de l'université de Marmara [12] et il aussi interressant de noter que **Bursa a été la première capitale de l'empire ottoman**. Nous avons toujours l'impression que la personnalité de l'émir est complexe et pour ainsi dire insaisissable en raison de ce double aspect de sa personnalité , nous n'arrivons pas à le classer ni comme un homme politique, ni comme un simple resistant, ni comme un maître spirituel, ni comme le disciple d'une seule voie soufie, ni même comme un intellectuel ou un poète mais il est tout cela à la fois et plus encore ! En modèle muhammadien par excellence, il occupe à la fois le rang de sultan parmi les siens, tout comme le Prophète occupait la fonction de chef auquel était assigné le pouvoir temporel mais dans le même temps l'émir à l'instar des califes Bien-guidés était en charge de l'Autorité spirituelle qui lui était reconnu par les siens.Tout comme Sidna Yussuf, **il passa plusieurs années privé de liberté sans jamais desespéré de la Misericorde Divine** à son égard. Après cette période qui scinde sa vie en deux périodes distinctes, certains ont voulu lui confié les charges de la responsabilité politique qu'il a refusé en retorquant que *son royaume ne faisait pas partie de ce monde*… **En tant que chef et fondateur de la Nation algerienne, il n'a jamais cessé d'être tourné vers Dieu, et lors de la seconde partie de sa vie où il a désiré plus que tout se tourner vers Dieu, il n'a pas non plus dédaigné répondre aux necessités de la vie mondaine, plus qu'un humaniste, ou un homme de la modernité, nous qualifierons plutôt l'émir comme le fils de son temps ! « *As-Sufi ibn al Waqt* »**

En équilibre, entre le pôle substanciel et le pôle essentiel, il préfigure à notre avis le fameux *Insan al Kâmîl* dont le prophète Muhammad est l'expression la plus aboutie et que tous les saints prennent comme exemple, et dont la seule nourriture est la

10- Fondateur de la dynastie ottomane

11- Uftade Mehmed Muhyîddin est un Grand Saint mort en 1581

12www.researchgate.net/publication/334199453_Ibn_'Arabi's_Influence_on_Ottoman_Sufism_in_Uftade's_Views

A la suite de sa visite, il nous a raconté[8] qu'il souvenait alors qu'il était âgé juste de **9** ans, du transfert des cendres de l'émir à Alger et il nous dit que dès sa tendre enfance à Damas, il entendait parler de lui et que cet homme lui inspira de l'amour. « Nous l'aimions depuis notre enfance » « Il a combattu pour Allah, et il a fait de son mieux pour l'Islam » et « Masha Allah, il a combattu les ennemis de l'Islam pour protéger les musulmans et c'était quelqu'un du chemin, de la tariqa » « Mais c'était l'époque des tyrans et pour protéger son peuple, il fut contraint par la Volonté Divine d'arrêter après **15** ans de combat acharné face à une des plus puissantes armées de l'époque ! »

On peut en conclure que là où il passe, l'émir marque les esprits et cela même après plus d'un siècle et demi !

Visite de Bursa[9]

L'émir installé entre le pouvoir temporel et l'Autorité spirituel « O vous qui croyez, obéissez à Dieu et obéissez à l'Envoyé, ainsi qu'à ceux d'entre vous qui détiennent l'autorité. »

An-nissa **59**

Récemment, un livre a été écrit sur les années passées à bursa et offert au President Abdelmajid Tebboune par le President Racip Tayip Erdogan lors de sa visite le **21** Novembre **2023** et en avril **2024** une rencontre a eu leu à Bursa en Présence de personnalités dont l'ambassadeur d'Algérie en Turquie et le responsable de TIKA pour l'Algérie.

8- https://youtu.be/01e43RccEZU?si=IN-NRT0uX6GObgOD
9- https://search.app/LDfJCsh6s8LxZEWx5

précédant les dramatiques évènements qui se sont passés en Syrie, j'ai l'honneur de rencontrer Shaykh Ahmed Kaftaro, de visiter Sheikh Muhyîddin Ibn Arabi et bien sûr de voir la pierre tombale toujours présente au nom de l'Emir à ses côtés mais aussi de visiter le Darih de Mawlana Khalid sur les hauteurs de Damas.

Depuis ces jours, nous n'avons eu de cesse de chercher à connaître davantage l'émir et à le faire connaitre autour de nous. Chacun y trouvant la nourriture qui lui est nécessaire que ce soit par ses combats contre les envahisseurs pendant quinze années, sa patience face au destin durant ses quatre années de captivités, les fastes auquel il eut droit après sa libération, son comportement à Damas vis-à-vis des chrétiens, ou les dernières années où il ne cessa de transmettre à son audience les connaissances métaphysiques qui lui étaient octroyées par la Générosité Divine. Son image a marqué son temps, ses actes ont écrits l'histoire et continue de l'écrire en donnant à tout un pays la fierté d'avoir vu naître sur ces terres, un des hommes les plus remarquables de ces deux derniers siècles et ses écrits resteront éternellement comme un guide de noblesse et beauté de caractère, mais aussi comme un hymne à la Vérité, à la Justice pour toutes les générations d'hommes et de femmes d'où qu'il soit.

Pour terminer je raconterai la visite que nous avons fait avec Mawlana Sheikh Mehmet qui est le fils et successeur de notre bien aimé Sheikh à Amboise en **2015**.

ouvrages de Shaykh Abd El Wahid Yahya, René Guénon que je décidai de me rattacher à une voie soufie, à une tariqa. En passant nous dirons qu'il y a un lien spirituel particulier entre René Guénon et l'Emir en la personne du Sheikh Abd er Rahman Illysh al Mâlikî[7] et René Guénon est né en **1886** à Blois proche du Château d'Amboise, je l'imagine comme étant la réponse à une Du'â, une invocation de l'émir pour la guidance des français.

Le Lien spirituel avec l'émir

Après avoir « choisi » cette voie ou que cette voie m'ait choisi. Je tombais sur les Ecrits spirituels de l'émir avec cette fameuse introduction de Sidi Ali Chodkiewicz et surtout les textes traduits extraits de Kitab Al Mawaqif.

Là c'est le choc pour moi, la hauteur de vue, la profondeur, la subtilité avec lesquelles les différents thèmes sont traités et remarquablement mis en lumière par M. Chodkiewicz qui était lui-même relié à la Naqshbandiyyah, je ne l'appris que plus tard… Il était relié à la voie par le biais de Shaykh Ahmed Kaftaro.

Concernant le rattachement de l'Emir à la Naqshbandiyyah, comme l'indique M. Chodkiewicz dans les écrits spirituels (ed. **1982**, p. **23**, note **17**), on en trouve un témoignage dans les Hadâ'iq wardiyya du shaykh Abd al Majîd Khânî (un proche de l'Emir ; c'est lui qui dirigea la prière des funérailles de l'Emir lequel, en outre, le désigna pour la garde de ses enfants après sa mort); outre l'édition, ancienne, de **1308**, on dispose d'une édition des hadâ'iq téléchargeable ici

https://archive.org/details/**20190715_201907**/page/**368**/mode/**2**up

le passage figure p. **369**;

vous pouvez aussi consulter les *kawâkib alâ al hadâ'iq*

https://archive.org/details/KawakibDoriya/page/n**771**/mode/**2**up

Là, c'est l'amour spirituel qui m'envahit et qui me pousse à en savoir davantage sur l'émir Abd El Kader. Durant les années

7- Mufti des Mâlikî d'Al Azhar m.1882 le père et le fils 1845/1922

pourra se référer à l'ouvrage édité ici dans notre pays, par les Editions Dahlab **« De l'émir Abdelkader à l'imam Chamyl »** par Boualem Bessaïh.

Photo prise à Port-Said en 1863. Le premier personnage debout en partant de la gauche est l'un des marins algériens, le deuxième Sidi Sahraoui le marin, le troisième le bras droit du khédive d'Egypte, le quatrième le khédive d'Egypte : Ismail Pacha, le cinquième : l'Emir Abdelkader El-Djazairi, le sixième Ferdinand de Lesseps et trois français. Assis sur une chaise à droite Chamil, devant son compatriote.

Comment la personnalité de l'émir peut transformer les âmes

Et rappelle ! Alors vraiment, le Rappel profite à ceux qui mettent en œuvre le Dépôt confié. [Adh-Dhariyat:55]

Revenons maintenant à mon humble expérience avec l'émir…

Après plusieurs années de recherches sur mon pays, sur les drames de la colonisation et sur l'origine de ma famille et sur l'histoire antéislamique de l'Algérie. Une fois le lien avec les racines terrestres bien établi, c'était au tour de la recherche des racines spirituelles que je m'attaquais et après avoir étudié les philosophes grecques, l'hindouisme, le christianisme et l'ensemble des spiritualités authentiques qui sont encore vivantes dans notre monde contemporain. C'est avec la lecture de l'Imâm Al Ghazali et de ces deux fameux ouvrages « Erreur et Délivrance » et « Lettre au disciple » que s'ouvrit à moi de manière évidente la voie du soufisme et la richesse qu'il apportait avec lui à la pratique religieuse. J'avais tellement soif d'absolu que ce n'est qu'après avoir lu et compris quelques

n'y avait eu une rencontre précédente car Mawlana Khalid a aussi effectué le Pèlerinage en **1826**.

En tous les cas le jeune et futur Emir se retrouve à l'aube de sa vingtième année porteur d'un héritage spirituel hors du commun et d'un bagage intellectuel enrichis à la suite de la rencontre de toutes ces personnalités majeures lors de ces deux années de périples à travers Dar al islâm. Sa rencontre avec Mawlana Khalid est raconté dans les termes suivants par Bruno Etienne même s'il n'est pas le meilleur biographe de l'émir cette description mérite que l'on s'y attarde pour mieux imaginer ce qui a pu se passer entre ces différents porteurs de haute spiritualité et n'oublions pas pour mieux faire le lien entre l'émir et la Naqshbandiyyah que dans la Silsilah qui remonte à Mawlana Khalid, il y a Sayyid Jamal-ud-Dîn Al Ghumuqî[4], qui fut le Sheikh et le beau-père de l'Imâm Shamyl[5] ! « Abdelkader, lui, ne savait pas qu'il allait parachever sa vie terrestre dans cette ville et s'y réaliser pleinement en y pratiquant son enseignement, après les épreuves, plus tard... Pour le moment, c'est ici qu'il allait recevoir sa deuxième initiation. Son père estimait qu'il devait connaître les autres systèmes du parcours compliqué. Or un grand maître se trouvait alors à Damas et Muhieddine n'eût de cesse que son fils choyé fût reçu par lui.

Le cheikh Khalid al-Naqshbandi va très vite comprendre que ce jeune Maghrébin n'a pas besoin de parcourir toute la voie du noviciat traditionnel : il peut aller beaucoup plus vite car il lui apparaît possible, sans crainte d'erreur, de lui conférer la baraka assortie de quelques conseils.

Les appuis viendront plus tard, dans sa deuxième étape à Damas, précisément, comme cela est écrit sur la Table bien gardée… Le cheikh lui enseigna méthodes et techniques spirituels... »[6]

Nous ne reviendrons pas sur la destinée parallèle commune à l'émir et à l'Imam Shamyl que plusieurs d'entre vous connaissent certainement mais si ce n'est pas le cas chacun

4- N é en 1788 au Daghestan et mort 1869 à Istanbul
5- Né le 26 juin 1797 et mort le 16 février 1871 à Médine
6- Abd El Kader, Bruno Etienne Hachette page 98/99

Le Cheikh Khalîd An Naqshbandî est né en **1779** en Irak et mort à Damas en **1827**. Sa renommée fut si grande à son retour que certains envieux se plaignirent au Sultan Saïd Ali Pacha, gouverneur de Baghdâd. A leur lettre de plainte, il répondit **« Si Cheikh Khalid al-Baghdadi n'est pas croyant, qui est donc croyant ? »**. Cheikh Khalid bien qu'il ait quitté ce monde à l'âge de **48** ans seulement, fût un si grand Murshid, que nombre de Silsilah de la Naqshbandiyyah actuelle se réclame de son héritage. C'est parce que parmi ses disciples plusieurs sont devenus de grands Sheikh et parmi nos contemporains, en plus de notre Sheikh Mawlana Sheikh Nazim ont peu compter le Grand Mufti de Syrie, Sheikh Ahmed Kaftaro, paix à son âme. **Cette rencontre avec Mawlana Khalid va revêtir une importance primordiale comme indiqué par Michel Chodkiewicz dans l'introduction qu'il a faite de l'ouvrage « Ecrits Spirituels » qui est une anthologie des Mawaqif de l'émir. Il nous relate que l'émir après son rattachement initiatique avec Mawlana Khalid se verra remettre par son père qui attendait le bon moment la Khirqâ Akbariyyah, à 19 ans donc l'émir est déjà dans un cheminement spirituel qui n'a rien de commun avec l'ensemble des aspirants à la voie soufie.**

En plus d'être un des supports privilégiés avec la Qadiriyyah, et la Shadhilliyah de l'enseignement Muhammadien, **la Naqshbandiyyah permet de rattacher l'émir à la filiation spirituelle du Prophète par le biais de Sayyidina Abu Bakr As-Siddiq.** La force particulière qui avait été hérité dans cette chaîne avait permis à Shaykh Ahmad Fârûq As-Sirhindi[2] d'installer l'Islam en Inde à l'époque de la dynastie moghole. Cette voie Soufie avait eu grâce à son travail la réputation de « défenderesse de la sunna du Prophète » dans toute l'Inde. C'est cette voie que Mawlana Khalid a transmise à l'Emir et dans les sources anciennes on apprend également qu'il lui avait donné des exercices spirituels[3]. On peut aussi se demander s'il

[2] 26 mai 1564/10 décembre 1624

3- Hadâ'iq wardiyya du shaykh Abd al Majîd Khânî

naissance qui aurait juste **20** ans de différence avec la date où l'émir a quitté ce monde !!!

C'est à peine à vingt ans, entre **18** et **20** exactement qu'il part avec son père pour le Pèlerinage à La Mecque fait rare à cette époque. Après la visite de Médine, l'Illuminée, ville de l'Hégire du Prophète et point de départ de la civilisation musulmane, c'est vers Damas, la seconde capitale de l'Empire Islamique que se dirige leur caravane.

La première rencontre avec la Tariqa Naqshbandiyyah

« Abd el-Kader découvre avec plus de force encore toute la richesse de la tradition soufie. La vastitude de la mosquée cathédrale des Omeyyades l'impressionne. Les pèlerins, qui ont pris l'habitude d'inscrire dans leur itinéraire les mausolées des figures illustres de l'islam, ont certainement visité ceux de Salah ud-Dîn al-Ayubi, le libérateur de Jérusalem, du Cheikh Arslan, éminent soufi qui a également mené le Jihâd contre les Croisés, ou encore celui du Cheikh Ibn 'Arabi, surnommé al-Shaykh al-Akbar, « le plus grand des maîtres », dont la somme spirituelle était réputée dans les milieux soufis du Maghreb. Dès cette époque, Abd el-Kader connaissait la plupart des grandes figures classiques du soufisme* (tasawwuf). Dans un écrit tardif, il compare les nombreux dignitaires religieux qu'il rencontre à Damas aux plus grands maîtres soufis que l'Histoire ait connus, les « Junayd, Shibli, al-Bistami … Ghazâli etc. » ... Parmi ces personnalités figure le Cheikh Khalid al-Naqshbandî, avec qui Sidi Muhyî ud-Dîn et Abd el-Kader ont pris un rattachement initiatique, s'affiliant ainsi à la tariqa Naqshbandiyyah. »[1]

La Bayaa

« Vraiment, ceux qui font le pacte avec toi, le font seulement avec Allâh. La Main d'Allâh est au-dessus de leurs mains. Qui alors s'est rétracté ne le fait que contre lui-même, et qui s'est acquitté entièrement de ce sur quoi il s'était engagé envers Allâh recevra alors de Lui une rétribution sans commune mesure. » Fath 10

1- L'harmonie des contraires Ahmed Bouyerdene, Le Seuil page 44

grâce à son combat et à tous ceux qui ont suivi son exemple jusqu'à ce que la victoire devienne possible **130** ans plus tard que mon pays était en paix ce jour-là !

La nécessité de l'exemple

(لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً)

Certes, vous avez dans le Messager d'Allâh un modèle excellent pour qui met son espoir en Allâh et dans le Jour ultime, et qui rappelle Allâh abondamment.

Coran 33/21

Dans un hadith le Prophète dit :

« Les Savants sont les héritiers des Prophètes » Abu Dawûd

Tout être humain quel qu'il soit, apprend en reproduisant ce qu'il entend ou ce qu'il voit. L'exemple le plus parfait pour illustrer cela est l'apprentissage du langage dans les premières années de la vie de l'enfant. Par la suite, pour apprendre le Coran ou tout autre domaine de connaissance, c'est toujours un enseignant qui va donner l'exemple et l'enseigné qui reproduit plus ou moins bien ce qu'il entend ou ce qu'il voit faire. Le Prophète lui-même bénéficiait du miroir angélique par la présence de Sayyidina Jibril, sur lui la Paix qui lui faisait réciter les versets du Livre Sacré. Que ce soit donc l'enfant en bas âge, l'adolescent, le père ou la mère de famille, la famille dans son ensemble, la cité et ses citoyens, la Nation, la Communauté Spirituelle ou même la Communauté humaine. A tous les degrés, nous avons besoin d'exemples et nous nous conformons à certains exemples, de manière plus ou moins consciente.

L'émir, un exemple proche de nous

Né en **1807**/**1808** et partit de ce monde en **1883**, les derniers jours de l'Emir se situe à moins de **150** ans de notre époque, **141** ans exactement. On peut imaginer que c'est long très long mais on sait que certains humains ont pu vivre **100**/**120** ans. Ce qui fait qu'une personne ayant **120** ans aujourd'hui aura sa date de

à l'empire musulman , et encore moins de mes ancêtres arabes, berbères ou ottoman qui pourtant sont le socle de la population de mon cher pays ! Je me souviens lors de mes voyages en Algérie que l'effigie de l'émir était partout interrogeant ma curiosité, sur les billets de banque, dans les vitrines des photographes, sur les murs ou trônant sur une télé dans les demeures de différents membres de la famille ou amis de la famille. Mais surtout sur cette fameuse stèle de la Place d'Armes à Oran, et en plus sur les quatre côtés, de quelque côté que vous vous tourniez, il était toujours là à me faire face ! Je revoyais ce buste à chacun des voyages que j'accomplissais vers le pays de mes aïeux, le pays qui m'a vu naitre. J'ai appris en posant quelques questions çà et là qui il était. L'homme qui s'était élevé avec le plus de fougue et de ferveur contre l'occupation injuste des terres de nos ancêtres et la spoliation par la force brutale des biens d'autrui sans autres raisons que d'accaparer la richesse des autres ! La colonisation est un vol ! Et aucune loi qu'elle soit divine ou humaine n'autorise cela. **Petit à petit, je commençais à aimer ce personnage qui personnifiait la bravoure et la justice, deux sentiments qui sommeillent en chaque adolescent et dont chacun voudrait être le porte-étendard afin d'honorer la petite voix qui voudrait faire de chacun de nous un héros. Là, j'avais enfin trouvé un héros qui me ressemblait et à qui je pourrais ressembler.** Par une belle après-midi ensoleillée, je m'assis sur un banc devant le bassin au milieu duquel est érigée cette stèle représentant le buste de l'émir, et un crayon à la main et une feuille de dessin sur les genoux, je me mis à reproduire le visage qui me faisait face. Prenant tout le temps qu'il fallait, n'étant pas spécialement doué en dessin, l'émir finit par prendre forme sous mes doigts et sur cette feuille de dessin. **L'admiration qu'il avait suscité en moi joua un grand rôle dans la réussite inattendue de ce premier contact « presque charnel » avec l'émir. Le dessin que j'avais fait était assez fidèle à ce que je voyais, comme si une main invisible m'avait aidé…Je crois que c'est à ce moment précis que l'émir, ou la lumière de l'émir pourrait-on dire a commencé à éclairer mon âme. Cet homme inconnu ayant vécu plus d'un siècle auparavant, de si loin, il était pourtant si proche !** Je compris que c'était grâce à lui,

[Al-Anfal :**10**]:

(وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيم)

Il n'y a de victoire que de la part d'Allah. Allah est Puissant et Sage.

Ma première vraie rencontre avec l'émir a eu lieu sur la Place d'armes à Oran, alors que j'avais environ **17** ans … Je cherchais à comprendre quelles étaient mes racines, après avoir vécu toute mon enfance et mon adolescence en France. J'étais dans le même questionnement que nombre de déracinés qui loin de leur patrie d'origine ne savent plus vraiment qui ils sont mais aussi je me posais les mêmes questions que d'autres personnes avant moi s'étaient posées, entre autres ceux qui avaient étudié dans les écoles françaises pendant la colonisation :

« Pourquoi est-ce que l'on ne cesse de nous dire que nos ancêtres sont les gaulois et que François **1**er a gagné la bataille de Marignane en **1515**, que Charlemagne a été sacré en l'an **800**, mais pas un mot au sujet d'Haroun Al Rachid et de l'horloge qu'il envoya à Charlemagne, ni de Soliman le magnifique et de l'accord de défense qu'il signa avec François à la demande de celui-ci inquiet de la force grandissante de Charles Quint qui avait des visées sur le royaume de France et qui fut sauvé grâce

Le lien particulier de l'émir à la voie soufie Naqshbandi et comment l'Emir Abd El Kader est un exemple idéal pour un projet éducatif transgénérationnel

- Dr. ABD EL HAFID BENCHOUK

- MUQADDAM DE LA TARIQA NAQSHBANDIYYAH EN France

Résumé :

C'est lors de son voyage vers les lieux saints entre **1825** et **1827**, en revenant du pèlerinage que l'émir rencontre le Grand Cheikh de la Tariqa Naqshbandiyyah, Mawlana Khalîd Al-Baghdadî Al-Shâmî. Cette rencontre sera suivie d'un rattachement initiatique de l'émir à la Tariqa Naqshbandiyyah. A son retour, il est transformé. De jeune homme de bonne famille, il devient Mujahhîd dans tous les sens du terme, intérieurement et extérieurement. Parmi les différentes étapes de sa vie : son combat contre le colonisateur, son emprisonnement à Amboise, et sa vie spirituelle à Damas, sa vie est mêlée de geste de bravoure, d'acte de noblesse et d'acceptation totale du destin. Quelque que soit les événements la réalisation spirituelle et l'exemple Muhammadien ont toujours nourris et orientés la manière dont l'émir a décidé d'agir.

Permettre aux futures générations d'étudier les grandes lignes de la vie de l'émir pourra nourrir leur soif d'un héros à la fois dans l'attachement à la patrie, à la foi, tout étant un exemple porteur de valeurs universelles, reconnues et reconnaissables par toutes et tous, toutes générations confondues.

Bismillah Allah Ar-Rahman Ar-Rahîm

Introduction :

La Première Rencontre

This book is published as part of the Proceedings
of the International Forum Entitled:
Hospitality of the Glories of the Nation
The Historical, Cultural and Heritage
Manifestations
of the Algerian Emir Abdelkader
Under the supervision
of the Minister of Martyrs and Rights Holders

Mr. Eid Rabika

People's Democratic Republic of Algeria

Under the High Patronage

of the President of the Republic

Mr. Abdelmadjid Tebboune

Ministry of Mujahideen and Relatives

In coordination with

the Ministry of Foreign Affairs, National Community Abroad and African Affairs

the International Forum Entitled:

Hospitality of the Glories of the Nation
The Historical, Cultural and Heritage Manifestations
of the Algerian Emir Abdelkader

Army National Club in Beni Messous

07/08 December **2024**

collection and coordination of dr.

Hocine Abdessettar – Nouar Nassim